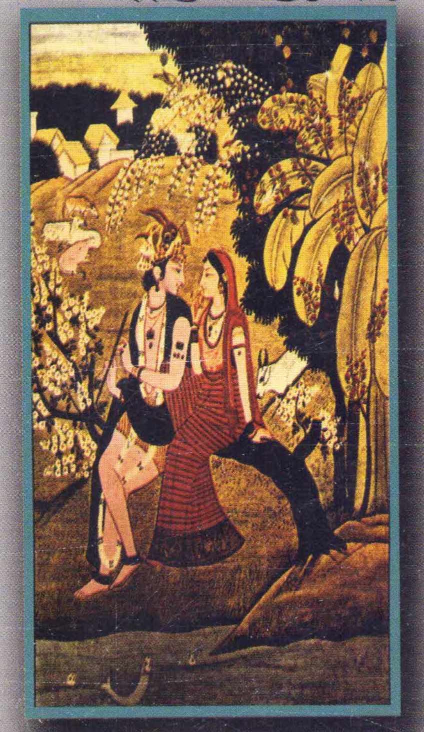
من أدب الرسائل الهندية

الحجاز سنة ١٩٣٠م



تأليف : غلام رسول مهر

ترجمة ودراسة : سمير عبد الحميد إبراهيم

المجلس الأعلى للثقافة



المشروع القومي للترجمة

780







كانت هذه الرسائل تنشر فى صحيفة "انقلاب" التى كان يديرها كاتبنا وكانت تصدر بالأردية، ويتلهف عليها القراء فى الهند، وهذه الرسائل تعد نموذجا لأدب الرسائل الهندية، كما أنها تقدم مادة علمية للمهتمين بالتاريخ والعمران وعلم الاجتماع وحتى العلوم السياسية.

الغلاف: رائدة عبد الكريم

المشروع القومى للترجمة

من أدب الرسائل الهندية
(الحجاز سنة ١٩٣٠م)

تأليف : غلام رسول مهر

ترجمة ودراسة : سمير عبد الحميد إبراهيم



٢٠٠٥

المشروع القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٧٨٠
- من أدب الرسائل الهندية
- غلام رسول مهر
- سمير عبد الحميد إبراهيم
- الطبعة الأولى ٢٠٠٥

هذه ترجمة :

مجموعة رسائل الأديب الصحافى الهندى " غلام رسول مهر " التى أرسلها فى أثناء رحلته من الهند عبر بحر العرب والبحر الأحمر والحجاز إلى جريدة "انقلاب" التى كانت تصدر فى لاهور سنة ١٩٣٠ .

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo
Tel. : 7352396 Fax : 7358084.

تصدير

فى إطار المشروع القومى للترجمة أصدر المجلس الأعلى للثقافة عددا من الكتب المترجمة عن اللغات الشرقية ، تناولت فنون الأدب المختلفة ومنها الشعر والقصة القصيرة والرواية والنقد الأدبى وأدب الرحلة ، وهذا الكتاب يتناول نمطا أدبيا مختلفا ، وهو أدب الرسائل ، فهو ترجمة لعدد من الرسائل كتبها أديب هندى سنة ١٩٣٠م إلى رفيق دربه ، يصف له فيها ذكرياته ، وما مر به كل يوم منذ خروجه من الهند متجها بالباخرة إلى اليمن ، ومنها عبر البحر الأحمر إلى جدة ، فمكة المكرمة ، وقد كتب فى رسائله ما مر به خلال شهور قضاها فى جزيرة العرب حتى عودته إلى الهند .

وكانت هذه الرسائل تُنشر فى صحيفة "انقلاب" التى كان يديرها كاتبنا وكانت تصدر بالأردية ، ويتلهف عليها القراء فى الهند ، وهذه الرسائل تعد نموذجا لأدب الرسائل الهندية ، كما أنها تقدم مادة علمية للمهتمين بالتاريخ والعمران وعلم الاجتماع وحتى العلوم السياسية.

وقد حرص المترجم على كتابة مقدمة مختصرة عن المؤلف وعن رسائله المترجمة هنا ، ووضع عناوين جانبية لرسائله ، وإضافة بعض الحواشي والتعليقات المختصرة التي توضح ما ورد في الأصل الأردي ، الذي نشر في جريدة انقلاب في أعداد متوالية مع ذكر تاريخ النشر.

ولا يسعني هنا إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل للمجلس الأعلى للثقافة وللقائمين على المشروع القومي للترجمة ، وأخص بالذكر الأمين العام للمجلس الأستاذ الدكتور جابر عصفور، الذي حظيت دائما بتشجيعه من أجل ترجمة المزيد من الأعمال الإبداعية لأدباء شبه القارة الهندية الباكستانية .

سمير عبد الحميد إبراهيم

العلامة غلام رسول مهر
ومكانته العلمية فى شبه القارة الهندية

يعد العلامة غلام رسول مهر من كبار علماء شبه القارة الهندية وأدبائها ، وهبه الله علما وفضلا ، وزينه بحسن الخلق ، وتواضع العلماء ، فعاش حياته يعمل على إصلاح أحوال الأمة في شبه القارة ، بما يملك من موهبة أدبية ، وبما يتمتع به من فكر أصيل ، والعلامة - أو كما يقال فى الهند وباكستان مولانا - غلام رسول مهر من أدباء اللغة الأردية الذين أبدعوا فى كتابة النثر الأردى ، فارتقى به وأوصله إلى مكانة عالية ، ويتميز أسلوبه النثرى الفريد الذى صقله من خلال كتاباته الأدبية فى الصحافة بالسلاسة والجزالة ، ودقة التعبير ، مما جعل مهر يقف في مصاف أدباء الأردية الكبار في زمانه من أمثال أبى الكلام آزاد ، ومحمد على جوهر ، وظفر على خان ، وغيرهم ، فضلا عن أنه يعد واحدا من المؤرخين المسلمين الكبار الذين أثروا المكتبة الأردية التاريخية بكتاباتهم الأصيلة .

ولد غلام رسول مهر فى يوم الخامس عشر من أبريل سنة ١٨٩٥م = ١٣١٣ هـ . فى قرية " بهول بور " التى تبعد عن مدينة جالندهر (بمنطقة البنجاب الشرقى) وقد توفى والده تشودهرى محمد على

خان حين كان مهر فى الحادية عشرة من عمره ، وعلى فراش الموت أوصى الوالد الأم وإخوتها ألا تؤثر وفاته - مهما كانت الظروف - على استمرار تعليم الابن الذى كان أكبر الإخوة ، وكان الوالد ميسور الحال ، ومن ملاك الأراضى ، وقد التزمت الأم بتطبيق الوصية ، بل عمدت إلى حياة التقشف - رغم عدم حاجتها لذلك - حتى توفر للابن جميع الوسائل اللازمة لتعليمه ، وأكملت مع ابنها مشوار تعليمه حتى تقلد وظيفة محترمة وزاد دخله من راتبه ومن ممتلكاته ، وشاء الله أن تنتقل الأم إلى الرفيق الأعلى سنة ١٩٤١م = ١٣٦٠هـ مما أثر عليه كثيرا ، فقد حرم - كما كان يقول دائما - من دعائها له ، كما أنها كان لها نصيب كبير فى تنشئته ورعايته وتعليمه وتربيته تربية صالحة .

كان مهر قد درس أولا فى كتاب القرية ، ثم التحق بالمدرسة العليا ، وفى سنة ١٩١٣م = ١٣٣٢هـ انتقل إلى مدينة لاهور حيث التحق بالكلية الإسلامية ، وحصل على شهادة الليسانس بعد سنتين .

مولانا غلام رسول مهر والصحافة :

التقى مولانا غلام رسول مهر فى فترة مبكرة ، وبالتحديد قبل حصوله على الليسانس سنة ١٩١٣م بمولانا أبى الكلام آزاد ، وانضم إلى جماعته ، وصار عضوا نشطا فى الحركة الدينية الوطنية ، ووهب حياته لخدمة الأمة الإسلامية فى شبه القارة ، وتأثر مهر كثيرا بما كان

ينشره أبو الكلام أزاد في مجلة الهلال ، وتوطدت العلاقة بينهما في عام ١٩٢٣م = ١٣٤٢ هـ ، وظل هذا الارتباط قائما حتى وفاة أزاد سنة ١٩٥٨م = ١٣٧٨ هـ ، رغم وجود خلافات شديدة فى الرأى أحيانا ، وبخاصة فيما يتعلق بالأمور السياسية .

عاش مولانا غلام رسول مهر فترة العصر الذهبى للصحافة الإسلامية في شبه القارة ، تلك الفترة التي شهدت ظهور شخصيات صحفية مثل محمد على جوهر ، وأبى الكلام آزاد ، وظفر على خان ، وسيد سليمان الندوى ، وغيرهم ، ممن اعتبروا الصحافة مسئولية ورسالة ، أكثر من كونها مهنة وتجارة ، وكان يحدوهم فى الكتابة هدف وشعور بالمسئولية ورغبة فى خدمة الأمة الإسلامية ، هذا بالإضافة إلى أن الصحافة الإسلامية فى شبه القارة تناولت إلى جانب مشكلات المسلمين فى الهند القضايا الإسلامية العالمية كقضية فلسطين ، وقضية الاستعمار فى البلاد الإسلامية ، والاعتداء على حقوق البلاد ، وقضايا الحرمين الشريفين على اختلافها .

عشق مولانا غلام رسول مهر العمل بالصحافة ، وأراد أن يكون رفيقا لأبى الكلام آزاد ، إلا أن اعتقال السلطات الإنجليزية لآزاد لم يوفر له هذه الفرصة ، فضلا عن ظروف الحرب العالمية الأولى ، فلم يتمكن مهر من العمل بالصحافة أنذاك ، فرحل إلى حيدر آباد الدكن حيث عمل بإدارة تعليمية هناك ، وظل يعمل لسنوات مفتشا للمدارس .

بعد الحرب العالمية الأولى أفرج عن المعتقلين ، وأُطلقت حرية الصحافة ، وسنحت الفرصة لمولانا غلام رسول مهر لخدمة الأمة ، فترك حيدر آباد الدكن وعاد إلى البنجاب ، على أمل أن يصدر هناك جريدة ، لكنه عمل في البداية في جريدة " زميندار " الذى كان يديرها ويرأس تحريرها مولانا ظفر على خان (انظر : الأدب الأردى الإسلامى ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، سنة ١٩٩٢م) وكان ذلك سنة ١٩٢١م = ١٣٤٠ هـ ، ونصحته والدته ونصحه أصدقاؤه بالابتعاد عن جريدة زميندار ، لأنها كانت تعارض الاحتلال الإنجليزى للهند ، وتنشر بالتالى مقالات تعارض سياسة الإنجليز فى شبه القارة الهندية وفى البلاد العربية والإسلامية ، إلا أن مولانا غلام رسول مهر لم يعط أذنا صاغية لهذه النصيحة ، فقد رأى أن العمل فى صحيفة تهدف إلى فائدة البلاد والأمة ، أفضل من العمل فى صحيفة تكون ناطقة عن رأى الحكومة المحتلة ومعبرة عن رأيها ، واستمرت والدته فى محاولاتها الرامية إلى إبعاده عن العمل فى صحيفة زميندار، خوفا عليه من بطش الإنجليز ، ومن حسن حظها أن الحكومة أصدرت قرارا بإغلاق الصحيفة مدة .

حين عاودت الصحيفة الصدور تمكن بعض الأصدقاء المخلصين من إقناع والدة مهر ، فسمحت لولدها راضية بأن يعود للعمل مرة أخرى في جريدة زميندار ، وكان ذلك فى فبراير سنة ١٩٢٢م = ١٣٤١ هـ ، وعندها تولى مولانا غلام رسول مهر إدارة الجريدة ، وانتهت من ذهنه تماما فكرة إصدار صحيفة خاصة به ، لأن هدفه كان خدمة الأمة ،

ومجابهة الاحتلال ، وكانت " زميندار " مكانا مناسبا لتحقيق هذا الهدف ، إلا أن تغير الظروف ، واختلاف الآراء بين الأدباء والعلماء داخل الصحيفة أدى إلى انفصال بعض العاملين فيها ، ومن هؤلاء شفاعت أحمد خان ، وعبد المجيد سالك ، ومولانا غلام رسول مهر ، لكن مولانا ظفر على خان تمكن من إقناع مولانا عبد المجيد سالك ومولانا مهر بالعودة ثانية للعمل بالمجلة .

لم تستمر المصالحة طويلا واضطر سالك ومهر إلى ترك العمل فى مارس ١٩٢٧م = ١٣٤٥ هـ ، وفى الشهر التالى أصدر غلام رسول مهر العدد الأول من صحيفة " انقلاب " أى الثورة ، وعمل معه مولانا عبد المجيد سالك وبعض الكتاب الذين كانوا يعملون من قبل في صحيفة زميندار .

ومن الجدير بالذكر أن مولانا غلام رسول مهر ومولانا عبد المجيد سالك ومولانا وحيد الدين سليم بانى بتي وغيرهم ممن عملوا فى تحرير صحيفة زميندار قد أوجدوا وعيا سياسيا لدى مسلمى شبه القارة ، فقد رفعوا أصواتهم دائما ضد الإجراءات التعسفية الموجهة ضد المسلمين داخل الهند وخارجها ، وكانت زميندار بمثابة الممثل لوجهة نظر المسلمين الهنود إزاء مشكلات المسلمين العالمية .

وهكذا كانت حال صحيفة " انقلاب " التى تحمل العبء الأكبر فى تحريرها مولانا غلام رسول مهر ومولانا عبد المجيد سالك ، فقد دافعا

بقوة عن حقوق المسلمين بما كانا ينشرانه فيها من افتتاحيات جريئة ، كما اهتمت الصحيفة بنشر المقالات السياسية والدستورية ، وقضايا الأمة الإسلامية فى الهند مما أوجد لها مكانة فى عموم شبه القارة ، وقد توقفت الصحيفة حين صدر آخر عدد منها فى العاشر من أبريل سنة ١٩٤٩م = ١٣٦٩ هـ .

اتجاه مولانا غلام رسول مهر إلى التأليف :

بعد توقف صحيفة انقلاب اتجه مولانا غلام رسول مهر إلى ميدان التأليف والبحث العلمى ، وكان التاريخ هو موضوعه المفضل ، وبخاصة تاريخ الإسلام العام وتاريخ المسلمين فى الهند ، والحركات العلمية والسياسية والثقافية لمسلمى شبه القارة الهندية الباكستانية ، ومراحل الجهاد التى مكنت الهند من الحصول على استقلالها ، ودور المسلمين فى الحصول على الاستقلال ، وكذلك الشخصيات الإسلامية التى أثرت فى تاريخ شبه القارة الهندية الباكستانية ، وهكذا كتب مولانا غلام رسول مهر ما يقرب من مائة وثمانين كتابا فى موضوعات مختلفة منها : السيرة والدين والسياسة والحضارة والعلوم والفنون وغيرها ، كما حقق بعض الكتب ، وترجم العديد من الكتب بالإضافة إلى عدد لا يحصى من المقالات فى التاريخ والأدب والنقد والسياسة وغيرها من الموضوعات ، ويرى بعض الباحثين أنه يصعب فعلا حصر هذه المقالات ،

ولكن إذا ما قدر عدد صفحات مقالاته فى الصحف التى كتبها على مدار ثمان وعشرين سنة ، فقد تصل إلى أربعين ألف صفحة ، دون مبالغة !!

لقد كتب مثلا سنة ١٩٦٩م = ١٣٨٩ هـ ثلاثين مقالا عن الشاعر مرزا غالب ، وكتب عن محمد إقبال أكثر من خمسين مقالا ، كما شرح أشعار غالب ، وإقبال ، ناهيك عما كتبه من مقالات خاصة بدائرة المعارف الإسلامية الأردية عن مختلف الشخصيات والأماكن والموضوعات التاريخية ، وقد تولى لعدة سنوات تصحيح ومراجعة جميع مقالات دائرة المعارف الإسلامية .

وتعد بعض مؤلفاته من الأعمال الفريدة فى الأدب الأردى ، ونذكر منها على سبيل المثال كتابه عن حركة الجهاد فى شبه القارة ، وكتابه عن جماعة المجاهدين ، وكتابه التاريخى الموثق عن سيد أحمد شهيد ، وقد أشاد مولانا أبو الحسن الندوى بهذا العمل حين كتب :

" نشر مولانا مهر كتابه سيد أحمد شهيد سنة ١٩٥٤م = ١٣٧٣ هـ بعد أن ظل يعمل عليه قرابة خمس عشرة سنة أو عشرين " .

استمر مولانا غلام رسول مهر حتى آخر لحظات حياته مشغولا بالتأليف والبحث ، وكان آخر أعماله ترتيب وتدوين مقالات أبى الكلام آزاد عن السيرة النبوية ، وقد أضاف من عنده على هذه المقالات ، التى صدرت بعنوان " رسول رحمت " أى رسول الرحمة ، وقد طبع الكتاب بعد وفاته .

توفى العلامة غلام رسول مهر فى السادس عشر من نوفمبر سنة ١٩٧١م = رمضان ١٣٩١ هـ ، وبوفاته فقد الأدب الأردى أديبا كتب النثر والشعر بالأردية والفارسية ، ومؤلفا وباحثا ومحققا ، فقد كان رحمه الله مثالا للعالم الجليل ، وكان صورة للأخلاق الفاضلة .

أسفاره ورسائله فى السفر :

سافر مولانا غلام رسول مهر عدة مرات خارج شبه القارة الهندية الباكستانية ، وتحمل أسفاره تلك أهمية تاريخية ، نظرا لما كتبه عنها ، وكان أول هذه الأسفار رحلته إلى الحجاز مع وفد مجلس الخلافة الهندى سنة ١٩٢٥م = ١٣٤٤هـ ، وهو الوفد الذى ضم كبار علماء وسياسى الهند، وكان من بين أعضائه مولانا ظفر على خان ، وقد سافر مولانا مهر مرافقا وسكرتيرا لمولانا ظفر على خان ، ثم كان سفره الثانى للحجَاز أيضا بدعوة من جلالة الملك عبد العزيز بن سعود سنة ١٩٣٠م = ١٣٤٩ هـ ، وفى سفره هذا أرسل عددا من الرسائل إلى جريدة انقلاب ، يحكى فيها ذكريات سفره ، وهذه الرسائل تشكل ذكريات المؤلف فى الحجاز ، وهى التى نقدم ترجمتها إلى العربية مع التعليق على بعض ما ورد فيها بعنوان " حجاز سنة ١٩٣٠م " .

ومن الجدير بالذكر أن أسفاره تعددت فيما بعد ، فقد سافر إلى افريقيا وإلى أوروبا وغيرها ، إذ سافر لحضور مؤتمر المائدة المستديرة

أواخر سنة ١٩٣١م = ١٣٥٠ هـ ، فزار باريس ولندن ، وهناك التقى بالعلامة الشاعر محمد إقبال ، وسافرا معا إلى الإسكندرية والقاهرة ومنها إلى بيت المقدس حيث حضرا جلسة المؤتمر الإسلامى التى ترأسها الشيخ أمين الحسينى مفتي فلسطين ، وقد كتب مولانا غلام رسول مهر عن سفره هذا أيضا.

ولا يتسع المجال هنا لذكر بقية أسفاره إلا أنه من الضرورى القول بأن أسفاره أو رحلاته لا تحمل أهمية علمية فقط ، بل تحمل أيضا أهمية أدبية ، فهو أديب يتناول تفصيلات مراحل السفر ، والجوانب التاريخية للأماكن التى يزورها وآداب السفر وأهدافه ، وهو يقدم فى رسائله هذه - التى نقدم ترجمتها إلى العربية - معلومات قيمة عن الحج ومناسكه ، وعن الأماكن التى يتحرك فيها الحاج ، وكلها موثقة بالأدلة وموضحة بالرسوم والخرائط أيضا ، كما أن استطراداته فى كتاباته تحمل مغزى مهما لدى القراء بالإضافة إلى روح الدعابة التى نلاحظها بين السطور ، فضلا عن جمال الأسلوب وجاذبيته وسلاسة اللغة ، مما يجعل أدب الرحلة عنده إضافة قيمة للأدب الأردى .

من أدب الرسائل الهندية (الحجاز سنة ١٩٣٠م)

كما ذكرنا تشمل هذه الترجمة الرسائل التى كتبها مولانا غلام رسول مهر إلى صحيفة انقلاب باسم رفيق دربه مولانا عبد المجيد

سالك ، ولما كانت تتضمن ذكرياته فى سفره للحجاز سنة ١٩٣٠م ، لهذا كان من المناسب تسميتها من أدب الرسائل الهندية بـ " الحجاز سنة ١٩٣٠م " ، وتحمل هذه الرسائل أهمية لمن يريد التعرف على تاريخ المنطقة فى تلك الفترة التى شهدت تغييرات سياسية وجغرافية أيضا ، فالكاتب من كبار علماء شبه القارة وأدبائها ، وممن يعتد برأيه ، ومن الباحثين الملتزمين بالدقة والأمانة ، ولهذا فكتاباته تعد وثيقة تاريخية صحيحة لا شك فيها ، ومن يطالع كتاباته الأخرى يؤمن بصدق هذا القول .

ومن الجدير بالذكر أن الكاتب سبق له أن زار الحجاز سنة ١٩٢٥م ، ومن هنا فهو يكتب عن خبرة ومعرفة ، ويعبر عن تجربة هادئة بأسلوب سهل ، معبرا عن مشاعر أديب هندى فى جزيرة العرب ، لا يتورع عن ذكر العيوب – إن وجدت – مثلما يذكر المحاسن ، فهو يتحرى قول الصدق فى كل ما يكتب ، وهو يدرى أن ما يكتبه سينشر على الملأ ، وسيقرؤه عموم أهل الهند من خلال مطالعتهم لصحيفة انقلاب .

لقد مضى على هذا السفر أكثر من سبعين سنة ، تغيرت خلالها المعالم فى منطقة الحجاز ، حول الحرم ، وفى مكة المكرمة وما حولها ، وقد قدم العلامة مهر بعض المقترحات لتوسعة الحرم الشريف ، وغير ذلك من مقترحات ، ويمكن للقارئ أن يتعرف على التطور الذى حدث فى

المنطقة حين يقارن بين ما ذكره المؤلف عن مطاف الحرم ، وحالة الرواق وأحوال المسعى ... إلخ ، وبين ما يمكن أن يشاهد اليوم من توسعة كبرى فى الحرم المكى والحرم النبوى ، فمن يشاهد هذه الأماكن اليوم لا يمكن أن يتخيل أو يتصور أنها كانت بالشكل والوضع الذى جاء وصفه فى هذه الرسائل .

ولا يتوقف الكاتب عند وصف الأماكن ، لكنه يصف الشخصيات التى التقى بها ، ويصف غير ذلك من جوانب حضارية واجتماعية وثقافية ، مما يؤكد على أهمية نقل هذه الرسائل إلى اللغة العربية .

سمير عبد الحميد إبراهيم

مقدمة

بعد غياب سبعة أسابيع عاد كاتب هذه السطور ليمارس نشاطه من جديد ، ويحاول بذل جهده الجهيد ، فشكرا لله الذى وفقنى لأداء فريضة الحج ، وزيارة البيت العتيق ، وكنت قد عقدت النبية على الذهاب للحج سنة ١٩٢٨م إلا أن الأصدقاء والأحباب ذكروا لى أن مسألة حقوق المسلمين فى الهند قد تعقدت وتشابكت ، ومن الأفضل تأجيل سفرالحج إلى العام التالى ، ثم كان حج عام ١٩٢٩م فكان " تقرير نهرو" Nehro Report مصيبة كبرى للمسلمين ، ثم كان حج هذا العام ١٩٣٠م ، فخيمت سحب العصيان المدنى " لحزب المؤتمر " فى فضاء البلاد ، وهكذا بقيت مترددا إلى أقصى درجة ، حتى إننى لم أكن قادرا على إطلاع أى من أصدقائى المقربين بقرارى حتى يوم السابع عشر من أبريل ..

رقدت .. وأخذت أفكر وأفكر .. ورأيت أن هذه المصائب سوف تظل تتوالى ، واحدة تلو الأخرى دون انقطاع ، ولن تكون هناك فرصة للوقت الذى تهب فيه نسمات عليلة ، تشمل البلاد كلها ، ولهذا فمن الأفضل أن

أذهب لأداء فريضة الحج مهما كانت الظروف والأحوال ، وفي صباح يوم الثامن عشر أطلعت أخي حبيبي ورفيقي على درب رحلتي في هذه الحياة (*) على ما دار في خلدي ، وكان القرار النهائي الذي اتخذته في لحظات ..

سمح لي أخي بفراقه ، وذلك لأداء مناسك الحج ، وجهز لي جميع المستلزمات الضرورية ، وأرسل برقيات إلى الأصدقاء والأحبة ، ولكنني بقيت بعد هذا كله مترددا مذبذبا ..

كنت أفكر فيما لو ساءت الظروف والأحوال أكثر فأكثر ، وكنت أفكر كيف سيتولى أخي تدبير أمور العمل وحيدا ، وكيف ستضيف متاعبي على متاعبه حملا ثقيلا ينوء به ، ولكن بعد اتخاذ القرار النهائي ، بدأ أخي ورفيق دربي يلح عليّ بل يصر على أن أسافر لأداء فريضة الحج هانئا مطمئنا ، وأن أخلي قلبي من كل قلق وفكر ...

وهكذا وفي العشرين من شهر أبريل ودّعت أخي ، وودّعت صحيفة " انقلاب " في حفظ الله ورعايته ، وفي الثالث والعشرين من الشهر نفسه ، وحين انطلقتُ من كراتشي على ظهر الباخرة " خسرو " كانت القيامة قد قامت في الهند ! وحين وصلت إلى مكة المكرمة سمعت جميع الأخبار ، ولم أكن أملك إلا الدعاء أرفعه إلى الله عز وجل ليحفظ أخي وسط تلك الظروف .

(*) يقصد مولانا عبدالحميد سالك . (المترجم)

وقد كنت قد عقدت العزم على زيارة مصر والقدس ، فأجلت هذه الزيارة ، ورجعت إلى الهند ، فشكرا لله فقد أديت فريضة الحج ، وأنا على يقين من أن أكبر نصيب من ثواب الحج هو لأخى الذى أتاح لى هذه الفرصة بكرمه ورعايته ، وأدعو الله أن يظلنى بكرمه .

مهـــر

(١٥ يونيه ١٩٣٠ م)

(١٧ محرّم الحرام ١٣٤٩ هـ)

من لاهور إلى كراتشى

كراتشى ٢٢ أبريل ١٩٣٠م

أخى العزيز ...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

لم أتمالك نفسى حين ودعتك وبقية الأحباب .. فى وقت الوداع والمعانقة انهمرت دموع أمير أحمد خان وعزيز ، ورغم محاولة التماسك إلا أن الدموع التى انهمرت حطمت العديد من السدود ، فقد كانت فكرة وجودى وحيدا بعيدا عن هؤلاء الأحبة قد جعلت عيونهم تغرورق بالدموع ، وقد أثر هذا الموقف علىَّ أيما تأثير ، فلم أتحمل الصبر فى هذا الموقف الصعب ، وكان إسماعيل(*) قد جلس فى إحدى عربات القطار حين انطلق بنا من من محطة لاهور ، وهكذا بقيت وحيدا ، فأنت تعرف أن الترحال بالنسبة لاسماعيل هو كالإقامة ، وأن الإقامة بالنسبة

(*) عضو هيئة تحرير صحيفة إنقلاب ، مولانا إسماعيل الغزنوى . (المترجم)

له كالترحال ، وبعبارة أخرى الحِل والترحال عنده سواء بسواء ، فإذا كان مقيما فهو يشعر بغربة السفر ، وتبدو عليه علامات من يتهيأ للرحيل ، ولكنه إذا ما ارتحل بدا وكأنه وصل إلى منتهى هدفه فى الحياة ، فالغربة بالنسبة له هى الوطن ، والوطن بالنسبة له هو الغربة ، وهكذا حين تحرك القطار أخذ يتجول بين عرباته ، وكأنه أحد الأثرياء يتجول باطمئنان شديد داخل حجرات قصره .

كانت جميع أمتعته موضوعة بجانبى ، لكنه حمل الفراش فقط ، ووضعه فى " كابينة " أخرى ، بينما جلست أنا وحيدا فى " كابينتى " حتى بلدة " راى ويند " حين توقف القطار ، فنزلت منه ، وخرج إسماعيل من كابينته الجديدة سعيدا مسرورا باشًا هاشًا ، متجها إلى كابينتى التى هى فى الأصل كابينته ، فقمت على الفور بتحذيره ، وأخبرته بأنه إذا استمر هكذا يضيع منى ويفلت منى كالزئبق ، فسوف أنزل من القطار فى الطريق ، وسوف يتحمل هو وزر حرمانى من ثواب الحج ، ورجوته ألا يفعل ذلك ، فرق إسماعيل لحالى ، وجلس فى كابينتى دون أن يغادرها .

مصائب "الشيشة"(*)

أحضر إسماعيل جميع مستلزمات الأكل بما فى ذلك مستلزمات الطهى أيضا من مدينة " إمرتسر " ، وفى البداية وبناء على اقتراحه

(*) أى النارجيلة . (المترجم)

انتهينا من تناول الطعام ، وبعدها كانت هناك حاجة إلى " الشيشة " ، ونتيجة لاهتمامه الشديد ، وبفضل حرصه على راحتى ، كانت هناك داخل أمتعتى " شيشة " متواضعة ، ضمها إسماعيل إلى قائمة أمتعة السفر ، وكان هذا دليلا واضحا على رعايته لى ، ودليلا واضحا على النتائج الطيبة لاهتمام أفضل أعضاء مكتب صحيفة " انقلاب " .. وعلى كل حال فالله وحده هو المنزه عن كل عيب ، لكن ماذا أقول عن حكاية طلب "الشيشة " وما يستتبع ذلك من مساوئ وأضرار ؟ فلو أدت رفقتى لإسماعيل إلى تأجيل السفر ، ولو كانت هناك فرصة لتأجيل موعد الباخرة ، فيشهد الله على أننى كنت سأنزل فى محطة " مونتجمرى " أو محطة " خانيوالى " وأرجع إلى " لاهور " لأقوم بنفسى بإعداد لوازم السفر من جديد ، وأتعب الناس بوداعى مرة ثانية فى محطة لاهور ، فسيئ الحظ هو الذى تكون فى حوزته " شيشة " متينة تقاوم الزمن ، وتكون لديه حافظة " دخان " أى تمباكو " ثم لا يكون لديه فحم يمكنه أن يشعل به النار ، ولا تكون لديه " ماشة " يمسك بها الفحم المتوهج !

كان باستطاعة إسماعيل أن يطعمنا فى القطار ما لذ وطاب من طعام ، تماما كأنه طعام معد فى البيت ، وكان باستطاعته أن يطعمنا الفاكهة الطازجة ، والحلوى اللذيذة ، وأن يسقينا الماء المثلج ، والصودا بالثلج ، وكان يمكنه أيضا أن يتولى حجز تذاكر القطار والسفينة ، أى كان يمكنه أن يتولى جميع مسئوليات الدنيا بأكملها ، لكنه فيما يتعلق بالشيشة والدخان ، فقد كان من الفضول أن نتوقع منه أية مساعدة تذكر ! ولعلك تذكر حين رجع من الحج ، شعرت بمتعة خاصة وأنا أخرج من جيبه النقود لشراء السجائر .. وكنت أنت تفضل هذه

السجائر لأنها " ذكرى نجد وديار نجد " ، الآن يمكنه أيضا أن يكون مستعدا لإعطاء السجائر ، لكن لا يمكنه أن يمد يده لتجهيز الشيشة .. ولهذا نظرت إليه نظرة كلها رجاء .. وأخذت أرجوه قائلا :

- يا أخى .. ماذا عن الفحم ؟

وكان القطار قد توقف عند محطة " مونتجمرى " ، بينما الشيشة فى يدى ، ولم تكد كلمة " فحم " تخرج من فمى حتى قال إسماعيل بطريقة سلفية خالصة :

- " لا حول ولا قوة إلا بالله "

فأصابنى الرعب ، ولذت بالصمت ...

وبعد لحظات ونتيجة لاضطرارى لما أحتاج إليه ، رجوته وطلبت منه المساعدة .. ويعلم الله ماذا جال بخاطر إسماعيل ، فقد فتح النافذة فجأة ، وخرج من القطار ... ورأيت أن أتبعه فلعلى أجد قليلا من الفحم ، لكنى وجدته يقف ساكنا يتطلع هنا وهناك ، وفى النهاية طلبت " نارا " من أحد الهندوس أصحاب الحوانيت ، فقال لى معتذرا إن النار قد خبت ، وإلا كان قد أعطانى ما أريد .

عاصفة ترابية :

فى تلك الأثناء اختفى كل شىء فجأة ، فقد هبت عاصفة ترابية غطت رءوس الركاب ووجوههم بالتراب فى لمح البصر ، فأخذت أتحسس

متاعى ومتاع إسماعيل ، وفجأة لمحت تلك الغرارة " الجوال " التى تحوى أمتعتنا ، وفكرت : إذا لم تكن لهذه الغرارة من فائدة اليوم فمتى يمكن الإفادة منها ؟ وهكذا طلبت من إسماعيل سكينا . أخذت الغرارة تهتز وأنا أقطع طرفها العلوى ، وحين ظهرت منها فتحة معقولة ، وضعت فيها الشيشة ، وحين خفت شدة الاهتزاز ، أمددتها بالنار ، وبعد تسع دقائق أو عشر احترقت فيها أصابعى ، وتلاحقت بل انقطعت فيها أنفاسى ، تمكنت من البدء فى سحب الدخان من الشيشة - ولما كانت نار " الغرارة " لا يمكنها أن تقارن بنار الفحم ، وبينما كنت أتحدث مع إسماعيل لدقيقتين لا أكثر توقفت فيها عن سحب أى نفس ، إذا بنار الشيشة قد خبت ، بل انطفأت تماما !!

كنت أعلم من قبل أن الهندام يفسد بسبب التراب والغبار فى أثناء الأسفار إلى كراتشى ، فقد سافرت مرارا إلى كراتشى ، وإلى كويته وملتان وغيرها على هذا الخط نفسه ، واليوم كان إسماعيل يتوقع لقاء أحد أصدقائه فى " خانيوال " ، وحين وصل القطار بالقرب من خانيوال ، نظرت إلى إسماعيل فغلبنى الضحك ، إذا بدا كأنه مهرج يضع البودرة على وجهه متنكرا ، وفى دورة المياه نظرت إلى شكلى فى المرآة ، فشاهدت بصعوبة وجهى الذى بدا كوجه الإنسان الأول البدائى !!

وبينما جلس إسماعيل متذرعا بالصبر قمت على الفور بغسل رأسى ووجهى ، ثم خرجت من القطار ، تحدث مع صديق إسماعيل الذى أحضر لنا سلة من الفاكهة الطازجة ، وبعد أن تحرك القطار ،

بدأنا في تناول الفاكهة ، إلا أن تجربة العاصفة الترابية التي خضناها كانت لا تزال تؤثر على قلوبنا ، كانت نوافذ وأبواب عربتنا جميعها مغلقة ، ومع هذا فإن الأتربة غطت الصناديق والحقائب والملابس والمقاعد وكل شيء ، ووصل سمك الأتربة - دون مبالغة - إلى نحو بوصة !!

إنني ممن يدافعون عن فكرة (استقلال) إقليم السند ، لكنني أخالف بشدة فكرة جعل كراتشي ميناء مستقلا لمنطة شمال الهند ، فأن تصبح كراتشي ميناء مستقلا ، على العين والرأس ، لكن من المنحوس الذي يأتي من لاهور إلى كراتشي ويرضى بأن يدفن أكثر من مرة تحت التراب والغبار ، إنني أرى أن كراتشي لا يمكن أن تكون ميناء لشمال الهند ، ما لم تعمر الأراضي التي يمر بها خط السكة الحدين من لاهور إلى كراتشي ويسكنها خلق الله ، وما لم تتولّ هيئة السكة الحدى أمر منع دخول الأتربة والغبار إلى داخل عربات القطارات ..

كان إسماعيل يجلس مسترخيا بكل هدوء ، إلا أنه كان ينهض فجأة كل عشر دقائق ، ينظف كل شيء ، ثم يجلس ، وكان يقوم بهذا العمل طوال اليوم ، ولو أراد أرباب البلديات أن يفتحوا مدرسة لتعليم الكنس والنظافة فإنني أعتقد أن السفر من كراتشي إلى لاهور يكفي ليكون تدريبا عمليا لتخريج دارسين مهرة !!

من سماسته إلى كراتشى :

وصلنا إلى سماسته ، وقمنا بالاستعانة بأحد الكناسين لتنظيف كابينتنا ، وقمنا بعدها بترتيب كل شىء ، وسألت أحد موظفى السكة الحديد بعد أن أسمعته قصيدة رثاء عن حكاية " شيشتى " عن وجود فحم هنا ، فرق قلب المسكين لشيشتى ولحالتى ، وأعطانى مجانا نحو رطل من الفحم كان قد أخذه من قهوجى ، فظللت أدعو لهذا العجوز المسكين من محطة سماسته حتى كراتشى ، ولو كان جميع موظفى السكة الحديد طيبيين مثل هذا العجوز ، فوالله الذى لا إله غيره إن السفر بالقطارات سيكون كالجنة ، وسيفضل أهل الدنيا الترحال على الحضر والمقام فى الحضر .

فى سماسته أرسل لنا الحافظ (*) محمد صديق الملتانى بعض رجاله يحملون لنا الفاكهة الطازجة والكعك ، والحافظ محمد صديق الملتانى تاجر وموظف فى بلدية دهلى وكان مسافرا مع رفاقه إلى الحج ، وكان رفيق سفرنا أيضا ، وقد قاد بنفسه إبل عربتنا عند محطة ديرة نواب ، وأهدانى علبة سجائر ، وفى المساء أرسل إلينا بعض البسكويت المملح ، و"القراقيش" المملحة ، ووجد إسماعيل أوراق البان الخضراء الطازجة (التنبول) الواردة من دهلى ، كما ذكر لنا الدكتور ميرزا إمام الدين أنه يمكن الحصول عادة على الدجاج المشوى والدراج

(*) لقب يلقب به حفظة القرآن الكريم فى شبه القارة الهندية . (المترجم)

فى محطة خانبور ، وهكذا حين وصل القطار إلى هذه المحطة بدأ إسماعيل يجد فى البحث عن الدجاج والدراريج لكن دون جدوى ! وقد قمت بنفسى بجولة فى المحطة لعلى أقابل من يعرف بواطن الأمور ، ولعلى أيضا أقابل أحد المهتمين بأمور البلاد السياسية ، لنتحدث معا إن شاء الله ذلك ..

حين قررنا النوم أراد إسماعيل الذهاب إلى تلك الكابينة التى وضع فيها فراشه لكنى منعته من ذلك بإصرار شديد ، وتم الاتفاق فى النهاية على النوم دون فراش .

فى الصباح نهض إسماعيل وأخبرنى أنه استيقظ مرة فى الليل عند الساعة الثانية عشرة ، أما أنا فكنت قد استيقظت فى الرابعة إلا ربعًا ، وكانت حالة التراب والغبار الذى استمر يهب علينا طوال الليل لا تحتاج إلى وصف أو بيان؛ وهكذا حين استيقظت من نومى نظفت جميع الأشياء وغيرت ملابسى واغتسلت وصليت النفل والفرض وأيقظت إسماعيل فى الساعة الخامسة ، فنهض من فوره ووضع رأسه تحت الماء ، ثم توضأ وصلى ..

بعد ذلك بدأنا تجاذب أطراف الحديث ، وبينما كان نور الصباح يطلع رويدا رويدا كان القطار يبطئ فى سيره ليتوقف عند إحدى المحطات .. وعلى الرصيف تراءى لى الشيخ محمد صديق من أهالى مدينة كراتشى .. لكنى فكرت .. ربما أخطأت ، وظننت أن أحد المسافرين هو الشيخ محمد صديق ، فذكرت هذا لإسماعيل ، فقفز

إسماعيل خارج القطار ، وأخذ ينظر تجاه الرجل ثم قال : لا شك ! إنه الشيخ محمد صديق ، فنزلت وذهبنا معا والتقينا بالشيخ ، الذى اصطحبنا معه وأخذنا نتحدث عن مواضيع شتى ، واستمعنا منه إلى الكثير عن أحوال كراتشى .

فى كراتشى

وصلنا محطة ثكنات الجيش فى كراتشى ، وهنا قدم إلينا بسيارته صديقى يوسف عبد الله هارون ، ونزلت هنا وكان شهبندر حاجى عبد الله هارون قد عمل حساب إقامة إسماعيل معى أيضا وأصر على ذلك ، إلا أن إسماعيل كان مرتبطا بتجهيز تذاكر الكثير من الحجاج ، وترتيب ما يلزمهم من أشياء يحتاجونها ، ولهذا أخبرته بأنه يمكن أن نلتقى فى المساء .

وصلت إلى " فيلا " شهبندر حاجى عبد الله هارون ، والتقيت بعزيزى محمود وسعيد ، والتقينا بشهبندر حاجى عبد الله هارون بينما كان يعد العدة للمغادرة ، وبعد أن اغتسلت وغيرت ملابسى ، ركبت مع يوسف ومحمود السيارة ، وخرجنا نبحث عن إسماعيل ، فى المكان الذى من الممكن أن يقضى فيه ليلته ، لكن لم نعثر له على أثر ، وعند الساعة الثانية عشرة والنصف وصلنا إلى الجامعة الإسلامية وإلى دار الأيتام حيث شهبندر حاجى عبد الله هارون ، وهكذا شاهدت المدرسة

التي سأكتب عنها مقالا مفصلا فيما بعد مساء اليوم إن وجدت فرصة ، وإلا ففي الباخرة إن شاء الله .

عدنا بعد أن أعيانا البحث ، وأصابنا اليأس ، ولكن فجأة التقينا بإسماعيل في طريق عودتنا ، وبعد حديث ساخن وقصير اتفقنا على الذهاب في الساعة الخامسة إلى " بنجاب سند هوتل " ، على أن نخرج معا فيما بعد .. وهكذا عدت أدراجي ، فتناولت الطعام وأخذت قسطا من الراحة ، وفي الساعة الخامسة أو قبلها بقليل خرجت مع يوسف في السيارة ، ووصلنا إلى " بنجاب سند هوتل " وهناك عرفنا أنه لم يعد منذ خروجه ، وبعد انتظار دام عشر أو خمس عشرة دقيقة ذهبنا لنرى المكان الذى يستخرجون منه الملح .

منجم الملح

قيل لى إن كمية ضخمة من الملح تستخرج بقدرة الله من هذه المنطقة . شاهدت هذه المنطقة ، حيث تجمع آلاف الناس هناك ، وكان معظمهم يتفرجون ، بينما كان البعض مشغولا باستخراج الملح ، لكن ليسوا من أتباع حزب المؤتمر الهندى ، بل كانوا أناسا عاديين من أهل المدينة ، وتشكل هذه المنطقة مثلثا مساحته نحو فدان تقريبا ، مفروش بالملح المستخرج من البحر(*) ، ولا شك أن ماء البحر لا يصل إلى هذه

(*) يلاحظ أنهم فى الهند يستخدمون الملح المستخرج من مناجم للملح . (المترجم)

المنطقة ، ولهذا فالأمر عجيب .. من أن تأتى ذخيرة الملح هذه ، وقد ذكروا أنه منذ أول أمس (١٩ أبريل) شاهد الناس الملح فى هذه المنطقة ، وبدأوا فى استخراجه بكثرة ، وحملوا آلاف الخرائط والشكائر والجرادل وغيرها من أوعية ، وملأوها بالملح ، واستمر هذا الأمر يوم ٢٠ أبريل أيضا ، واليوم هو الواحد والعشرون من أبريل ، انتهى مخزون الملح الصافى النقى ، والطبقة التى نشاهدها الآن تضم ملحا غير نظيف ، وقد شاهدت سمكها الذى يصل إلى نحو بوصتين ، ويقوم الناس باستخراج الملح مستخدمين فى ذلك أسياخ الحديد والصلب .

فى المساء خرجت مظاهرة فى شوارع كراتشى ، التقيت بالسيد وفائى نائب مدير جريدة " الوحيد " وعرفت من مختلف الأشخاص أن ما ينشر فى جرائد لاهور عن الاضطرابات فى كراتشى قائم على المبالغة الشديدة ، وفى المساء التقيت بشهبندر حاجى هارون مع مجموعة من الأصدقاء ودار الحديث عن موضوعات مختلفة .

كراتشى ٢٢ أبريل :

تلقى إسماعيل مساء أمس إعلانا يفيد بضرورة ذهابه إلى معسكر الحجاج لإنهاء إجراءات التطعيم والتذاكر ، ذهبت إلى إسماعيل الساعة العاشرة والنصف ، وهناك لم أجد من آثار إسماعيل إلا الأمتعة ، فذهبت إلى معسكر الحجاج ، وهناك عرفت أنه عاد إلى المدينة ، والتقيت

بالشيخ محمد صديق فى الطريق ، فأخذناه معنا فى السيارة ، ووصلنا بقيادته وإرشاده إلى الدكتور سعيد وعرفنا أن إسماعيل أخذ مصل التطعيم ، وذهب من هذا المكان مباشرة إلى الفندق ، ومنه إلى آل عبد الغنى ثم إلى معسكر الحجاج ، ولكن لم نجد لإسماعيل أى أثر ، فجلسنا هناك مضطرين ، وبعد ساعة عاد إسماعيل باسمًا وهو يقول إنه كان يدور هنا وهناك قبل عودته ، وعلى الفور أنهى إجراءات التذاكر ، ورجعنا إلى البيت فى الساعة الثانية ..

إن عظمة إسماعيل وسط معسكر الحجاج يوم ٢٣ أبريل تحتاج إلى مقال مستقل . أشعر الآن بالقلق والاضطراب فالباخرة سوف تنطلق مساء اليوم ، فانطلقت فى الصباح أشترى الأشياء التى أحتاجها ، وعدت حوالى الثانية فتناولت الطعام واتجهت إلى الباخرة ، أما ما لقيته من كرم ضيافة من شهبندر حاجى عبد الله هارون ، وما غمرنى به عزيزى يوسف عبد الله هارون من محبة ورعاية فقد ترك أثرًا عميقا فى قلبى ، وسوف أوضح هذا فيما بعد .

كان محمود قد ذهب إلى المدرسة صباحا ، لهذا لم نتمكن من لقائه إلا أنه كتب لى خطابا مملوءا بالحب وضعه فى حقيبتى ودعانى أيضا إلى الإقامة عنده فى أثناء عودتى.

انقلاب فى ٢٩ أبريل ١٩٣٠م

كراتشى - جدة

أخى الحبيب ..

السلام عليكم ورحمة الله ..

انطلقت سفينتنا من ميناء كراتشى فى تمام الساعة السابعة مساء يوم ٢٣ أبريل وبحساب الشروق والغروب ، فاليوم هو اليوم الخامس وبحساب الساعات وفى تمام الساعة السابعة سيكون قد مضى علينا أربعة أيام بتمامها .

كنت قد عقدت العزم على أن أبدأ فى الكتابة قليلا قليلا منذ صباح يوم الثالث والعشرين ، إلا أن طبيعتى لم تكن على ما يرام فى البداية ، وقد شعرت بعد ظهر أمس بثقل وتعب فى المعدة ، وبدأ الصداع يؤلمنى ، فأخذت فى البداية قليلا من السفوف الهاضمة ، ثم تناولت بعض الكمون والسونف(*) حصلت عليها من الحافظ محمد صديق ، ثم شربت زجاجة من عصير الزنجبيل ،

(*) نوع من البهار ، وهو دواء للمعدة مهضم . (المترجم)

ولم أشرب الشاى فى المســاء كمـــا لم أتنــاول طعام العشاء ، وارتفعت درجــة حـرارتى طـــوال الليـــل ، واســـتيـقظت فى الصـباح فـتناولت سلطة وفاكهة ، والآن اقتربت الساعة من الحادية عشرة ظهرا وتحسنت حالتى وبفضل من الله أصبحت قادرا على كتابة وتدوين حالات السفر كما وعدت .

غدا ســوف نمــر بمـحــاذاة عدن ، ولا توجـد إمكانــيـة للتـوقف هناك ولهذا فلن أتمكن من إرسال هذا الخطاب بالبريد من هناك ، وفى كـامـــران - وطبـقـا لمـعلومـاتى لا تـوجـد هناك ترتيـبـات تجـعل هذا الخطاب يصل إليك فى الوقت المحدد ، ولهذا فمن المرجح أن أرسل هذا الخــطاب بالبـــريد من جــدة ، ولكن أود أن أكـــمله الآن ، وســوف أســطر ذكريات ما بعد اليوم فيما بعد وصولى إلى جدة ، ولهذا فبعد الوصول إلى ساحل جدة وحتى أداء فريضة الحج سيـصـعب إيجـاد فرصة للكتابة .

الإقامة فى كراتشى :

لم أذكــر فى خطـــابى الســـابق أحــوال كـراتشى ، بينمـا يلزم التنويه بحالة معسكر الحجاج هناك ، كما أن ما عرض لنا خلال الأيام الثـلاثة يحـــتـاج بالضـرورة إلى بيـان ، كـمـا تعلم غـادرت لاهور فى العشرين من أبريل ، ووصلت إلى كراتشى صباح الحادى والعشرين ،

وفى أثناء وجودى فى كراتشى ذهبت إلى معسكر الحجاج ثلاث مرات ، وفى أثناء الذهاب كنت أعرج على مبنى صغير أجد فيه مأربى من الطعام ، وفى كراتشى تناولت الشاى بكميات كبيرة ، ولهذا فهذا المبنى الذى يستعمل مطعمًا لا يجوز أن يطلق عليه هذا الاسم لأن إطلاق كلمة مطعم عليه لا يتناسب مع التصور الذهنى الشائع لدى الناس عن المطاعم عامة ، فأمام المطعم مكان ضيق تليه حجرة بسيطة متواضعة ، حيث تباع تذاكر بواخر شركة " تيرز ماريسون " وبعدها بقليل يوجد على اليمين عدد من المظلات الخشبية ، سورت على شكل بيت أقيم بألواح خشبية على شكل شبكة تعطى نوعا من الستر والخصوصية ، يقيم فيها الحجاج ، وهنا يتم تطعيمهم ضد الأمراض والأوبئة ، وهناك ضرورة شديدة لتوسيع هذا المعسكر وإصلاح شأنه ، هناك مكان ضيق ما بين المطعم والحجرة الخاصة ببيع تذاكر شركة " تيرز ماريسون " كما يوجد " دكان" صغير يبيع كتيبات صغيرة ، تتضمن معلومات عن الحج ، وهنا نبتت أشجار ظليلة ، وتوجد فى هذا الدكان أدوية على شكل سفوف يحتاج إليها المسافرون بحرا ، بالإضافة إلى الأشياء اللازمة للمسافرين أيضا ، ولم تسمح لى الظروف بالاطلاع على نوعية المياه الموجودة فى هذا المعسكر ، وعلى نظام الإضاءة فيه ، وكان إسماعيل رفيق سفرى ومرشدى وقائدى مشغولا لدرجة كبيرة فى الحصول على تذاكر السفر وتوزيعها ، لدرجة أن الحديث معه كان أمرا صعبا .

معسكر الحجاج :

ذهبت من قبل إلى المعسكر برفقة يوسف عبد الله هارون ومحمود عبد الله هارون ، وفى الطريق قابلت الشيخ محمد صديق الكراتشى الذى كان يبحث مثلنا عن إسماعيل العزنوى فأخذناه معنا فى السيارة ، وحين وصلنا إلى المعسكر عرفنا أن إسماعيل جاء هذا الصباح ثم رجع إلى المدينة ، وقال الشيخ محمد صديق إنه ذهب إلى الدكتور سعيد لاستكمال التطعيم ، وهكذا ذهبنا إلى عيادة الدكتور سعيد ، وهناك عرفنا أن إسماعيل غادر العيادة منذ نصف ساعة بعد أن أخذ التطعيم اللازم ، ومن عيادة الدكتور سعيد وصلنا إلى محل الحاج عبد الغنى رئيس لجنة الحج ، وهناك لم نظفر أيضا بإسماعيل ، فذهبنا إلى مطعم " بنجاب سنده هوتل " ، وهناك أيضا لم نجد سوى اليأس فى استقبالنا ، فرجعنا إلى المعسكر ، وهناك عرفنا أن إسماعيل سوف يأتى فى ظرف نصف ساعة ، وهكذا جلسنا فى المطعم ، وظل الشيخ محمد صديق يشرب الشاى ، أما نحن فاكتفينا بالماء المثلج ، وكانت وظيفتى كمحرر لجريدة " انقلاب " تخجلنى كثيرا ، فقد قدم الكثير من الناس إلىّ ، وأنا جالس فى المطعم ، ألقى بعضهم السلام ، وقاموا بتحيتى ، ثم بدأ الحديث فى الأمور السياسية التى كنت قد توقفت عن الحديث عنها وأنا فى لاهور منذ مدة طويلة ، ولكنى - على كل حال - لم أتمكن من الكلام بالتفصيل عنها ، لأننى كنت أشترك مع الناس فى الكلام ، وربما كان لرأيى تأثير سلبى على أى مِّن الأصدقاء ، مهما كان هذا الرأى صحيحا أو صائبا .

إسماعيل الغزنوى وخدماته الجليلة :

عاد إسماعيل فى الساعة الثانية عشرة وهو يبتسم كعادته ويقول دون تكلف أو مداراة :

– أخذت أتجول هنا وهناك ...

وساورنى القلق ، ماذا يعنى بأنه يتجول هنا أو هناك ، وكأنه لا أحد غيره يتجول هنا أو هناك ، وعلى كل حال اشترى التذاكر ، وبعدها قال لى إسماعيل :

– تفضل أنت ! فلدى عمل ..

وهناك تم الاتفاق على القيام بشراء الأشياء الضرورية فى صباح يوم ٢٣ أبريل وبقيت أشاهد مشاغل إسماعيل وما يقوم به مدة نصف ساعة تقريبا .. كانت يداه تمسكان بالأوراق المالية ، وهو يجلس على أريكة يغطيه جمع غفير من الحجاج الذى التفوا من حوله .. وقد عرفت فيما بعد أنه ظل بمعسكر الحجاج من الساعة الثانية عشرة صباحا حتى الساعة التاسعة ليلا ، يسلم الحجاج تذاكرهم ، وأعتقد أنه قام بتوزيع ما يقرب من مائتى تذكرة مخفضة على مائتى حاج ، وكان قد أرسل من قبل برقية تتضمن الإشارة إلى إجراء الاستعدادات لاستقبال مائتى حاج ، وذلك قبل وصولهم إلى كراتشى ، وظل إسماعيل يقوم على رعاية الحجاج ، ويسهر على راحتهم كلية ، وفى صباح يوم ٢٣ أبريل ظل معنا مدة ساعتين ، نشترى لوازمنا ، ولهذا لم يكن رفيق سفرنا فقط ،

ولم يكن مرشدنا فقط ، لكنه كان مسافرا للحج مثلنا وكان لنا حق الاستفادة من رفقته ومن صحبته مثلنا مثل بقية الحجاج ، ويشهد الله أن جهود إسماعيل المباركة الطيبة قد تركت أثرها العظيم على قلبى ، ولا شك أن وجوده كان بالنسبة لحجاج بيت الله تجسيدا للرحمة ، فلا يوجد حاج إلا واستفاد من شراء تذكرة عن طريق إسماعيل ، ونال تخفيضا على ثمن التذكرة ، وليس من الطيب أن أمدح إسماعيل ، فهو أخي ، وهو رفيقى منذ مدة طويلة ومدحى له يمكن أن يفهم على أنه نتيجة لعلاقات شخصية ونتيجة حبى له ، ولكن الحقيقة هى الحقيقة على كل حال ، فالحجاج الذاهبون معى كانت ألسنتهم تلهج بالدعاء لإسماعيل ، وفقه الله وأسعده وجعل خدماته الطيبة تعم على الكثير من المسلمين .. آمين !

كلام فى السياسة :

ذكرت من قبل أنه فى اليوم الذى ذهبت فيه للتفرج على الملح التقيت ببعض معارفى القدامى الذين أصبحوا اليوم من أهم المؤيدين لحزب المؤتمر ، وهم يختلفون فى الرأى مع ما تنشره صحيفة " انقلاب " ، وقد التقى هؤلاء بالعبد الفقير ...

سألونى ما الذى جاء بك إلى هذا المكان ؟ فقلت : مثلى مثل مئات المتفرجين هنا ، فقالوا : إننا لا نفهم كتاباتك !! فقلت : مع أننى

مسافر خارج البلاد وليس لدى وقت إلا أننيوعلى استعداد للحديث ، وعليكم أن تجهزوا ما لا تفهمون من أمور ، وسأحاول أن أفهمكم إياها خلال ما قد يتيسر لى من وقت .

وتم الاتفاق على أن نلتقى فى الرابع والعشرين من أبريل ، الساعة الثالثة ..

رجعت من معسكر الحجاج ، وتناولت الطعام واسترحت قليلا ، ثم ركبت السايارة وذهبت للقاء أولئك الأصدقاء ، واستمر الحديث والحوار حوالى ثلاث ساعات ، وكما ذكرت قبلا لن أذكر شيئا يتعلق بما دار من بحث سياسى شاركت فيه ، وإننى شاكر لأولئك الأخوة الذين تحدثوا معى واستمعوا إلى ما قلته لهم وأنصتوا له تماما ، وبعد حديث طال لساعتين ونصف قالوا أيضا إن مولانا حبيب الرحمن لدهيانوى حين جاء إلى كراتشى مع الدكتور عالم قال فى لقاء دعاه إليه شهبندر محمد بلوتش إن " مهر " أى العبد لله على درجة كبيرة من الذكاء والفطنة .

فقلت لهم بكل أدب : هذا حسن ظن من مولانا ..

وقال أصدقائى فى كراتشى هذا الكلام أيضا ، وقالوا إن هدف مولانا حبيب الرحمن من هذه الكلمات هو الاعتراف بالكفاءة ، ولكننى أخبرت إخوتى هنا بأننى لست على هذه الدرجة من الذكاء والفطنة ، وبأننى غير أهل لما قد يظنونه بى ، كل ما فى الأمر أننى عرضت رأيى ببساطة وبدون أى تكلف فيما يتعلق بالمصلحة الشرعية للمسلمين ليس إلا .

بعد هذا اللقاء رافقت عزيزى يوسف إلى حيث شاهدنا الميناء الجديد الذى كان لا يزال تحت الإنشاء ، وذهبنا إلى الميناء القديم ، حيث كانت الباخرة خسرو قد وصلت ، شاهدنا الباخرة ورجعنا فى حوالى الساعة التاسعة ليلا ، وفى الثانى والعشرين من أبريل حضر أخى المحترم عثمان الذى كان والده يعمل بالتجارة .. وكان عثمان قد ترك التجارة وقدم إلى كراتشى ولا يزال يقيم هنا منذ مدة ، تحدثت معه لفترة طويلة وكان شهبندر عبد الله هارون قد دعى على طعام العشاء فى مكان ما ، فرجع فى حوالى الساعة الحادية عشرة ، فجلس معنا وأخذنا نتحدث فى موضوعات مختلفة وقضايا متنوعة حتى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل .

كرم الضيافة فى كراتشى :

تناولت الطعام فى الساعة الواحدة يوم الثالث والعشرين ، وخرجت عند الساعة الثانية والنصف ، كان معى يوسف ، لم أستطع أن ألتقى بمحمود فى الصباح لأنه خرج مبكرا ، ولهذا ترك لى ورقة كتب فيها عبارات الحب والإخلاص ، ووضعها فى حقيبتى ، وأكد فيها على ضرورة أن أنزل فى كراتشى فى طريق عودتى ، علّى أنزل ضيفا عليه ..

وبينما كنت أستعد للخروج إذا بيوسف يأتى ويقول :

إن الوالدة ترسل لك السلام وتقول إنها لم تتمكن من أداء الواجب نحوك في أثناء إقامتك هنا ، وهي تعتذر لذلك .

إن الأخلاق العالية التي تتحلى بها أسرة شهبندر عبد الله هارون تركت أثرا على قلبي سيظل متجددا مدى الحياة ، فطوال الأيام الثلاثة التي نزلت فيها بيت شهبندر عبد الله هارون تمتعت بكل أنواع الراحة الممكنة ، وهي راحة لا يمكن أن أجدها في بيتي شخصيا ، فقد وقفوا السيارة على خدمتي ، ورافقني عزيزي يوسف وعزيزي محمود طول الوقت ، ولم يتركني يوسف لحظة واحدة ، وبقي معي حتى اللحظات الأخيرة لمغادرة السفينة الميناء ، ومع هذا كله ، ومع الكرم الفيَّاض ترك هذه الرسالة التي جاء فيها أنهم لم يتمكنوا من خدمتي بما يليق .. لقد تأثرت كثيرا وقلت ليوسف أن يخبر الوالدة المحترمة أنني لا أملك الألفاظ التي أعبر بها عن جزيل شكري لما أولتني به من كرم وعناية، وطلبت منه أن يخبرها بأنني أحتاج إلى دعائها .

قرنطينة (*) في الميناء

غادرت البيت في الساعة الثانية والنصف ووصلت مطعم "بنجاب سنده هوتل" في تمام الساعة الثالثة ، ومن هناك أخذت إسماعيل

(*) أي الحجر الصحي الذي كان الحجاج يعانون منه كثيرا في ذلك الزمان ، وورد ذكر المعاناة في معظم الرحلات . (المترجم)

والنائب محمد شريف ، وكان معنا من أهل كراتشى مولانا محمد صديق ، كانت أمتعتنا قد وصلت السفينة من قبل ، بينما كنا نحنل معنا ما خف حمله من متاع فأعطيناه إلى الحمالين العاملين فى السفينة ، وذهبنا إلى القرنطينة ، إذ لا يمكن دخول السفينة دون الحصول على تصديق الطبيب .

كنا قد حصلنا على تصديق الطبيب من قبل ، إلا أنه كان قد سلم التصديق للحراس ، وذهب ولم يعد !

تأذيت كثيرا من هذا الأسلوب ، لأنهم لن يسمحوا لنا بدخول السفينة ، وإذا ما حدث وعبرنا جميع المراحل ودخلنا السفينة فلن يسمح لنا بالنزول منها . وهكذا ذهبنا إلى كبير الأطباء وكان صديق يوسف ، وكان معى النائب محمد شريف أيضا فتفضل الطبيب بمنحنا تصريح مرور خاص بالزوار ، فذهبنا ووضعنا أمتعتنا فى " الكابينة " ونزلنا مرة أخرى ، فودعنا أصدقاءنا ، وركبنا السفينة من جديد ، وهناك التقينا بمحافظ الحجاج ، وسمح لنا الطبيب – وكان ذلك كرما منه – بالذهاب إلى السفينة وأخذ أمتعتنا أيضا .

حجز الكابينة :

فى البداية ظننت وظن إسماعيل أيضا أننا سنأخذ الكابينة المجاورة لكابينة القبطان ، ولكن نظرا لأن حاجى عبد الغنى حجز هذه

الكابينة للحافظ محمد صديق رئيس البلدية ، لهذا كان علينا أن نبحث عن مخرج ، كان إسماعيل يتجول فى القرنطينة ، وحين ركبت الباخرة عرفت أنه لا يوجد سوى كبينتين خاليتين ، الكابينة رقم عشرة ، والكابينة رقم أربعة !!

فضلت أن أقيم فى الكابينة رقم أربعة لأسباب منها أننى حين سافرت إلى الحجاز أول مرة ركبت فى هذه الكابينة ، وفى العودة أيضا كان حظى أن أركب الكابينة نفسها ولهذا صار بيني وبينها نوع من الأنس والألفة !! والفرق بين الكابينتين أن الأولى كانت فى الباخرة المسماة بجهانكير والثانية فى الباخرة خسرو ، والسبب الثانى أن الكابينة رقم عشرة كانت – كما يقول السيد نشتر – فى جانب المحرك، ولهذا اقتضت الحيطة ألا أذهب إلى هذه الكابينة ، وهكذا قررت أن أضع أمتعتى وأمتعة إسماعيل فى الكابينة رقم أربعة ، كما تم حجز الكابينة رقم خمسة للنائب محمد شريف ، وبعد الانتهاء من هذا الترتيب نزلت من الباخرة واكتشفت أن مظلتي وسكينتي قد فقدتا .. لم أقلق بسبب ضياع السكينة ، لكننى اضطربت كثيرا بسبب ضياع المظلة"أى الشمسية " وكان من الضرورى التصرف بشكل أو بآخر للحصول على شمسية أخرى .

كان أكثر ما أسفت عليه من أمر فى أثناء قيامى فى كراتشى هو أنه رغم كل المحاولات لم أستطع أن ألتقى بالشيخ عبد المجيد ، وشهبندر مير محمود بلوتش والحافظ شريف حسين ، التقيت بالحافظ شريف

حسين خارج القرنطينة ، والتقيت به مرة أخرى حين كنت أركب الباخرة ، ووصل الكثير من الأحباب والكثير من أهل كراتشى إلى الميناء ، وفى حوالى الساعة الخامسة والربع ركبت السفينة ، وكان قد جاء لوداعنا السيد مجتبى وأخوه وعميد الجامعة الإسلامية ودار اليتامى شهبندر عبد الله هارون ، فقمت بتحيتهم من فوق ظهر السفينة وفى الساعة الخامسة والنصف ركب حاجى شهبندر عبد الله هارون السفينة وكان يوسف قد رجع فى ذلك الوقت ، وعرّفنى شهبندر عبد الله بخان بهادر واحد بخش ، وببعض السادة المسافرين معنا ، وقدم لى إسماعيل تقرير شركة الحج ، وأكد علينا أن ندون دائما محاسن ومساوئ الشركة من وجهة نظرنا وذلك طوال السفر ، وودعنا شهبندر هارون ومضى فى حوالى الساعة السادسة ، وحين تعرفت على القبطان عن طريق إسماعيل المسئول عن التذاكر بشركة تيريز ماريسون قال القبطان ضاحكا : " إنكم أهل الصحافة تكتبون كل شىء .. يجب أن نخشاكم !"

بدء الرحلة البحرية :

قبل السابعة بدقائق قليلة أصدرت السفينة الصوت الكريه الذى سبق وأصم أذاننا عدة مرات .. كان هذا هو الإعلان الأول عن بدء الرحيل !

وهكذا نزل من السفينة حاجى عبد الغنى رئيس لجنة الحج ، والكبيب ومساعده ومحافظ الحجاج ، ثم رفعت السلالم الواصلة بين السفينة والرصيف ، وانطلقت الصفارة الثانية .. وبدأت السفينة تفارق الشاطئ بهدوء شديد ، وكان قد تجمع على الشاطئ ما يقرب من ألفى شخص ، فرددوا فى صوت واحد : الله أكبر الله أكبر . وبعد قليل كانت السفينة تمر بمحاذاة جزيرة " منورا" لتدخل فى البحر الواسع ، وبدأنا نحن نتحرك مع السفينة ندعو الله ونرتل ﴿ بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا ﴾

وهكذا وفى دقائق حرمنا ليس فقط من اليابسة بل ومن مشاهدتها لنحو ستة أيام .. وحين غاب الساحل عن أنظارنا كان أول ما فكر فيه الجميع هو " الطعام " و " الشيشة " ونحمد الله .. فقد انتهيت من مثل هذه التدابير بسرعة وقد تمكنت بعد خبرة أربع سنوات من النوم فى كابينة السفينة .

رفقاء السفر :

أرى من المناسب هنا أن أجمل الحديث عن رفاق رحلتى ، فالنائب محمد شريف الأمرتسرى كما تعرفون هو الذى تم حجز مقعده معى ، وهو نائب المحافظة - المتقاعد - للثروة المائية ، وهو رجل متواضع وشريف ، سبق له السفر إلى لندت وهو مسافر الآن لقضاء مناسك الحج .

وحافظ محمد صديق الملتانى من كبار القوم ، وهو عضو من أعضاء البلدية ، وقد التقيت به فى محطة لاهور ، وحافظ محمد صديق من أكبر تجار دلهى وله متجران أيضا فى كلكتا ، يديرهما والده ، وهو مهتم بالأعمال المتعلقة بتطوير أحوال المسلمين وتعليمهم ، وهو رجل على خلق ، تقى ورع ، وكان لوجوده بيننا أعظم الأثر فى جلب الراحة لنا ، وكان برفقته شمس الحق الدهلوى وبعض الإخوة الآخرين مثل شمس الإسلام وقمر الإسلام وحاجى محمد دين .. وأذكر هنا الحافظ فخر الدين من كانبور ، وهو ذاهب لأداء مناسك الحج للمرة الرابعة ، وهو من تجار الحديد ، وولده نعيم الدين من المشتركين فى صحيفتنا ، وكان معنا أيضا شمس العلماء سيد أحمد ، إمام جامع دلهى ، والإمام شمس العلماء غنى عن التعريف ، كما قدم معنا أيضا شهبندر عبد الشكور صالح محمد الذى وصل من بمباى إلى دلهى ، وهو من التجار الكبار، وتجارته تغطى تقريبا كبريات مدن الهند ، وقد التقى به إسماعيل وهو عائد من مصر ، وخلال هذا السفر توطدت أواصر الصداقة بينهما ، وفى لاهور سمعت كثيرا عن حسن أخلاق شهبندر عبد الشكور من إسماعيل ، وحين قدمت الباخرة لأول مرة شاهدته وعرفت أنه هو شهبندر عبد الشكور ، ومن حسن الحظ أن كابينته كانت بجوارنا ، وكان رفيقه فى الكابينة النائب محمد شريف ، ولا يمكن أن أكتب عن شهبندر عبد الشكور شيئا سوى أننى وجدته أفضل كثيرا مما وصفه لى إسماعيل .

ونائبنا محمد شريف ممن لا تجرى الكلمات على لسانه بسهولة كما أنه رجل حصيف الرأى ، لا يمكنه أن يظهر رأيه فى أحد بسهولة ولا بسرعة ، ولكنه بالأمس تحدث عن شهبندر عبد الشكور فقال لست من مريدى أحد على الإطلاق ولكن قلبى يتمنى أن أكون من مريدى شهبندر ، ذلك لأن هذا الرجل ملاك فى شكل إنسان . وكان معنا أيضا ابن حاجى وارث على من تجار آجرا(*) المشهورين شهبندر محمد يوسف ، كما قدم مع شهبندر عبد الشكور من بمباى شهبندر كهنداوائى وشهبندر محمد سليمان .

بقية الأصحاب :

قدم أيضا محبوب صديقى على رأس جماعة من الحجاج ورافقنا فى الباخرة نفسها ، كما قدم أحد تجار مسقط إلى كراتشى ومنه ركب معنا الباخرة نفسها. وهذه أسماء بقية الأصحاب : ابن خان بهادر وأحد بخش ، الوزير السابق لخيربور ، ولا أتذكر اسمه الآن ، ورئيس سكرتارية بهاولبور ، والسيد ميان نذير حسن ، ومولوى أبو الحسن ، وبعض أهل أمرتسر ، والدكتور ولى محمد البهوبالى عضو مجلس الإمارة الذى ألف كتاب " سفرنامه أندلس " وقضى ثمانية أعوام فى

(*) أجرا : تنطق الجيم مثل نطق المصريين (القاهريين) لها . (المترجم)

كتابة تاريخ الأندلس الإسلامى ، وسافر إلى إسبانيا مرتين للسياحة ، وينوى بعد أداء مناسك الحج أن يسافر إلى تونس والجزائر ومراكش وإسبانيا .

ركب فى الباخرة خسرو من بمباى ٥٧ راكبا ، ومن كراتشى ١٤٠ راكبا ، من بينهم عدد كبير من حجاج إيران كانوا يحملون كمية كبيرة من السجاد العجمى ، ومنذ أمس وعملية بيع وشراء السجاد مستمرة على ظهر السفينة والإيرانيون أقاموا احتفالاتهم بالمأتم على ظهر السفينة مرتين(*) .

المطعم الشعبى فى الباخرة

هناك نظامان لتناول الطعام فى الباخرة ، أحدهما خاص بالطعام الإنجليزى ، والآخر خاص بالطعام الشعبى . وكما تعلم فإن مجلس جمعية الخلافة المركزية مشترك فى ترتيب أمور الطعام الشعبى ، ولهذا رتبنا أمرنا على تناول الطعام الشعبى ، وبدأوا فى تقديم الطعام فى مساء يوم الثالث والعشرين من أبريل ، واستمر ذلك حتى الثانى أو الثالث من مايو وقت الوصول إلى جدة ، وتكلفة العام لطريق واحد

(*) يقصد احتفالات الشيعة بواقعة كربلاء ، وهم ينشدون فيها بعض الأشعار المؤثرة ، ويلقون بالمواعظ ويصفون ما حدث تاريخيا وصفا مثيراً . (المترجم)

(ذهابا أو إيابا) في الدرجة الأولى خمسة وعشرون روبية على الحساب ، فهناك أسعار محددة للأشياء التي يتم إعدادها خارج قائمة الطعام المقررة ، واليوم هو الخامس على تناولنا هذا الطعام ، والمدير يولينا اهتماما خاصا ، والحق يقال إن الطعام ليس جيدا من وجهة نظر أهل البنجاب ، إلا أن مكونات الطعام نفسها جيدة ، لكن الطباخ ليس بماهر ، إذ لم تكن لديه دراية جيدة بطريقة إعداد الطعام طبقا لذوق أهالي محافظات الهند المختلفة . والمصيبة الكبرى أن أولئك الذين يتناولون الطعام الشعبي ليس لهم مكان يتناولون فيه هذا الطعام ، فهم يفترشون الأرض في الممرات ، ومن شاء أن يجلس ، جلس وتناول طعامه ، أو طلب الطعام في الكابينة ، إلا أن الكابينة لا يوجد فيها مكان للجلوس ، بعد أن يضع الشخصان المقيمان فيها أمتعتهما ، وقد حاولنا الحصول على إذن لتناول الطعام في الصالة المعدة لتناول الطعام الإنجليزي ، لكن القبطان قال إنه لا يمكن إعطاء إذن بذلك ، لأن هذه الصالة قاصرة على ضباط السفينة فقط .

كانوا يقدمون لنا الشاي في الصباح وبعد العصر ، كما كانوا يقدمون نوعين من " الإدام " (أي الطبيخ) في وجبتين ، مع الأرز وقليل من الحلوى ، كما كان يمكننا الحصول على بيضة مسلوقة بثلاث آنات (الروبية ١٦ آنة) أما زجاجة الصودا فكانت بثلاث آنات ، وزجاجة الليمونادة بأربع آنات (أي ربع روبية) ..

كان أسوأ ما فى الطعام الشعبى هذا الخبز ، كانوا يقومون بعجن الدقيق مع قليل من السمن ، ثم خبزه على " الوابور " ، وحين شاهد أهل البنجاب شكل الخبز ، أصيبوا بالذهول ، فقد خافوا أن يصابوا بالمرض بعد تناوله ، وقد حدث !! لكن كان من الصعب الامتناع عن الطعام علاجا لهذا الأمر ، وأنا نفسى مرضت أول أمس ، وبحمد الله تحسنت صحتى قليلاً بالأمس ، إلا أننى شعرت اليوم بأننى على حافة المرض .. ويعلم الله ماذا سيجرى غدا ..

على كل حال فى مساء يوم الخامس والعشرين قام النائب محمد شريف بدعوة بعض الأصحاب ومنهم العبد لله ، وإسماعيل ، وعبد الشكور ، والكهنوانى ، وشهبندر محمد سليمان ، وحافظ محمد صديق الدهلوى ، والسيد شمس الحق ، والإمام شهبندر محمد يوسف ، وأمين الدين البهاولبورى ، ومولوى أبو الحسن ، ومولوى أشرف على الإمرتسرى ، ومولوى محمد حسين الإمرتسرى ، ومولوى محمد حسن الإمرتسرى . وقد أعطانا القبطان إذنا خاصا لاستخدام صالة الطعام ، وبعد تناول الطعام قام المدعوون بتقديم جزيل الشكر للسيد النائب محمد شريف.

مصاعب السفر إلى الحج :

لا يوجد حتى الآن ما يستحق الذكر فى هذا السفر ، لقد سافرت من قبل ، وكانت السفينة بأكملها مملوءة بالبضائع والأمتعة ، وكان معى

مسافر واحد فقط ، لهذا كنا نقوم باستخدام السفينة كما يحلو لنا ، ولكن الأمر يختلف الآن ، فمعنا الآن ثمانمائة مسافر على الأقل ، يحاول بعضهم أن يستنشق الهواء فيصعد إلى سطح السفينة ويفترش لحافه ، بل يقوم البعض بذلك أيضا أمام كبائن الدرجة الأولى . إن شخصا مثلى يميل إلى الهدوء والسكينة يعانى فى مثل هذا السفر عناء شديدا ، ولكن لأن جميع المسافرين من المسلمين ، فضلا عن كونهم من الحجاج ، فإنهم انصرفوا طوال وقتهم إلى ذكر الله والدعاء والصلاة والتلاوة ، وسيطر جو العبادة على السفر ، ولهذا فقد كنت مطمئنا هادئ البال ، ورغبت فى كل لحظة أن أحاول تخفيف أى ألم أو أى تعب قد يمس أحد الإخوة المسافرين معى ، والدنيا كلها تعرف أن بواخر الحجاج لا توجد بها ترتيبات مناسبة لمسافرى الدرجة الثالثة ، وقد سبق وكتبت بنفسى عدة مقالات شاكيا من هذا الأمر ، لكنى الآن أخوض التجربة بنفسى حين نزلت إلى الأدوار التحتية ثلاث مرات أو أربع مرات ، وأُخبرت بأن هذه السفينة تحمل عادة عددا قليلا من المسافرين !! (أى ٨٠٠ مسافر بينما حمولتها الفعلية ١٥٠٠ مسافر) .

ومن هنا يجد كل مسافر من الحجاج مكانا كافيا ، لكن رغم هذا لا توجد ترتيبات تسمح بوجود هواء متجدد لهؤلاء الناس ، فضلا عن أنهم يُرصون كالبهائم ، ولو لم يكن الجو حارا لما حدثت متاعب كثيرة ، ولكن لأننا كنا نقترب من البحر الأحمر ، لهذا بدأت حرارة الجو فى الارتفاع تدريجيا ، مما زاد من متاعب الحجاج.

كان قبطان الباخرة رجلا شريفا طيبا ، يهتم على الفور بأى شكوى ويعالجها ، وكان يعمل جاهدا على راحة الحجاج بقدر الإمكان ، لكن ليس فى إمكانه تغيير وضع السفينة أو شكلها .

انقلاب فى ٢٩ أبريل ١٩٣٠م

مشاغلنا اليومية

كان هذا حالنا كل يوم .. نستيقظ فى الصباح فنؤدى الصلاة ، ثم نذهب إلى الحافظ محمد صديق فى الطابق العلوى ، فنشرب معه الشاى فى أغلب الأوقات لأن خادمه كان مرافقا له ، فضلا عن أنه كان يهتم بل يسعى إلى راحة جميع الأصحاب والرفاق فى هذه الرحلة، ولهذا أرسلت " الشيشة " و" الدخان " إلى كابينته ، وكانت الشيشة تعد وتعكر فى الصباح أيضا ، وكنا فى الظهر ننزل وقت الطعام إلى الدور الأسفل ، وبعد تناول الطعام كنت أذهب إلى كابينتى لأنام ثم أستيقظ فأصلى وأصعد إلى السطح ، وعند صلاة المغرب نتجمع كلنا لنصلى خلف إمام مسجد دهلى الجامع ، وبعد الصلاة ننزل لتناول الطعام ، وبعدها نصعد مرة أخرى ، ونظل حتى الساعة العاشرة ليلا ، وأحيانًا كنا نستمر حتى منتصف الليل مستلقين على الكراسى المريحة .

كان لدى الحافظ محمد صديق جميع وسائل الراحة ، وبكثرة ، وأذكر أن الصداع الشديد أصابنى فى يوم من الأيام ، فأعطانى زيتا طبيا من النوع الثمين ، وضعه فى قنينة جميلة ، وكنت إذا ما شعرت

بالغثيان قدم لى أيضا سفوف الكمون ، ومنذ أمس بدأ يقدم لى " ليمون إسكواش " كما أرسل لنا ظهر أمس الأرز البلاؤ والدجاج مع الإدام (أى الطبيخ) ، كما أتحفنا عدة مرات " بالجاتوه " اللذيذ والحلويات الأخرى المتنوعة . أما إسماعيل فنال أوراق " التنبول " وقد حرمت منها لأننى كما تعرف أقلعت عن عادة مضغ أوراق " التنبول " منذ شهور .

منذ أربعة أيام أشعر باضطراب ، فكل ما حولى ماء ، وكل ما فوقى سماء ، لم يكن لهذا المنظر أن يتغير أبدا ، وقد خاطبت نفسى ذات يوم وأنا على هذا الحال قائلا : يا إلهى ! لماذا لا تهب الصواعق ، ويأتى الطوفان ، حتى يتغير هذا المنظر الثابت؟!

أول أمس لاح لنا منظر جزيرة " ريات موريا " وبعدها عاد إلينا المنظر السابق نفسه الذى يصيب الذهن بالتعب .. مياه البحر ولا شىء غير مياه البحر ، واليوم فجأة وفى حوالى الساعة الثانية لاح لنا منظر اليابسة ، أو على ما يبدو جبال جزيرة العرب ، وسمعت أننا سنمر غدا أى ٢٩ أبريل عند الساعة الواحدة بالقرب من عدن ، وبعد غد أى فى الثلاثين من أبريل سترسو السفينة على ساحل جزيرة كامران حوالى الساعة الواحدة أو الثانية .

ومن الجدير بالذكر أن الحجاج الذين ركبوا من كراتشى كانوا قد تطعموا ضد الجدرى والكوليرا ، أما الحجاج الذين ركبوا من بمباى (وعددهم ٥٧) فلم يفعلوا ذلك ، ولو أنهم فعلوا ذلك ، أى تطعموا ضد

الجدرى والكوليرا لما كنا بحاجة إلى الذهاب إلى كامران ، والبقاء هنا ، وهكذا أخذنا نحن بذنب السبعة والخمسين من حجاج بمباى ، إلا أننا عرفنا اليوم من مساعد القبطان أن الحجاج السبعة والخمسين فقط هم الذين سينزلون إلى كامران ، حيث سيتم تبخيرهم .. وطالما لا يحاول مسلمو الهند جاهدين وطالما بقوا مستكينين ، فلن يرفع عنهم بلاء " كامران " ولو قام جميع الحجاج بتطعيم أنفسهم ضد الجدرى والكوليرا فسوف تنتهى تماما مسألة النزول فى جزيرة كامران .

٣٠ أبريل ١٩٣٠م البحر الأحمر (على بعد خمس ساعات تقريبا من كامران)

كامران عن قرب :

قيل إننا سنصل اليوم عند الساعة الواحدة إلى كامران ، لكن لا يمكن القول ماذا سيحدث لنا هناك ، والحجاج الذين ركبوا من كراتشي (وعددهم ٧٠٠ حاج) جميعهم مطعمون ضد الجدرى والكوليرا ، ولهذا نجا هؤلاء من مصائب كامران ، ومع هذا فنحن مضطرون إلى الذهاب إلى كامران بسبب الحجاج الذين ركبوا من بمباى .. وهكذا استمر سماعنا للأقاويل المختلفة مدة ثلاثة أيام أو أربعة : مرة يقولون إننا سنبقى فقط لثلاث ساعات ثم نمضى بعدها ، ومرة يقولون إن الجميع سينزل من السفينة وسيذوق الجميع طعم مصائب كامران .. وقد سمعنا منذ مدة عن " أقوال " كامران ، وكان ما سمعناه

من إسماعيل قد زاد فعلا من قلقنا واضطرابنا ، فقد قال إسماعيل إنهم يجردون الجميع من ملابسهم ، ولا يسمحون لهم إلا بما يستر العورة ، ثم يضعون جميع ملابس الحجاج فى مكان واحد ويقومون بتبخيرها ، وهذا الاحتياط العملى لحماية الحجاج ، بطوله وعرضه وعمقه قد قررته حكومتنا ، وجعلت من كامران محطة لذلك حتى تحافظ على صحة الناس ، ويتم تحصيل مبلغ عشرة روبيات من كل حاج ، ولو نزلنا كامران فسوف أكتب عن ذلك بالتفصيل إن شاء الله تعالى .

عدن وباب المندب :

الأمس وفى حوالى الحادية عشرة والنصف بدأت مرتفعات عدن تظهر أمامنا ، وفى الواحدة وصلنا إلى عدن ، قام الحافظ صديق بإرسال برقية إلى دهلى ولكننا فضلنا أن نرسل برقية من جدة . وقد تكلفت الكلمة فى برقية الحافظ روبية ونصف بواقع ١٠ أنة لكل كلمة ، ذلك لأن البرقية تذهب من السفينة إلى عدن أولا ومن ثم إلى الهند ولهذا فتكلفة الكلمة عالية.

أخى الحبيب !

إنك تعلم أن منظر عدن وباب المندب بالنسبة لى مؤلم ومحزن ، ذلك لأن هذا المكان يعد من أهم أماكن الدعوة الإسلامية فى منطقة البحر

الأحمر وبحر الهند .. واليوم هذا المكان – للأسف – فى قبضة غير المسلمين ! آه .. كيف ضاعت النعم الأرضية من أيدى المسلمين ، الذين كانوا ذات يوم يملكون البحر والبر ، وكانوا يبسطون سيطرتهم على المناطق البحرية والبرية فى أوربا نفسها وفى إفريقيا وآسيا ، لكن اليوم ترفرف أعلام الخير على هذه الأراضى .. فكل جزيرة نراها هى ملك للإنجليز ، وكل ساحل يبدو أمامنا إما تابع للإنجليز أو تابع لدولة أوربية أخرى ..

فى الساعة التاسعة ليلا بدت لنا أنوار جزيرة " بيرم " ، وتقع هذه الجزيرة عند باب المندب ، وهى الآن فى قبضة الإنجليز ..

ظلت أنوار الجزيرة تتلألأ أمامنا ، جذابة رائعة لمدة ساعتين ، بينما استمر معظم الحجاج واقفين على ظهر السفينة يتفرجون على هذا المنظر الخلاب ، لكن الأمر بالنسبة لى كان مختلفا ، فقد كانت هذه الأنوار المتلألئة – فى عينى – دموعا ملتهبة تنسكب بسبب زوال الحكم الإسلامى عن هذه البقعة ، ولهذا استمر مزاجى معتلا طول الليل .. ولأن جميع ركاب السفينة من المسلمين ، وجميعهم يقصدون حج بيت الله ، لهذا كانت المشاعر الدينية تسيطر على الجميع ، فالكل يؤدى الصلاة بانتظام فى أوقاتها ، ويرفع الأذان مرتين أو ثلاث مرات ، وتقام جماعتان أو أكثر ، وفى الفجر يرتفع صوت المؤذن يشق الفضاء : الله أكبر ، الله أكبر .. الصلاة خير من النوم ..

فـى يوم الجـمـعـة الماضـى (اليـوم هـو يوم الأربعـاء) رتـب مـولوى محـمـد حسين الإمرتسرى صـلاة الجـمـعة ، وخطب فـى الناس ، وصلى بهم الجـمعة ، وقـد شـرح فى الخطبة فـضـائل الحـج وفـصل الحـديث عن مناسكه .

مطالعة الكتب :

لم أحـمـل معى فـى هذا السفـر كتبا كثـيرة ، لأن هـذا السـفر سفر عبادة ، وكنت أتوق من صميم قلبى إلى أن أقضى وقتى فى قراءة القـرآن الكريـم ، ولهذا حمـلت معى المصـحف ، بالإضـافة إلى ديوان " كليـات " الشـاعـر غـالب والشـاعـر نظيـرى ، وكتـاب تاريخ الفـقـه الإسـلامى ، وكتـاب أرض القـرآن وديـوان بيام مـشرق للعلامة إقبال(*) ، وكـتـاب أمـين الريحـانى "ابن سـعـود" Ibn Saud of Arabiya وهو بالإنجليزية ، وخريطة للجزيرة العربية ، ولا شـىء غير هذا ، لكننى حتى الآن لم أتمـكن من تـلاوة القـرآن حـسب مـا كنـت أرغـب ، وأشـكر الله علـى أننـى أقـضـى الليـل والنهـار فى مناقـشـة القـضـايا والموضـوعـات الدينيـة ، ودراسـة مـعـانى مـخـتلف آيات القـرآن الكريم وترجمتها وتفسيرها .

(*) ديوان بيام مشـرق ، أى رسـالة المشـرق للعلامة محـمـد إقبـال ، وقـد ترجمه د . عبد الوهاب عزام إلى العربية . (المترجم)

أثار اليوم الحافظ محمد صديق موضوع تفسير الآية الواردة فى سورة يوسف ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾ الآية رقم ٢٤ ، وعندها ذكر إسماعيل أنه كتب رسالة مستقلة عن " عصمة الأنبياء " إلا أنه لم ينشرها لبعض الأسباب ، ومن هنا أخذ إسماعيل يفسر بعض الآيات المتعلقة بقصص موسى عليه السلام وداود عليه السلام ، وتمتعنا جميعا بتفسير هذه الآيات .

كان كل منا ماهرا فى هوايته ، وفى كل ما يتعلق بعمله ومهنته ، فشهبندر عبد الشكور كان يقدم معلومات مهمة جدا تتعلق بالتجارة فى بمباى ، وهو يذهب كل سنة تقريبا إلى أوربا ، وكان الإمام أى إمام مسجد دهلى الجامع يحكى لنا بطريقة جذابة الأحداث القديمة فى دهلى ، وبالأمس تحدثنا مع القبطان لفترة طويلة وورد ذكر " فلبى " فقلت له إننى لقيته فى السفينة سنة ١٩٢٥م ، وحين جاء ذكر كتابه سألنى القبطان : هل معك هذا الكتاب ؟ فقلت له : ليس معى كتابه ولكن معى كتاب أمين الريحانى " ابن سعود " Ibn Saud of Arabiya وهكذا أخذ منى القبطان هذا الكتاب ليطالعه .

الآن الساعة التاسعة ، جاء القبطان وقال : سوف نصل إلى كامران حوالى الساعة الثانية عشرة .

وعلمت أيضا أن الخطاب الذى يرسل من كامران إلى الهند يستغرق وصوله عشرة أيام ، ولهذا عقدت العزم على أن أرسل خطابات

الاطمئنان على وصولنا من هنا ، أما الخطابات الخاصة بالرحلة فسوف أرسلها بالبريد الجوى من جدة .

الاستعدادات للقرنطينة :

٣٠ أبريل بعد العصر ، البحر الأحمر ما بين كامران وجدة .

كنا على وشك الوصول إلى جزيرة كامران فى الساعة الحادية عشرة ، وحين وصلنا بالقرب من الجزيرة ، شاهدنا عشرة أطفال أو أكثر ، قدموا ناحيتنا بمراكبهم الصغيرة ، فأخذ الحجاج يلقون إليهم بالنقود المعدنية التى كانت تسقط فى الماء فيغوص الصبية فى الماء لالتقاطها ، وقد استمر هذا المشهد حول السفينة لما يقرب من الساعة ، ولما كانت السفينة لم تتلق الأوامر بالدخول إلى كامران ، فقد اعترانا خوف شديد من أن ينزلونا جميعا على ساحل كامران لنذوق ويلات " التمتع " بإجراءات الوقاية الصحية التى أقرت حكومتنا المبجلة(*) أن تكون كامران مقرا لاتمام هذه الإجراءات ، يعنى الغسل والتبخير والرش بالبودرة .. ولهذا ركبنا جميعا رأس إسماعيل ، وأخذنا نُصر ونتمنى عليه أن يبحث لنا عن مخرج للهروب من هذه الويلات ، وإذا لم يتمكن ، فلا مفر من النزول والمعاناة داخل القرنطينة ، على أن ننجوا

(*) يقصد حكومة الهند تحت الاحتلال البريطانى . (المترجم)

من مسألة التبخير حتى لا نضطر إلى ارتداء الملابس التى تكون عادة مبللة بالبودرة . وهكذا سلم الحافظ محمد صديق وشمس الحق وشهبندر عبد الشكور والنائب محمد شريف ملابسهم إلى إسماعيل حتى يمرر هذه الملابس من مرحلة التبخير ، فنحن نحمل الأوراق التى تثبت تطعيمنا ، وهكذا يمكننا النجاة من ارتداء الملابس المبللة ، وهكذا قسمنا الملابس أنا وإسماعيل ، ووضعنا نقودنا فى محفظة ، ووضعنا المحفظة فى الجيب ، وأخذت ساعتى المذهبة ، وكان إسماعيل قد نسى ساعة يده (ثمنها تسعون روبية) فى القطار ! وحمل جميع مسافرى السفينة ملابسهم واستعدوا لمغادرة السفينة .

النجاة من المصيبة :

فى ذلك الحين وصلت برقية (لا سلكية) تفيد بضرورة فصل حجاج بمباى ، على أنه إذا كانوا على استعداد للتطعيم فبها ونعمت ، وإلا اضطروا إلى النزول إلى الساحل . وقام الشهبندر عبد الشكور بإقناع حجاج بمباى بقبول التطعيم ، فتجمعوا كلهم فى صالة واسعة ، ومن ثم قدم طبيب كامران إلى السفينة حوالى الساعة الثانية عشرة والنصف ليشرف على قيام أطباء السفينة بتطعيم الحجاج ، وهكذا نجونا جميعا من مصيبة النزول فى كامران .

وقبلنا بساعات كانت سفينة حجاج قد وصلت من عدن إلى كامران ، ونزل مسافروها أمام أعيننا على الشاطئ ، ومروا بمرحلة التبخير ورش

البودرة ثم عادوا إلى السفينة ، وقد تولى تطعيم النساء على ظهر سفينتنا أطباء رجال ، وقد ذكر إسماعيل أنه توجد فى كامران طبيبات يقمن بتطعيم النساء .

التقينا فى الساعة الثانية بطبيب كامران ، ويدعى الدكتور محمد نور تشوهان ، وسمعت أنه من سكان " تهياوار " كنا قد دعونا الله جميعا أن ينجينا من النزول على ساحل كامران حتى لا نتعرض للمرور بمراحل القرنطينة ، فاستجاب الله لدعائنا واستُثنينا من النزول على ساحل كامران ، وبعدها رغبت من كل قلبى ، وشدنى شوق إلى كامران ، إلا أنه لم يكن من السهل الحصول على إذن بذلك .

جزيرة كامران :

وقفت سفينتنا على بعد ربع ميل(*) من الساحل ، فأخذت المنظار المكبر ، وأخذت أتطلع إلى جزيرة كامران لنصف ساعة تقريبا ، مساعات واسعة جافة مترامية الأطراف ، تلال هنا وتلال هناك ، وفى طول الجزيرة وعرضها لا يوجد أثر لشجرة ، ولا نبتة ، ولا عمران ، ولا خضرة .

(*) جاء فى الأصل " ٢ فرلانك " . والفرلانك نحو ثمن ميل ، أى على بعد ربع ميل تقريبًا . (المترجم) .

كانت هناك مواقف قريبة من الساحل وهي مواقف منفصلة ومتباعدة عن بعضها ، وهناك هوائيات للاسلكي ، ومبنى القرنطينة ، وقد سمعت أن بعض الدكاكين قد افتتحت في الجزيرة . وبصفة عامة يشتري المسافرون بالبواخر الأسماك الدجاج ، وهكذا طلبت من إسماعيل أن يشتري لنا الدجاج ، ورغم أن الطعام يجهز لنا بالمطعم ، فإننا يمكننا أن نطبخ أحيانًا بأنفسنا ... إلا أن إسماعيل قال ببساطة : وليس من المناسب لجماعتنا أن تشتري شيئا ، فهذا يتعارض مع دستور الجماعة " وحسن سألته : " أي جماعة ؟! " رد قائلا : " جماعة العلماء " وهكذا عقدت لساني عن الكلام ، والحقيقة أننا كنا في حالة طيبة وكان كل شيء ميسراً لنا ، تناولنا الأسماك بكثرة أمس ، واليوم سنتناول الدجاج دون حاجة إلى شراء الدجاج وطهيه بأنفسنا .. أنا لست من زمرة " جماعة العلماء " ، ولكن بسبب وجودي مع إسماعيل ، عوملت معاملة العلماء ، أو على الأقل نالني نصيب من إكرام العلماء ، وإن كنت في الحقيقة عالة أو متطفلا على إسماعيل .

مضت ساعتان بينما سفينتنا في وضع الانتظار ، بينما وصلت السفينة " رحماني " التابعة لشركة "تيرز ماريسون" إلى كامران ، وكانت قد غادرت بمباي في الثالث والعشرين وأصاب القلق قبطان سفينتنا لأن " رحماني " لحقت بنا.

وعلى كل حال انتهى أمر الانتظار في الساعة الثالثة ، ورست السفينة " رحماني " ولعلها تغادر كامران مساء اليوم أو صباح الغد ،

مما أدخل السرور الشديد على قبطان سفينتنا ، وفى الساعة الثالثة مرت " خسرو" مرور المنتصر بجوار " رحمانى " متجهة إلى جدة ، وكانت السفينة التى تحمل الحجاج من عدن قد سبقتنا ، ولكن قبطانها لم يكن على دراية كبيرة بمسالك البحر حول جزيرة كامران لهذا قطع مسافة كبيرة حتى تمكن من دخول مياه البحر ، أما قبطان سفينتنا ، فقد مر بالقرب من ساحل كامران ، ودخل مياه البحر بسهولة ويسر ، وخلف من ورائه بعدة أميال تلك السفينة ، وأخذنا نمدح هذه المهارة التى يتمتع بها القبطان مما أدخل السرور على قلبه ، فظل يضحك ويقهقه فرحا.

أكلة سمك :

مع بدء حركة السفينة بدأت عملية قلى السمك ، وفى حوالى الساعة الرابعة قدم إلىَّ يوسف شهبندر تجار آجرا(*) وطلب منى أن أرافقه إلى كابينته ، وهناك جاء بالسمك المقلى الذى تمتعنا بطعمه اللذيذ أنا وإسماعيل والشهبندر عبد الشكور والنائب ، بينما كان الحافظ يتولى قلى السمك فى الطابق العلوى .. كيف أعبر لك عن لذة الطعام ونكهته الطيبة !؟ لقد تمتع معنا بهذه الوجبة الإمام وحاجى عبد الجليل ورفاق الحافظ محمد صديق وتاجر مسقط وآخرون ، وقد شبعنا كثيرا لدرجة أن بعضنا لم يتمكن من تناول طعام العشاء .

(*) تنطق الجيم مثل نطق المصريين (القاهريين) لها . (المترجم)

واقعة مؤلمة :

شاهدت واقعة مؤلمة ومحزنة جدا وقت سير السفينة من كامران ، كان السواحليون الفقراء من أصحاب المراكب قد حملوا معهم السمك والدجاج والثلج وأشياء أخرى يقومون ببيعها لركاب السفينة ، ولما كانوا غير قادرين على الوصول بأنفسهم إلى السفينة ، فقد كنا نقوم برفع هذه الأشياء عن طريق أكياس كالسلال الصغيرة عقدت فى حبال ، يقوم بإدلائها الحجاج الذين يرغبون فى شراء شيء مما يحمله هؤلاء الفقراء ، ويرفعون هذه الأكياس إلى السفينة ويخرجون البضائع ثم يضعون قيمة هذه البضائع المحددة فى الأكياس ، ويدلونها مرة أخرى لأصحاب القوارب ، وهكذا استمرت عملية البيع والشراء حتى وقت تحرك السفينة .

حين انطلقت السفينة بالمسير كان بعض الحجاج قد اشتروا السمك ، وبينما كانت السفينة تمضى ببطء كان أصحاب المراكب يمضون أيضا جنبا إلى جنب مع السفينة ، إلا أن هؤلاء الحجاج الذين اشتروا السمك ، لم يدلوا بالأكياس مرة أخرى ليدفعوا قيمة مشترياتهم .. وزادت سرعة السفينة ، وبدأ القلق يظهر على وجوه أصحاب المراكب ، فقال إسماعيل بصوت عال : اتركوا الأكياس .. وبعد دقيقتين أو ثلاث وبصعوبة تركوا الأكياس التى وصلت إلى أصحاب المراكب ، وعرفنا فيما بعد أن هؤلاء الذين اشتروا السمك لم يضعوا القيمة المقررة ، بل وضعوا مبلغا يقل أربع آنات عن القيمة المقررة .

إن مثل هذا السلوك لا يمكن أن يترك أثرا طيبا على قلوب هؤلاء المساكين الذين قدموا لبيع هذه الأشياء للحجاج القاصدين أداء مناسك الحج وزيارة بيت الله ، وأعتقد أن مثل هذه الوقائع ستترك آثارا أخلاقية غير طيبة على أصحاب المحلات فى المناطق الساحلية ، تجاه حجاج بيت الله من أمثال من قاموا بمثل هذه الأفعال .

فاتح الأندلس :

قدم إلىَّ ذات يوم الدكتور ولى محمد بهوپالى ، وبرفقته إسماعيل ، ودار نقاش بيننا يتعلق بتاريخ الأندلس ، وحكى لنا الدكتور الكثير من الوقائع ، وسألته بعض الأسئلة عن طارق فاتح الأندلس الأول ، فقال : طارق بن زياد لم يكن عربى الأصل بل كان بربرى الأصل ، أرسله موسى إلى الأندلس للتعرف على أحوال البلاد ، فوصل طارق إلى الأندلس ، فوجد الظروف مهيأة ، فبدأ سلسلة الفتوحات ، ووصلت أخبار الفتوحات إلى موسى فأرسل إلى طارق يأمره بالتوقف ، حتى لا ينال طارق شرف فتح الأندلس فى الأغلب ، فعرض طارق على رفاقه أمر موسى ، وطلب منهم الرأى والمشورة ، فرأى الجميع ضرورة الاستمرار فيما أقدموا عليه ، وإلا هجم الإسبان عليهم ، وقضوا على الجيش الإسلامى . وهكذا تقرر أن يمضى طارق فى فتوحاته ، ووصل موسى إلى إسبانيا ، فقدم إليه طارق ليؤدى له فروض الطاعة والولاء ،

وعلى مسافة بعيدة نزل من على فرسه ، وطبقا لتقاليد ذلك الزمان ، قبَّل طارق ركاب فرس موسى ، إلا أن قلب موسى كان مملوءا بالغضب ، فرفع سوطه وهوى به على طارق . كانت هذه هى أول شرارة انطلقت وذكت نيران الكراهية بين البربر والعرب ، تلك الشرارة التى ظلت متقدة فى داخل إسبانيا منذ بداية الفتوحات الأندلسية ، واستمرت فيما بعد حتى أخذت شكلا خطيرا ، أدى إلى دمار الدولة الإسلامية فى الأندلس .

كان طارق أنذاك فى الثانية والأربعين أو فى الخامسة والأربعين من عمره ، بينما كان موسى فى السبعين أو الخامسة والسبعين ، وكانا فى ذلك الوقت أعظم قادة المسلمين العسكريين فى المغرب الأقصى ، وأفضل القادة وأمهرهم .

لقد اتخذ الخلاف بينهما صورة خطيرة حتى تم استدعاؤهما إلى دمشق من قبل الخليفة ، وتم عزلهما عن منصبيهما ، وتوفاهما الله فى مكان غير معروف فى جنوب دمشق ، بعد أن عاشا حياة الضنك والعسر !

وقد ذكر الدكتور ولى محمد بعض الوقائع التى دلل بها على جهل المستشرقين الأوربيين وقصور علمهم ، وكان الدكتور ولى محمد قد التقى بالمؤرخ الإنجليزى الشهير " ستينلى لين بول " وكما ذكرت قبلاً فهو الآن ذاهب إلى تونس والجزائر ومراكش وغيرها ، وسوف يركز على مدينتى القيروان وتلمسان ، ولديه شوق لقراءة الفاتحة على قبر عقبة فى القيروان أما تلمسان فهى المكان الذى كان مركزا للعلوم الدينية للمسلمين فى القرون الأولى .

خير الدين باربروسا :

كما تعلم فإن من جملة المقالات (*) التى نشرت فى العدد الخاص مقالا عن خير الدين باربروسا وأخيه عروج ، ومعظم المعلومات مأخوذة عن كتاب " لين بول " القراصنة البربر ، وقد كتب لين بول أن الأخ الأكبر لخير الدين وهو عروج بدأ سلسلة القرصنة البحرية ، وأنه خرج ناحية تونس والجزائر بغرض القرصنة ، إلا أنه بالبحث والتقصى وصل إلى نتيجة تفيد بأن مجىء عروج وخير الدين إلى تونس والجزائر لم يكن إلا لأنهما كانا يريدان نقل مسلمى الأندلس من الأندلس إلى شمال إفريقيا ، لأنه بعد سيطرة النصارى على غرناطة حرمت أجواء إسبانيا من صوت التوحيد ، وتعرض المسلمون لمظالم فادحة مهولة ، لا يمكن للدنيا أن ترى مثيلا لها ، كما أن ما قام به عروج وخير الدين كان انتقاما من ظلم النصارى للمسلمين بعامة ولمسلمى الأندلس بخاصة . وقد سألت الدكتور ولى محمد عن عروج وخير الدين عدة أسئلة ، فأجاب من فوره أن ما قام به الأخوان كان انتقاما من مظالم النصارى ضد المسلمين ، وقد سررت كثيرا مما سمعته من الدكتور ولى محمد لأن ما كتبته منذ سنتين عن وجهة نظرى وجدت تأييدا له من مثل هذا الباحث المحقق المتخصص فى تاريخ الأندلس .

(*) يقصد المقالات التى نشرت فى جريدة انقلاب . (المترجم)

عالم هندى جليل :

حدثنا الحافظ محمد صدّيق عن ميان نذير حسين المحدث الدهلوى رحـمه الله ، وأخذنا نسأله أسئلة كثيرة عنه ، فحكى لنا قصة مؤثرة عن مدى إيثار هذا العالم الجليل . ذات يوم فى المساء هطلت أمطار غزيرة ، وامتلأت الأسواق والشوارع بالمياه ، كان الفصل فصل الشتاء ، وكان العالم الجليل قد رجع إلى بيته بعد صلاة المغرب ، إلا أن جميع الطلبة ظلوا بداخل المسجد ، ولم يتمكنوا من تدبير أمر الطعام ، واستمر المطر يهطل حتى الساعة الحادية عشرة ليلا ، وسمع من بالمسجد طرقات على باب المسجد وفتح باب المسجد ، فوجدوا العالم الجليل ميان نذير حسين واقفا ، وقد حمل جميع ما فى بيته من طعام ، حتى لا يموت الطلاب جوعا .. الله أكبر .. أين نجد اليوم مثل هؤلاء العلماء الأجلاء ؟

وقال الحافظ محمد صديق إنه كان يصلى معه الفجر كل يوم ، وكان فى نهاية حياته يتلو عادة سورة المرسلات ، وحين يأتى إلى قوله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴾ يتغير صوته ويكون مؤثرا جدا حتى إن عينا الحافظ تغرورق بالدموع ، ولا يمكن أن يجد مثل هذا اللطف وهو يصلى خلف إمام آخر .

متاعب النساء فى السفينة :

فيما يتعلق بالسفر البحرى، والتدابير الخاصة المتبعة ، فإننى أرى أن النساء المحجبات يعانين كثيرا من المشكلات والمتاعب ، فلا توجد

لهن دورات مياه منفصلة ، ولا حمامات خاصة بهن ، كما لا يوجد مكان محدد لهن للجلوس والقيام والنوم ، والدرجة الثالثة هى أصلا كالسجن لأولئك الجالسين فيها ، ولا يوجد حتى نظام للتهوية أو وصول الهواء إلى الركاب ، والنساء فى هذه الحالة فى سجن من داخل سجن ، فحتى لو وصل الهواء إلى الغرف فإن النسوة لا يتمتعن به ، نظرا لوجودهن داخل قواطع وفواصل تمنع عنهن دخول الهواء ، كما أن الذهاب والعودة من وإلى دورة المياه والحمام ، يستلزم مرورهن فى كل لحظة بين الرجال ، ومسافرات الدرجة الأولى مثلهن مثل مسافرات الدرجة الثالثة لا فرق سوى الكابينة المنفصلة ، وبالنسبة لسفن شركة " تيرز ماريسون " فإن لكل سبع كبائن دورة مياة منفصلة وحمام ، ولا يوجد فيها تمييز بين الرجال والنساء .

الحمية الدينية للمسلمين :

لكن حماس الإيمان لدى المسلمين ومحبتهم لبيت الله يجعلهم لا يديرون بالا لما قد يتعرضون له من متاعب ، بل يعتقدون أن ذكر المتاعب أثناء السفر إلى بيت الله هى نوع من ارتكاب الذنوب ، وتسمع على لسان كل مسافر هذه العبارة : بقدر ما يكون التعب وبقدر ما تكون المشقة يكون الثواب . وسماع مثل هذا النقاش فى أثناء المتاعب يمكننا من تقدير عظمة هذا الانقلاب الذى أوجده رسول هذه الأمة صلى الله عليه وسلم فى أذهان المسلمين .

لقد مر أكثر من ألف وثلاثمائة سنة ، وظهرت مئات الحكومات وانتهت ، وارتفعت راية الإسلام على مئات الأماكن ، وسقطت من فوق مئات الأماكن ، وحمل المسلمون رسالة التوحيد إلى مئات البلدان ، ونالوا التوفيق ، وتبدل نصرهم فى عدة بلاد إلى هزيمة ، لكن شموع بيت الله الحرام ، لا تزال تجذب إليها اليوم الباحثين عن نور التوحيد ، كما كانت منذ ألف وثلاثمائة سنة ، ولا تزال تجذب إليها الموحدين من كل ناحية من الشمال ومن الجنوب ، ومن الشرق ومن الغرب ، من مراكش والجزائر ، ومن مصر والسودان ، ومن تركيا ومنغوليا ، ومن أفغانستان وإيران ، ومن الهند وإندونيسيا ومن اليمن ومن نجد والشام وفلسطين ومن أرض الصومال ومن حضرموت ومسقط والعراق ، فأى مكان هذا الذى لا يفد منه أبناء التوحيد بالآلاف كل عام لزيارة بيت الله الحرام !؟

لقد كان الأمن والسلام قائما ببركة الخلافة الرشيدة ، ثم مرت أيام وعصور عم فيها القتل والسلب والنهب ، ثم كان عهد السلطان ابن سعود ، فتحقق على يده الأمن والراحة للحجيج .

كانت القوارب تمضى من الهند إلى الحجاز ، فيستغرق السفر ستة أشهر ، ومع هذا استمر تدفق الحجاج ، والآن تصل السفن فى ظرف ستة أيام أو ثمانية أيام ، ولا يزال تدفق الحجاج مستمرا ، تهب العواصف ويهب الطوفان فوق سطح البحر ، أو تهدأ العواصف ،

أو يستوى الماء فوق سطح البحر ، الأرواح تتعرض للمخاطر ، أو يسود الأمن ، تقطع الرقاب ، وتسال الدماء ، أو تسلب الأمتعة .. ومع هذا لا تتوقف قوافل الحج والزيارة ، ولا يمكن أن تتوقف .

لقد حاول القرامطة فى عهد سيطرتهم أن يوقفوا بكل جهدهم الحج ، وسقى طاهر القرمطى فى عام حج واحد كأس الشهادة لثلاثين ألفا من أبناء التوحيد داخل الحرم ، وملأ بئر زمزم بأجساد الشهداء ، وحمل الجر الأسود إلى عاصمة بلاده ، ولكن المسلمين وفى مثل هذه الظروف استمروا وبكثرة فى القدوم إلى بيت الله الحرام !

بيت الله الحرام هو مركز الأمة :

هذا هو مركز الأمة المسلمة ، المركز الذى ترتبط به الأمة وتتعلق به ، فأى دين فى العالم - يا تُرى - خلق فى قلوب تابعيه هذه العقيدة الراسخة أو هذه المحبة العميقة والعواطف التى لا تبرد أبدا فى القلوب تجاه هذا المركز ؟! وأى مكان أو موضع فى الدنيا جذب إليه - وعلى مدى ألف وثلاثمائة سنة - عباد الرحمن بهذا الشكل ؟! فالحجاز ليس مثل الريفيرا ، وليس مثل كشمير ، وليس مثل لوزان حتى يذهب إليه الناس بأنفسهم للنزهة والفسحة ، بل يذهب الناس إليه ، وهم يتحملون التعب والمشقة .. حر شديد لا يُطاق ، وأشعة شمس محرقة ، وقلة فى الماء وندرة فى الخضرة .. لكن أهل الإسلام يتركون حياة

الراحة والدعة ، وينطلقون إلى هذا المكان ، جماعات جماعات ، وقافلة فى إثر قافلة ، من كل ناحية وصوب ، ومن كل قطر وبلد ، ورغم أن المسلمين هذه الأيام ليسوا كالمسلمين قبل ألف وثلاثمائة سنة ، فإن حبهم للحرمين الشريفين لا يزال شبابا على شباب حتى يوم القيامة .. وهكذا نعرف حق رسولنا الكريم وعلو قدره ، رسولنا عليه أفضل الصلاة والسلام الذى ربط مشاعر أبناء التوحيد من البشر بواد غير ذى زرع ، ربطهم على الدوام وإلى أن تقوم الساعة ..

فصلى الله عليه وعلى آله وأصحابه تسليما كثيرا .

أول مايو ١٩٣٠م ، قبل الوصول إلى جدة بعشرين ساعة .

فريضة الشكر:

علمت الآن أننا - إن شاء الله - سنصل جدة فى الساعة السابعة صباحا (يوم الجمعة) ، وبالأمس صعدنا جميعا على سطح السفينة لنشاهد هلال شهر ذى الحجة ، والآن أنتهى من كتابة هذا الخطاب ، وإذا أمكن سأكتب باختصار عن أحوال جدة ، لكنى أخشى ألا أجد وقتا ، لأننا سنحاول - حالة وصولنا جدة - أن نذهب إلى مكة المكرمة بالسيارات بأسرع ما يمكن حتى نتمكن من صلاة الجمعة فى الحرم الشريف ، وسوف أرسل هذه الخطاب بالبريد من جدة .

بالأمس أرسلنا برقية إلى جلالة الملك ، وإلى الشيخ عبد الله السليمان (دار الكسوة) وإلى الشيخ عبد الرحمن مظهر بمكة المكرمة ، وأيضا إلى الشيخ عبد الله زينل والمفتى إحسان الله بجدة . لم يكن سبب إرسال البرقية رغبتنا فى أن يرتبوا لنا أمورنا هنا ، فليست لنا رغبة فى ذلك ، ولا ضرورة لنا بذلك ، فقط حتى لا يعتب علينا الأصدقاء ، ولأننا أرسلنا برقية إلى أصدقائنا ، لهذا كان من الضرورى أن نطلع جلالة الملك رسميا بوصولنا ، وبرعاية أخى وعزيزى الفاضل إسماعيل وبمحبته سعدنا بالوصول هنا ، وإننى لأدعو الله كل وقت أن يتم نعمه الدينية والدنيوية على أخى الحبيب .

إن ما لمسته منه من محبة خالصة ، لا لوث فيها ، سيظل دائما ذكرى خالدة طول حياتى ، إننى أعرف إسماعيل منذ سبع سنوات أو ثمان سنوات وبفضل الله وبعونه علاقتنا طيبة على الدوام ، لكن معجزة محبته التى لمستها فى هذا السفر لم ألمسها بهذا الشكل من قبل.

ولا يمكننى أن أعبر عن شكرى وتقديرى لكرم الحافظ محمد صديق وفضله الذى هيأ لى فى كل وقت جميع سبل الراحة ، وبكل طريقة ممكنة ، مما جعلنى أشعر أحيانا بأننى كنت عالة عليه ، لكن سلوك الحافظ محمد صديق ورفاقه الحسن كان معى بالقدر نفسه الذى كان مع بقية أحبائنا رفاق سفرنا .

انقلاب فى ٣٠ مايو ١٩٣٠ م

فـى الأراضـى المقـدسـة

مكة المكرمة ٥ مايو ١٩٣٠م

اليـوم هـو الثـالث منذ وصلنا مـكة المكرمـة ، ولما كنا قـد ركـبنا من جدة فى السـاعـة الحادية عشـرة ليلا ووصلنا الحـرم الشـريف ، وانتـهينا من العمرة ، ثم صلينا الفجر جماعة ، لهذا بقينا دون نوم فـى ليلة اليوم الثالث ، وشـعرت بوعكة شديدة فى الثالث من مـايو ، وشـعرت بامتـلاء مـعدتـى بعـد تناول طـعـام العـشـاء ، وبدأ الصـداع يدق رأسـى بشـدة ، ورقـدت فى اليـوم الثـالث والرابع على الفـراش مريضـا ، واليـوم وجـدت نفسى قادرا على متابعة كتابة وقائع هذا السفر.

كنت قد وصلت إلى الحديث بـالتفصيل عن رحلتنا حتى كامران ، فى اليوم الأول من شـهر مـايو أخبرنا القبطان أننا سـنصـل إلى محـاذاة يلملم فى تمام السـاعة السـادسـة ، ويلملم ميـقات الحـجـاج القادمين من اليمن ، ومن هنا فـالحجاج القادمون من الهند يحرمون من هـذا الميقات ، ولما فرغنا من صـلاة فجر أول مـايو ، وطلع نور الصـبـاح ، بدأ عدد من الحجاج فى الإحرام ، وبدأوا يرددون بصوت عـال : " لبيك اللهم لبيك "

وهكذا استمر العديد من الحجاج طول اليوم منشغلين بارتداء ملابس الإحرام .

كنا قد قررنا فى الصباح أن نحرم فى الساعة الرابعة مساء ، وبين الساعة الخامسة والسادسة سمعنا صفارة السفينة تعلن أننا وصلنا إلى محاذاة يلملم ، وكنت وجميع الحجاج فى ملابس الإحرام ، إلا أن بعض الحجاج لم يحرموا ، وعلمت أنهم سينزلون فى جدة ومنها يتوجهون إلى يلملم فيحرمون من هناك !

رأيت صفوف المحرمين فطرأ على قلبى شعور عجيب ، الجميع يكسوهم البياض ، الرءوس عارية ، والألسنة تلهج بالنداء : " لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك " وبدا كأن جماعة من القديسين قد هبطت من السماء ، هناك الكثير من المعلومات يعرفها الناس عن الإحرام ، لكن المعلومات التى تأتى إلى ذهن المحرم نفسه المشارك مع جماعة المحرمين لا يعرفها إلا من يخوض تجربة الإحرام ذاتها ، وأدعو الله أن يوفق كل مسلم على وجه البسيطة إلى المرور بهذه المرحلة المقدسة مرة واحدة على الأقل فى حياته ، فبدون هذا الأمر لا يمكن أن يفهم المكانة المركزية لبيت الله والسر الحقيقى لعظمة اجتماع هذا الدين القيم.

كان معنا أناس عصريون تماما مثل الشهبندر عبد الشكور ، لكنه اليوم فقير ومسكين ، يشارك فقراء الحجاج ومساكينهم حالتهم ، وكان معنا حجاج آخرون متساوون جميعا ، لا فرق ولا امتياز بينهم .. يجب

أن نفكر وندقق فى تلك الطريقة البديعة التى أمرنا بها واضع آداب الحج صلى الله عليه وسلم ، حتى يُعلم أمته درس المساواة ، فالمنظر الذى تراه العين الآن هو منظر المساواة الحقيقية .. لبيك اللهم لبيك .. وصلنا إليك يا إلهى وصلنا إليك ، وصلنا كرجل واحد إلى بيتك يا إلهى .

ونمنا ليلة الأول من مايو محرمين ، وقد نوى جميع الحجاج تقريبا إحرام التمتع ، وطوال الليل كان صدى " لبيك اللهم لبيك " يشق الفضاء ، ورفرف القلب بين جنباتى وأنا أرى عاطفة المثول بين يدى الله والتضرع إليه أمام بيته بشوق ولهفة واهتمام !

ميناء جدة :

رست سفينتنا فى حوالى الساعة التاسعة والنصف فى الميناء الذى كان يضم نحو عشر سفن راسية ، كانت فى معظمها تابعة لشركة " ترنر ماريسون " .

حين رست السفينة قدم إليها " لانش " يرفرف عليه علم الحكومة السعودية الأخضر ، اقترب اللانش ، ورأينا شهبندر عثمان سليمان وهو خال شهبندر عبد الشكور ، وقد جاء ليصحب ابن أخته ، إلا أن أحدا لا يمكن أن يصعد إلى السفينة قبل أن يدخلها الطبيب ، وبعد دقائق قدم " لانش " آخر للكاتب (*) عزيز الدين التابع لشركة " ترنر ماريسون

(*) فى الأصل "منشى" وهو لقب للكاتب أو الموظف ، وسوف نذكره فيما بعد كما ورد فى الأصل . (المترجم)

" وكنت قد تعرفت عليه سنة ١٩٢٥م . جاء الطبيب ثم جاء منشى إحسان الله ، وكنت قد ذكرت من قبل أننا أرسلنا برقية إلى وزير المالية فى حكومة جلالة الملك الشيخ عبد الله السليمان ، كما أرسلنا أيضا برقية إلى قائمقام جدة الشيخ عبد الله على رضا (*) وأرسلنا برقية إلى منشى إحسان الله ، لأن بيننا علاقة قديمة ، وهو يدعونا كل عام لزيارة الأراضى المقدسة ، وكان قبل وصول برقيتنا قد وصل إلى مكة المكرمة مع الأهل والأولاد ، ووصلت برقيتنا على بيته ، فاتصل به أحد رجاله هاتفيا فى مكة ، وهكذا جاء إلينا بالسيارة فى جدة ليلة الأول من مايو ، وحين عرفنا ما حدث تأسفنا كثيرا ، فقد كلفناه مشقة هذا السفر الطويل ، وكنا قد أرسلنا له برقية حتى لا يظن أننا لم نؤدً حق الصداقة.

ولا بد أن أشير هنا إلى أنه منذ ذلك الوقت وحتى الآن قدم لنا منشى إحسان الله خدمات ورعاية يعجز القلم عن تسطيرها ، لقد كنت دائما أعتمد على رعايته لى واهتمامه بى اعتمادا كبيرا ، إلا أنه فاق الحد فى رعايته لى واهتمامه بى فى هذا السفر ، وقد قدم لى خدمات لن أستطيع أن أوفيه حقها ربما طول حياتى .

بينما كنا نقف نتحدث مع منشى إحسان الله ، إذا برجلين قدما فى " لانش " حكومى ، فقاما بحمل أمتعتنا ووضعاها فى اللانش ، ركب

(*) فى الأصل "حاكم جدة" . (المترجم)

أصـدقـاؤنا فى لانش بينمـا ركبت أنا فى لانش آخـر ، وفى ظرف ربع ساعة كنا قد وصلنا إلى الساحل .

كنت قد غادرت شاطئ جدة فى ٢٦ يناير ١٩٢٦م مساء ، وها أنا فى الثانى من مايو ١٩٣٠م وفى حوالى الساعة الحادية عشرة أشرف بوضع قدمى على هذا الشاطئ الطاهر مرة أخرى ، أدعو الله أن يوفق كل مسلم للتشرف بالنزول على هذا الشاطئ المبارك .

الانفصال عن الأصحاب:

نزلنا على الشـاطئ فشـاهدت فـراشـات تتـراقص على الطريق ، أنزلت الأمتعة فى ناحية أخرى حيث يتم الإفراج عنها بعد فحصها .

حين نزلنا على الشـاطئ التقينا بالشيخ عبد الله رضا قائمقام جدة ، فـأرسـل على الفـور أحـد المسئـولين للإفـراج عن أمـتعـتنا دون فتـحـها أو فـحصـها ، وفى ذلك الوقت كان الأخ المحتـرم خليفة مـحمد حسين ، وميان محمد عاشق ، وهما من " باغبان بوره " قد عرفا بقدومنا ، فقدما لاستقبالنا ، وهما من " شركة النجاح " فأسرعا إلينا وتعانقنا .

وضـعنا الأمـتعـة كلها فى سيارة واحدة ، وركب النائب فى سيـارة وانطلق إلى دار الضـيافة الملكية ، حيث أرسلت الأمـتعة أيضا ، وركبت أنا وإسـمـاعيل فى سـيـارة منشى إحسـان الله ، واتجـهنا إلى بيتـه ،

وهكذا تفرقت جماعتنا ، فذهب حافظ صديق مع بعض أحبابه إلى وكيل معلمه ، بينما وصل شهبندر شكور إلى بيت خاله ، وفضلنا نحن فى النهاية الذهاب إلى بيت الضيافة.

وليمة منشى إحسان الله خان :

أقام منشى إحسان الله وليمة دعانا إليها ، كانت الدعوة على الغداء ، ومنشى إحسان الله بنجابى قح ، مع أنه بدا لمن لا يعرفه أنه عربى أصيل نظرا لإقامته الطويلة فى بلاد العرب، ونحمد الله أنه لم ينس البنجاب ، ولم تتلاش من قلبه ذكرى التقاليد البنجابية : كان أول ما قدم لنا حين وصلنا إلى بيته " اللبن " أو " الشاشى" ويقال له بالنجابية " لسًى " (*) ، وقد شربنا كثيرا من هذا " اللبن " اللذيذ فى بيت شهبندر عبد الله هارون ، لكنا حُرمنا هذه النعمة حين ركبنا السفينة ، وأحسبك تقدر قدر هذا اللبن فى فصل الصيف بالنسبة لقروى مثلى ، أما عن الطعام فى السفينة ، فيمكن التعرف على كيفيته مما كتبته لك من قبل . لم يكن الأمر يهم أهل بمباى كثيرا ، إلا أنه – بالنسبة لأهل البنجاب ، – كان من الظلم أن نطلق على الطعام الذى يقدم فى السفينة طعاما ! ليتك تبلغ صوتى هذا إلى أخى عمر

(*) اللسًى شراب شبيه باللبن الرائب المضروب بقليل من الماء ويشرب بإضافة قليل من الملح ، أو محلى بقليل من السكر ، أو بدونهما . (المترجم)

وبقية الإخوة ، وأيضا إلى جمعية الخلافة ، حتى يتمكنوا - إن لم يكن بصورة كلية فبصورة جزئية - من الإشراف على مسألة الطعام ، وتحمل القليل من المسئولية تجاه هذا الأمر ، فمن المعروف أنه بالإضافة إلى ذلك فإنه فى السفر البحرى لا يسمح عادة للإنسان بالحصول على ما يرغب ، بل يجد نفسه مضطرا للالتزام بما يقدمه له القائمون على أمر السفينة .

على كل حال بعد كل هذه المصائب العامة والخاصة ، وبعد الوصول إلى جدة فإن وجود " اللبن " وهو اللبن الذى أضيف إليه قليل من الملح ، كان بالنسبة لنا كالغيث ، كان نعمة من عند الله فى هذه الأراضى المقدسة ، رحمة بنا . جاء خادم منشى إحسان الله بصينية عليها ستة أكواب زجاجية مملوءة باللبن البارد ، رفع إسماعيل الكوب الأول ، وأفرغه فى جوفه دفعة واحدة ، ثم وضعه على الصينية ، ثم رفع كوبا قدمه لى قائلا :

" آه ! انظر لقد وضعوا ستة أكواب لكن أحدها كان خاليا من اللبن "

لاحظ منشى إحسان الله دعابة إسماعيل ، فقدم لنا المزيد من اللبن ، لقد شربت - بلا مبالغة - خمسة أكواب !! ورغبت فى أن أشرب المزيد ، لكن لم يكن هناك مكان فى معدتى .. وأمر منشى إحسان الله خادمه بأن يجهز لنا اللبن فى كل وقت ، وأن يقدمه للضيوف بديلا عن الماء ، إذا ما شعروا بالعطش .

شيشة عجيبة وغريبة :

كان كل ما أبغيه بعد شرب اللبن ، سحب أنفاس قليلة من الشيشة ، ويعرف منشى إحسان الله حبى للشيشة ، وهكذا وضع امامى على الفور شيشة عجيبة وغريبة قائلاً : " استعمل هذه الآن ، وبعد قليل سنأتى لك بشيشة أخرى كبيرة "

لم أر فى حياتى مثل هذه " الشيشة " ، فلو فصلنا "خرطومها " عنها لما بدت مثل الشيشية أبدا، بل لبدت تحفة فنية على شكل إناء .. على كل حال كان عليها " الحجر" الذى يوضع فيه الدخان ، وتذكرت المثل القائل : الحاجة أم الاختراع " فما أراه أمامى الآن هو تعبير بل تفسير جيد لهذا المثل ، كما تعرف حين قدم أهل نجد هنا حاملين معهم مبادئ الدعوة السلفية ، صار الحجاز محط اهتمامهم ، وبصرف النظر عن الرجال فقد كانت النساء يدخنَّ السجائر ليل نهار ، وكانت المرأة تدخن بحوالى روبيتين أو أكثر ، وكان أهل نجد يعارضون تدخين " الشيشة" بصفة خاصة ، وهكذا حين وصلوا إلى مكة وجدة قاموا بتحطيم الشيشة مع تحطيمهم للأضرحة والقباب ، وعندئذ قام " العصرانيون" من الحجازيين باختراع " الشيشة " التى قدمها لى منشى إحسان الله .

لقد أعجبنى كثيرا شكلها ، وسحرت به ، فضلا عن أن حمل مثل هذه الشيشة معى فى سفرى يجعلنى فى مأمن ، وأنا هنا أستظل بظل

الحكومة النجدية ، ولهذا أشار منشى إحسان الله إلى أنه طلب لى شيشة بهذا الشكل ، حتى يمكن أن أحملها معى حيثما شئت ، وهكذا تركت تلك الشيشة التى كنت قد جئت بها معى من الهند ووضعتها داخل أمتعتى ، وأرسلت هذه الشيشة الجديدة من بيت منشى إحسان الله إلى بيت الضيافة ، وقد رآها الحافظ محمد صديق وأعجب بها كثيرا ، وتقرر فى النهاية أن أرسلها إلى الحافظ محمد صديق فى دهلى حين أصل إلى الهند، على أن يقوم هو بإرسال شيشة أو اثنتين من أحسن ما يصنع فى مراد آباد . وضحك الحافظ كما هى عادته دائما وقبل بهذا الأمر ، ولا شك أن لى أصدقاء فى مراد آباد مثل عبد الواحد ومحمد أكبر ، ولكنى وجدت أنه من المناسب فيما يتعلق بالشيشة أن أطلب العون من الحافظ محمد صديق ، فليس من اللائق أن أطلب مساعدة أحد الإخوة فى أمر الشيشة بينما هو لا يستعملها أصلا أو يكره حتى رؤيتها .

الذهاب إلى مكة المكرمة :

أخذنا الحديث عن الشيشة إلى حيث أخذنا ، كل ما أردت أن أكتبه هو أن منشى إحسان الله لم يترك شيئا لإسعادنا وإراحتنا إلا وقام به ، سقانا اللبن البارد ، وأشربنا " الشيشة " ثم عاد فسقانا اللبن البارد ، ثم قدم لنا ما لذ وطاب من أصناف الطعام ، وكأن اثنين من شيوخ

إمارات الهند قد نزلا ضيفين عليه ، وهو لا يدرى أن ضيفيه مسكينان من مساكين الهند ، أقصد العبد لله وإسماعيل ، ورغم كل هذا الكرم الحاتمى ، فقد ظل منشى إحسان الله يعتذر لنا عن تقصيره فى خدمتنا قائلا بأن أولاده فى مكة للأسف ، ولهذا لم يؤد لنا حق الضيافة كما ينبغى !

بعد تناول الطعام وجدنا أنفسنا أمام البرنامج التالى : سلم شهبندر شكور نفسه لخاله ، فلم يعد حرا فى التحرك هنا أو هناك ، لكن الحافظ صديق الذى سلم نفسه للمعلم ، أطلق لنفسه حرية الحركة كما يشاء . وقد اتصلنا بمنشى إحسان الله نسأله ماذا ينوى الآن ؟ فذكر بأن علينا أن نقرر نحن ما نشاء ونخبره بذلك ، وطلب منا أن نذهب معه إلى مكة فى مساء الثالث من مايو ، وقد أيدت هذا الاقتراح ، إلا أن إسماعيل أصر على الذهاب قبل ذلك بيوم أى مساء الثانى من مايو ، وفى ذلك الوقت عرفنا أن جلالة السلطان المعظم سوف يشرف جدة صباح يوم الثالث من مايو ، وبعد سماع هذا الخبر أخذت جانب إسماعيل ، لأن بقاءنا فى جدة حتى وصول السلطان المعظم وذهابنا إلى مكة فيما بعد أمر لا يليق ، وعرفنا أنه من الأفضل أن نصل مكة وننتهى من العمرة قبل مجىء السلطان إلى جدة . وقد سمح لنا منشى إحسان الله بالذهاب على شرط أن نكون فى ضيافته فى مكة ومنى وعرفات ، وهكذا قررنا الذهاب ، واتصلنا هاتفيا بالحافظ صديق نطلعه على ذلك ، فقام من فوره بتجهيز وسائل المواصلات لنفسه ولرفاقه . جهز

ناقة لحمل الأمتعة ، وسيارة للركوب ، وانتقلنا إلى دار الضيافة ، والتقينا بعد ذلك بالشيخ عبد الله رضا قائمقام جدة . والشيخ محمد لطيف عمدة جدة ، وتناولت طعام العشاء فى دار الضيافة ، وكان الحافظ محمد صديق قد أتم استعداداته حتى الليل ، إلا أننا تأخرنا فى تجهيز أنفسنا ، وأجبرنا الحافظ على الانفصال عن رفاقه ، وطلبنا منه أن يرافقنا إلى مكة المكرمة ، وهكذا تحرك رفاقه مساء بينما لم نتمكن نحن من التحرك قبل الحادية عشرة ليلا.

فى تلك الفترة قى خليفة محمد حسين مرافقا لنا ، ونظرا لإصرار منشى إحسان الله اتصلنا به هاتفيا قبل التحرك ، فقد رغب فى أن يرافقنا لفترة ، وذهبنا إلى القاعة للقائه فى الحادية عشرة ، فوجدناه مشغولا بأمور الحجيج فى مكتبه ، فجلسنا هناك مدة ، وأجبرنا منشى إحسان الله على البقاء ، وانطلقنا صوب مكة المكرمة ونحن نردد : لبيك اللهم لبيك ...

الطريق إلى مكة :

انطلقنا من جدة فى حوالى الساعة الثانية عشرة منتصف الليل ، ونظرا لظلمة الليل الحالكة ، لم أستطع معرفة أحوال الطريق ، لكن يمكن القول عموما بأنه أفضل بكثير مما كان عليه سنة ١٩٢٥م ، رغم أنه لم يرصف حتى الآن ، ولما كانت الرمال تغطى الطريق فقد

واجهت السايرة صعوبة ، وبخاصة أن حركة السيارات كانت كثيفة ، نظرا لكثرة المسافرين من الحجاج ، وهكذا انبعث الغبار وغطى الأجواء كلها .

انتشرت المقاهى على الطريق ، وكانت تقدم الماء والقهوة والشاى والأطعمة ، وكان التكرونيون أى السودانيون (*) فى معظمهم يسافرون مشيا على الأقدام ، وكانوا قد جاءوا من السودان بالبواخر أو القوارب الكبيرة ، أما أمتعتهم فهى بسيطة ، فهم يحملون قنو شجرة نخيل ، وقليلا من الملابس ، وإناء يصلح لغلى الماء لأغراض متعددة ، ويلجأون فى العادة إلى قمم الجبال للراحة ، ويسندون قنو النخل أو غصن شجرة إلى الصخور أو الأحجار ، ثم يضعون فوقها الملابس لتظلهم ، وكانت هذه هى خيمتهم ! فكان كل منهم يحتمى فى ظل خيمته هذه وقت الظهيرة ، وفى الليل (وهو وقت سفرهم عادة) يبدأون السفر مشيا على الأقدام . وخلال رحلتنا هذه شاهدنا جماعات كثيرة منهم تمشى فى الطريق ، بل يجب القول إن هذه الجماعات لم تنقطع سلسلتها من على الطريق ابتداء من جدة حتى مكة .

وصلنا إلى مكة المكرمة فى الساعة الثالثة بعد أن استرحنا قليلا فى بحرة ، فى أيام الحج يتم حجز السيارات خارج مكة فى منطقة جرول ، ولا يسمح للسيارات بدخول المدينة ، وعند الوصول إلى منطقة

(*) هكذا فى الأصل ، ولعله يقصد الأفارقة عموما . (المترجم)

جرول يُسأل عن معلم كل حاج ، فيقوم رجل بالنداء على المعلم بصوت عالٍ ، وهكذا يأتى أحد أتباع المعلم ، فيتسلم الحاج ، والحجاج عموما يسلمون أمتعتهم للمعلم ، ويذهبون إلى الحرم ، أو إلى بيت المعلم مشيا ، بينما توضع الأمتعة فيما يطلقون عليه " عربية " أو تحمل على ظهور الجمال ، لتوصيلها إلى بيوت المعلمين .

كان يرافقنا من جدة أحد مسئولى الحكومة ، ولهذا سُمح لسيارتنا والشاحنة التى تحمل متاعنا بدخول المدينة ، ووصلنا إلى دار الكسوة فى الساعة الثالثة والنصف ، حيث كان من المقرر أن نقيم .

فى الحرم الشريف :

كنت قد اغتسلت قبل التحرك ، وكان الحافظ يعانى قليلا ، وساءت حالته فى الطريق ، ورغم هذا فقد نهض على الفور وتوضأ واستعد لأداء أركان العمرة ، وتوضأ إسماعيل والنائب ، واتجهنا جميعا إلى الحرم ، فدار الكسوة تقع قريبا من الحرم ، وفى دقائق دخلنا الحرم من باب السلام فى الثانى عشر من يناير ١٩٢٦م .

طفت طواف الوداع .. وبعد أربع سنوات تقع عيناى على هذا البيت الحرام ، وأنا محمل بالذنوب والمعاصى .. تقع عيناى على هذا البيت الذى هو أفضل بقاع الأرض جميعا ، حيث تسجد جباه مئات الآلاف فى الصلوات الخمس كل يوم .

دخلنا من باب السلام وتقدمنا ناحية بيت الله وألسنتنا تلهج بالدعاء : " اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة ، وزد من زار هذا البيت تشريفا وتعظيما وتكريما ومهابة " .

كان آلاف الحجاج ينامون فى صحن الحرم الشريف ، بينما انشغل المئات بالطواف حول البيت ، وحين وصلنا ، اتجهنا ناحية الحجر الأسود ، ووقفنا أمامه ونوينا طواف العمرة ، وبعد الانتهاء من الأشواط السبعة ، وقفنا عند الملتزم فدعونا الله ، ثم وصلنا إلى مقام إبراهيم ، وشربنا من ماء زمزم ، ووصلنا إلى الصفا من باب الصفا .

فى ذلك الوقت رفع المؤذن صوته بالأذان الأول للفجر ، وكان المسعى بين الصفا والمروة يعج بالساعين الذين كانت ألسنتهم تلهج بالدعاء لله ، ولم يكن يسمع من دعائهم سوى صدى : اللهم ... اللهم ...

١٤ يونية ١٩٣٠م

دوام الذكر والدعاء :

الله أكبر ! كم هو طاهر هذا المكان ! وكم هى مقدسة هذه الأدعية ! وكم هى ممتعة هذه البقعة من أرض الله ! إن أى مكان للعبادة على وجه الأرض لم ينل تلك المكانة السامية ، وذلك المقام

الرفيع الذى وهبه الله لهذا الحرم الشريف ، بما فيه من دعاء يتردد كل يوم ، بل يمكنني القول إن أدعية وأذكار جميع أماكن العبادة فى العالم أجمع إذا ما اجتمعت كلها فلا يمكن أن تساوى شيئا مقابل الذكر والدعاء هنا فى بيت الله الحرام ، فبيت الله لا يخلو أبدا من ذكر الذاكرين ، ومن دعاء الداعين وطواف الطائفين ، فى حر صيف جزيرة العرب الشديد ، وفى برد ليالى الشتاء البهيمى القاسى ، وقد ذكر أحد الصالحين أنه ظل ينتظر عشر سنوات فى الحرم حتى يتمكن من الطواف فيه وحده ، فلم يتمكن من ذلك ! هذه هى عظمة الحرم ، وهذا هو مقام تكريم وتعظيم الحرم ، وهذه هى أفضلية الحرم ... انتهينا من السعى ، وحلقنا رءوسنا وانتهت العمرة وأدينا صلاة الفجر جماعة بملابس الإحرام .

شجاعة البعوض :

شعرت بالتوعك طول الليل نتيجة السهر الطويل ، وتعب السفر المستمر . وقف الحافظ بعد صلاة الفجر فى الحرم ينتظر رفاقه ، بينما توجهنا جميعا إلى دار الكسوة حيث خلدنا للنوم ، لكن لم نكد نشعر بلذة النوم حتى هوجمنا بجيش من البعوض ، لم أتذكر أبدا شعر ذوق (*)

(*) الشاعر "ذوق" من كبار شعراء فى اللغة الأردية . (المترجم)

ولم أكن أبدا بحاجة إلى أن أتذكره ، وطبقا لقول العلامة أبى الكلام آزاد فإن أشعار ذوق بعيدة عن ذوقنا تماما ، لكن حملة البعوض هذه جعلتنى رغما عنى أتذكر قول الشاعر ذوق :

هل هناك من يتعلم طبع الشجاعة من البعوض ؟

حين يأتى لمصّ الدماء ، يطنطن فى البداية البعوض!

ربما كانت تجربة الشاعر ذوق واقعية وصحيحة ، لكنى غضبت كثيرا من جُبن البعوض ، الذى هجم علينا دون إعلان ، وأقلق نوم المسافرين المساكين ، الذين لم يتمكنوا من النوم طول الليل ، فقد تجمع جيش البعوض الكامن فى دار الكسوة على هذين العبدين المسكينين ، والإنسان النائم لا يملك غير أن يقول حين يسمع صوت الطنين .. طين طين : طنطنوا ، طنطنوا وأعلنوا قبل أن تمصوا الدماء ولعل هذا كان أساس وصف الشاعر ذوق للبعوض بالشجاعة ، لقد كان الشاعر ذوق صاحب فكر عجيب ، فلا عجب أن يصدر عنه هذا الشعر !

لقاءات الأصدقاء :

على كل حال .. فتحت عينى بعد ساعة ، فأدركت أن خواجه غلام محمد سكرتير جمعية الخلافة (*) قد جاء لاصطحابنا ، وكان قد وصل

(*) جمعية الخلافة : حركة ظهرت فى الهند لدعم الخلافة العثمانية . (المترجم)

إلى مكة المكرمة قبلنا ، ونزل فى دار الكسوة ، وأخبرنا خواجه غلام محمد بأن خان محمد خان مدير دار الكسوة ينتظرنا منذ فترة ، وبعد مدة جاء نجله مصباح الدين ، وكان يرتدى مشلحا وغترة وعقالا ، وصار كأهل نجد تماما ، وجاء الشيخ عبد الرحمن هزاروى ، والتقينا بالبروفسور عبد الحى عرب أستاذ العربية فى كلية أكسفورد (إنجلترا) وسيرد ذكر ذلك فيما بعد ، كما قدم العلامة عبيد الله مهاجر صاحب نظارة المعارف القرآنية ، وكان قد هاجر من الهند سنة ١٩١٥م ، ويقيم فى مكة منذ ثلاث سنوات أو أربع ، وقد لقينا بكل ترحاب وود ، وذكر أنه يقرأ مقالاتى فى جريدة انقلاب منذ مدة ، وكان يتمنى أن يلتقى بى ، وسمع أننى سآتى هنا سنة ١٩٢٨م ، إلا أننى لم أحضر وانتظر كثيرا حتى جئت هذه المرة ، وكان العلامة عبيد الله قد هاجر من الهند حين كنت أدرس فى الكلية ، وذات مرة جاء إلى لاهور فى أثناء عودته من مؤتمر روالبندى مع العلامة أبى الكلام آزاد ، فزرته فى الفندق حين ذهبت لزيارة العلامة أبى الكلام أزاد ، وهكذا بقيت صورته وبقى شكله مرسوما فى ذاكرتى ، وكنت أدعو الله أن ألتقى به ذات يوم حتى أستمع منه إلى قصة حياته ، وهكذا كنت طوال إقامتنا فى مكة المكرمة ألقاه فى اليوم مرتين أو مرة على الأقل ، استمعت منه إلى كلام كثير ، واستمعت منه إلى حكايات كثيرة ، سأكتب عنها فى مكان آخر وخاصة بعض وقائع حياته المهمة .

فى الساعة الثامنة أو التاسعة جاء خان محمد خان من البيت ، وكان هو أيضا يرتدى المشلح والغترة والعقال فصار عربيا ، ونلت شرف

معانقته بعد خمس سنوات ، وتحدثنا فى أمور مختلفة ، ولكنى لم أستفد منه كثيرا لأن صحتى لم تكن على ما يرام .

دعوة منشى إحسان الله :

لم يذهب السلطان المعظم إلى جدة فى الثالث من مايو ، ولم نتمكن نحن من الذهاب بسبب متاعب السفر ، وفى صباح الرابع من مايو عرفنا أن جلالته قد طاف بالحرم بعد صلاة الفجر ثم توجه إلى جدة ، وأنه سيأتى يوم الخامس من مايو .

فى ذلك الوقت أخبرنا خواجه غلام محمد أن العلامة الشيخ قاضى محمد سليمان منصوربورى – مؤلف كتاب السيرة العظيم " رحمة للعالمين " (*) الذى يحج هذا العام للمرة الثانية – يشعر بوعكة صحية ألمت به ، ولهذا ذهبت للاطمئنان عليه ، وبقيت معه مدة ساعة ، التقيت خلالها ببعض الأصدقاء منهم تاجر الكتب الشيخ إبراهيم الهندى ، ويقع متجره عند باب السلام ، والشيخ نواب على الهندى .

بعد ذلك ذهبت إلى بيت الحافظ محمد صديق القريب من دار الكسوة ، وقد استأجره الحافظ لعدة أيام بسبعة جنيهات ، وهناك

(*) سيرد ذكره فى آخر الكتاب فقد توفى بعد أداء مناسك الحج، فى أثناء العودة إلى الهند ، ويعد كتابه فى السيرة من أفضل ما كتب فى الأدب الأردى . انظر مقدمة الترجمة العربية "رحمة للعالمين" ، ترجمة سمير عبد الحميد إبراهيم طبع ونشر فى الرياض . (المترجم)

تناولت طعام الغداء ، وحين وصلت إلى دار الكسوة عرفت أن سيارة منشى إحسان الله جاءت مرتين ، وكان منشى إحسان الله قد قدم إلى مكة ليلة الثالث من مايو ، وظل ينتظرنا منذ صباح الرابع من مايو ، واتصلنا به هاتفيا ، فأرسل إلينا السيارة للمرة الثالثة ، فركبت أنا وإسماعيل والنائب ووصلنا إلى بيت منشى إحسان الله ، حيث التقينا بالدكتور عبد الحميد وبعض الأحباب . كنت قد تناولت الطعام وكان النائب أيضا قد تناول طعامه ، فشربت اللبن ودخنت " الشيشة " ، ونزولا على رغبة منشى إحسان الله فى البقاء مع ضيوفه طول الوقت ، وعدناه بأن نتناول طعام الغداء عنده يوميا ، وهكذا كان طوال مدة إقامته فى مكة يرسل إلينا السيارة ، فتحملنا إلى بيته ، حيث نتناول هناك طعام الغداء .

مشاغل إسماعيل :

بعد أن وصلنا إلى جدة انفصل عنى إسماعيل بشكل عملى ، ورغم أنه فى الظاهر كان معى على مدى الأربع والعشرين ساعة ، فإنه حقيقة لم يكن معى ولا دقيقة واحدة ، ففى كل لحظة كان حوله زحام شديد من الحجاج ، كل واحد منهم له قضية ما ، فهذا قريبه مريض ، وذاك لا يجد طبيبا ، وثالث معلمه يضايقه ، ورابع يريد أن يرتب أمر الذهاب إلى المدينة قبل الوقت المحدد ، وهذا يرغب فى مقابلة السلطان المعظم ،

وكان أكثر الناس الذين يقبلون عليه أولئك الذين أطلق عليهم الحافظ محمد صديق اسما مناسبا ، وهو "مجموعة العاملين خلاف " من استطاع إليه سبيلا " ، فهولاء الناس يأتون ويقولون إن الشيخ إسماعيل ساعدهم فى الحصول على تذاكر مخفضة فى كراتشى ، وهكذا وصلوا إلى مكة المكرمة ، وهم يريدون القيام بمناسك الحج ، ويطلبون إعفاءهم من مصروفات المعلم ، ويريدون أيضا الوصول إلى المدينة المنورة مجانا ، ويستمرون فى الدعاء لإسماعيل ، ومن الواضح أن إسماعيل ليست لديه هذه الثروة ، حتى يدفع لهؤلاء الحجاج المساكين عشرة آلاف أو العشرين ألف حاج مبلغ ١٢ أو ١٦ جنيها لكل فرد ، أجرة الوصول إلى المدينة . ويبدأ إسماعيل فى مخاطبتهم بقوله : " يا إخوان ! أدوا الفروض ، لقد فعلت ما أقدر عليه ، اذهبوا الآن . وأدوا مناسك الحج "

وحيث يسمع هؤلاء كلام إسماعيل ينخرطون فى البكاء ، ثم أسمع إلى حكم إسماعيل :

" أعطه خمس روبيات .. أعطه عشر روبيات .. أعطِ هذا الشخص عشر روبيات مصروفات المعلم .. ثم يقول إسماعيل : " احتفظ بالباقى معك "

وفى اليوم التالى عرفنا أن الشخص نفسه أعطى المعلم أربع روبيات فقط ، من المبلغ الذى أعطاه له إسماعيل (بينما كان من الواجب أن يعطى المعلم سبع روبيات) وقال إن الشيخ (أى إسماعيل) أعطانى هذا المبلغ فقط .

ذات يوم بعد أن رأى حاجى صديق هذه الأحوال ، وضع مبلغ مائة روبية فى ظرف وأرسله مع شخص إلى إسماعيل وكتب رسالة جاء فيها : هذا المبلغ لمساعدة حجاج ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ .

الدعوة السلطانية :

فى الخامس من مايو وجهت الدعوة من جانب السلطان المعظم إلى أكابر الحجاج وأكابر أعضاء الحكومة ، واستجاب لهذه الدعوة خمسمائة حاج على الأقل ، ولم يشترك فيها إسماعيل ولا القاضى سليمان المنصوربورى ، بسبب المرض واعتلال صحتهما ، وصدر الحكم بأن يصل جميع المدعويين فى المساء إلى الحميدية (مقر إدارة الحكومة المركزية بالحجاز) وهناك كانت ثمانى سيارات أو عشر سيارات واقفة ، لحمل المدعوين إلى القصر الملكى ، كنت مع خان محمد خان والحافظ محمد صديق الدهلوى ، بينما النائب والبروفسور عبد الحى عرب وغيرهما قد سبقونا ، وكان اللقاء فى حجرة كبيرة فى الطابق الثانى من القصر ، وحضر السلطان المعظم بينما كنا آخر القادمين ، ولهذا لم نتمكن من التقدم لمصافحة السلطان ، وبعد وصولنا بخمس دقائق ، نهض السلطان فنهض معه جميع الحاضرين ، وكانت طاولات الطعام فى صحن القصر وحجراته ، كان الطعام فخما ، وبينما كنا نأكل مر علينا الأمير سعود ولى عهد مملكة نجد والحجاز ، وقد رأيته لأول مرة

هنا ، ولأننا كنا نتناول الطعام لم أتمكن من مصافحته ، وبعد تناول الطعام انتقل المدعوون جميعا إلى الطابق الثالث فى القصر ، فى صالة مسقوفة ، وحضر السلطان المعظم وجلس فى ركن من أركان الصالة ، وجلس من حوله علماء نجد ومصر ، وجلسنا نحن فى كراسى الصف الخامس ، وجلس من حوله علماء نجد ومصر ، وجلسنا نحن فى كراسى الصف الخامس ، فى ذلك الوقت قدم إلينا الشيخ عبد الله السليمان وزير المالية ، وكنت قد التقيت به عدة مرات سنة ١٩٢٥م ، إلا أننى الآن لم أستطع أن أتعرف عليه كما أنه لم يستطع أن يتعرف على ، فقدمنى له خان محمد خان ، فعانقنى بكل حب وأخذنى وخان محمد خان إلى الصف الأول القريب من السلطان المعظم ، فكان على يمينى القنصل المصرى وعلى يسارى خطيب جامع زين العابدين بمصر ، وكان السلطان المعظم أمامى ، وهكذا بعد أربع سنوات وربع أرى السلطان عن قرب بالملابس البسيطة ، بالعباءة البسيطة نفسها ، وفى قدميه الصندل النجدى نفسه .

السلطان المعظم :

ويعد دقائق بدأ السلطان المعظم فى إلقاء خطابه ، وبعد أن تلا قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ بدأ فى شرح كلمة التوحيد ،

والتوحيد هو موضوع أهل نجد الخاص ، ثم شهدنا قوة بيان السلطان ، وما يتميز به من سحر خطابى ، وحماس ومحبة للإسلام ، ولمدة خمس دقائق غرق خمسمائة حاج من مختلف شعوب الأرض فى أمواج هذا السحر الحلال الذى نتج عن براعة السلطان الخطابية .

أوضح السلطان وبين عقائد أهل نجد ، وقال : " نحن نسلم ونؤمن بالقرآن والحديث ، وإرشادات الصحابة واجتهادات الأئمة الأربعة ، ونسلم بهذه كلها بترتيبها ، فما جاء فيها فعلى العين والرأس ، ولكن لا نتبع غير هذا" . وفى نهاية الخطاب أكد السلطان المعظم على قضية اتحاد المسلمين وكرر أكثر من مرة قوله : "لا بقاء للمسلمين دون الاتحاد .. لا بقاء للمسلمين دون الاتحاد " وقال أيضا : " إن الناس يخوفوننى من أوروبا ، لأنه لا يهمنى أى شىء فى هذه الدنيا، ولا يمكن أن أخفض رأسى لغير الله تعالى والرسول "صلى الله عليه وسلم" ، وحين ذكر السلطان رسول الله قال : اللهم صلِّ وسلم عليه .

استمر هذا الخطاب المؤثر مدة ساعة تقريبا ، وبدا السلطان كأنه عالم دين متمكن تماما ، يعرض للناس حقائق التوحيد بطريقة مؤثرة ، وفى النهاية عبر السلطان عن تواضعه الجم بقوله : أنا لست رجلا متعلما ، أنا مجرد بدوى ، وربما أستطيع أن أقرأ عدة آيات من القرآن بطريقة صحيحة ، لكن الله تعالى أعطانى منصب الحفاظ على التوحيد. أولادى ، وبيتى ، وأهلى ، وقومى ، وبلدى ، هؤلاء جميعا يضحون فى

هذا السبيل ، وأنا سوف أضحى بنفسى دون تردد ، ولكننى لابد أن أتم مهمتى التى يفرضها علىَّ منصبى .

بعد أن انتهى السلطان من خطبته ، ارتفعت الأصوات بالدعاء له والشكر له ، فنهض صديقنا البروفسور عبد الحى عرب ، وذكر للسلطان المعظم أن من بين المدعويين عددًا كبيرًا من أهل الهند وإيران وأفغانستان ، لم يتمكنوا من فهم خطبتكم بأكملها ، وطلب من السلطان الإذن بتلخيص الخطبة باللغة الأردية والفارسية ، فسمح له السلطان بذلك .

وبعد أن أدى البروفسور عبد الحى هذه المهمة ، قام شمس العلماء مولانا سيد أحمد إمام المسجد الجامع بدهلى ، فشكر السلطان بالأردية ، وقد ترجم خطابه إلى العربية البروفسور عبد الحى ، بعد ذلك قام بعض علماء مصر بإلقاء كلمات الشكر ، ونهض بعدها خطيب جامع زين العابدين ، فألقى خطابا مدح فيه السلطان كثيرا ، وقال بأن هذه هى المرة الثانية التى يستمع فيها إلى السلطان (وكان السلطان قد ألقى خطابا فى بلدية مكة قبل مجيئنا بيوم واحد) وامتدح خطيب جامع زين العابدين صراحة السلطان وأثنى على خطابه المملوء بالحقائق ، ثم قال : لو قلت إن السلطان مرشد وحكيم ، لما ذكرت غير الحقيقة .

وفى الختام قام بعض الشعراء فألقوا بقصائدهم ، وهكذا انتهى الحفل .

وقد قمت مع البروفسور عبد الحى بمصافحة السلطان الذى سألنى عن أحوالى ثم قال : " إن شاء الله بعد الحج ستكون لنا لقاءات مفصلة ".

وهكذا ركبت السيارة مع خان محمد خان والحافظ محمد وصديق النائب ومنشى إحسان الله متجهين إلى دار الكسوة .

حفل بلدية مكة :

ذكرت قبل أن السلطان المعظم ألقى خطابا جذابا فى حفل بلدية مكة قبل يوم من وصولنا ، وكانت بلدية مكة قد أقامت حفلا رائعا على شرف السلطان فى اليوم الثانى لوصوله إلى مكة المكرمة ، دعت إليه عددا كبيرا من أكابر الناس ، وعقد هذا الحفل فى دار المؤتمر الواقع بمنطقة أجياد ، التى هى الآن مكتب وزارة المالية . وكان السلطان قد تعرض بعد انتهائه من حج العام الماضى إلى مواجهة عصيان بعض قبائل نجد ، فعاد إلى نجد ، ولم تواته الفرصة للقدوم إلى الحجاز طوال العام ، وقد قام بعض قصار النظر فى الحجاز فى غيابه بحركة تدعو إلى الاحتفال بيوم جلوسه على العرش ، كما قاموا أيضا بإحياء بعض التقاليد العربية المعمول بها فى مثل هذه المناسبات ، ووجهت الدعوات إلى الصحفيين المصريين والشاميين بصفة خاصة ، وسمعت أنه فى هذه الحفل ارتفعت هتافات عالية ترد : " عاشت الأمة العربية ، عاشت الأمة العربية " وعلم السلطان بكل هذه الأمور فغضب كثيرا ، وقال :

" إننى أحمل رأسى على كفى من أجل الإسلام ، وأريد أن أحطم كل أصنام النزعات الأخرى ، ولا يبقى لنا إلا الإسلام ، وأتباعى هناك يرددون « عاشت القومية العربية » يريدون أن ينحرفوا عن هدفنا السامي ، أى رفعة الإسلام ، وأن يندفعوا وراء نعرات القومية والوطنية التى يُروَّج لها فى أوروبا وإفريقيا ."

عاش الإسلام :

وهكذا وبعد أن وصل السلطان إلى مكة المكرمة رأى أن يحطم فى أول خطاب شعبى له صنم القومية الإفرنجية الذى حاول بعض قصار النظر نصبه فى ساحة الحرمين فى أثناء غياب السلطان ، ويُقال إن الملك أخذ يعدد عيوب حركة القومية العربية الجديدة ، وكان غاضبا مغتاظا فقال :

" أنتم تقولون نحن عرب ، لكن من هم العرب ، ألستم أنتم العرب الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخرجوه من دياره ؟ ألم يملأ العرب البيت الحرام بالأصنام ؟ أليس ما تفخرون به وتعتزون به كان أكثر الأشياء كراهية لدى العالم قبل الإسلام ؟ ولهذا فالشرف لا يكون بانتمائكم إلى ما يسمى بالأمة العربية بل الشرف يكون بانتمائكم إلى الإسلام . لقد أعزكم الله لأنكم رفعتم راية الإسلام ، فلماذا إذن تجرى على ألسنتكم تلك الهتافات : عاشت الأمة العربية؟

لماذا لا تهتفون : عاش الإسلام ، عاش الإسلام ؟ إن العرب لم ينالوا علواً إلا بالإسلام ، ولم ينالوا شرفا إلا بالإسلام ، ويشترك فى هذا العز والشرف كل أبناء التوحيد من بين جميع البشر سواء كانوا من أفغانستان أو من سكان إيران أو من مصر أو من الهند ، يجب أن ينطق لسانكم بكلمة واحدة ، أقصد : عاش الإسلام . الإسلام مبدأكم ، والإسلام معادكم ، به تنالون الشرف ، وبه تكونون أفضل الأمم ، والقومية العربية باطل ، وكل ما عدا الإسلام باطل " .

ويقال إن هذا الخطاب الصريح فتح عيون الجميع فندموا على ما فعلوا .

إحرام الحج :

بدأ أهل جاوة وبقية الحجاج فى الذهاب إلى منى وعرفات من يوم الخامس من ذى الحجة ، وقد أغلقت الطرق فى وجه السيارات ابتداء من السابع من ذى الحجة ، ولهذا كان عدد كبير من الحجاج يتحركون هذا اليوم .. اعتذرنا لمنشى إحسان الله عن طعام الغداء ، وقدم إلينا فى السابع من ذى الحجة شهبندر عبد الشكور ، وانضم إلى جماعتنا ، وفى يوم الثامن من ذى الحجة أحرمنا للحج وقت الظهر ، وتناولنا طعام الغداء واتجهنا إلى منى قبل العصر ، وكنا قد التقينا بالشيخ عبد الرحمن القصيبى فى السادس من ذى الحجة ، والتقينا أيضا ببعض

الأحباب الآخرين ، شاهدنا غلاف الكعبة الذى يعد فى دار الكسوة ، ومدير دار الكسوة هو خان محمد خان ، وأكثر صناع غلاف الكعبة من الهند يرأسهم تشودهرى بخش الإمرتسرى .

وأرى أنه من المناسب قبل الحديث عن حالات الحج أن أوضح هنا بعض الأمور المتعلقة بجغرافية مكة المعظمة ومنى والمزدلفة حتى يسهل على القراء فهم ما سأكتبه فيما بعد .

انقلاب فى ١٥ يونية ١٩٣٠م

مكة المكرمة وما حولها

قبل أن أكتب عن أمور الحج أرى من المناسب أن أذكر نبذة مختصرة عن جغرافية مكة المكرمة وما حولها.

تقع مدينة مكة المكرمة بين جبال صماء ، وتقام المساكن العمرانية حيث توجد أماكن مسطحة بين الجبال ، كما تقام المساكن أيضا على الجبال ، وعلى سبيل المثال نلاحظ أن القسم الأكبر من جبل أبو قبيس عامر بالبيوت ، وفى شعب على وشعب بنى هاشم وشعب بنى عامر نلاحظ أيضا أن البيوت مبنية على الجبال ، وهذا أيضا هو حال المنطقة ناحية أجياد وناحية جرول والمسفلة ، وحول المدينة منطقة مساحتها حوالى عشرة أميال أو اثنى عشر ميلا تدخل فى حدود الحرم ، وفى كل اتجاه تم وضع علامات تبين حدود الحرم يقال لها " علمين " (أى أعلام أو علامات) وتتضح حدود الحرم من الخريطة الموضحة فى الشكل رقم (١) .

وحدود الحرم قريبة فقط من اتجاه التنعيم أى على بعد ثلاثة أميال ونصف الميل ، وحدود الحرم من اتجاه عرفات حوالى عشرة أميال ، ومن اتجاه العراق واليمن وجدة المسافة نفسها تقريبا .

التنعيم :

التنعيم هو المكان الذى أحرمت منه السيدة عائشة رضى الله عنها للعمرة ، ويوجد حتى الآن جدار صغير فى هذه المنطقة المجاورة لحدود الحرم ، وحيث أدت السيدة عائشة ركعتين ، يوجد حوض ، وفى مواجهته يوجد مسجد صغير نصفه مسقوف ، وبجواره بعض المبانى المهدمة ، ومن يذهب إلى المدينة على البعير يمر بهذا الطريق ، والسيارات التى تذهب من مكة إلى المدينة تذهب أولا إلى جدة ومنها إلى رابغ ومن رابغ تمضى إلى المدينة فى الطريق السلطانى القديم .

الحديبية :

الحديبية مشهورة فى التاريخ الإسلامى ، فقد قدم إليها النبى صلى الله عليه وسلم مع ستمائة من فدائيى الإسلام ينوون أداء العمرة ، فنزل النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديبية القريبة تماما من حدود الحرم ، ومن هذا المكان أرسل النبى صلى الله عليه وسلم عثمان رضى الله عنه ليتفاوض مع المشركين ، وحين انطلقت الشائعات بأن عثمان رضى الله عنه قتل ، بايع النبى صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة ستمائة فدائى ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴾ (الفتح / ١٨)

لكن بعد اكتشاف عدم صحة إشاعة قتل عثمان رضى الله عنه عُقدت معاهدة الصلح التى رأى فيها عمر رضى الله عنه فى البداية أنها مجحفة بحق المسلمين ، وتضعف موقفهم ، بينما ذكر رب العزة علاَّم الغيوب أن هذه المعاهدة ستكون للمسلمين ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ وكانت هذه هى المعاهدة التى كتب فيها على رضى الله عنه اسم محمد مقرونا بكلمة رسول الله ، فاعترض عليه الكفار فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطب عبارة رسول الله فقال على رضى الله عنه هذا صعب علىَّ ، فأمسك الرسول صلى الله عليه وسلم بالورقة ، وشطب عبارة " رسول الله " والشجرة التى تمت البيعة تحتها ظلت باقية حتى زمان عمر رضى الله عنه ، الذى اضطر لقطعها لما رأى الناس اتخذوها مزارا .

جبل ثور :

وعند كل طريق تمضى سلسلة الجبال وتمتد على مرمى البصر ، وجميع الطرق تشق الوادى ، وبعضها يمضى فى المنطقة المنخفضة بين جبلين ، والجبال كلها حرور قفراء ، يميل بعضها إلى اللون الأسود ، وبعضها أسمر أغبر ، وبعضها يميل إلى اللون الترابى الممزوج بالحمرة ، وعلى طريق اليمن وبعيدا عن مكة بحوالى أربعة أميال يقع جبل ثور ، وحين هاجر النبى صلى الله عليه وسلم ، اتخذ من غار فى

هذا الجبل ملاذا له ، وكانت أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما تحمل الزاد إلى هناك ، للنبى صلى الله عليه وسلم ولأبيها أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، ولم يشرف بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذا المكان إلا الصديق رضى الله عنه ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ (التوبة آية ٤٠)

جبل النور وغار حراء :

إذا ما تركنا الطريق ناحيــة منى ، وصلنا إلى جبل النور ، وهو جبل صغير ، ونظرا لقمته التى تشبه البرج ، فهو يتميز عن جميع الجبال المحيطة به ، ويبدو من بعيد للمتجهين إلى منى ، وغار حراء موجود فى هذا الجبل ، وهو الغار الذى اعتاد النبى صلى الله عليه وسلم أن يذهب إليه للعبادة قبل بعثته ، وكان يقضى فيه عدة أيام متتالية ، وهنا ظهر جبريل الأمين أول ما ظهر للنبى صلى الله عليه وسلم وأبلغه رسالة ربه ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ (العلق / ١)

لقد جئت إلى الحجاز سنة ١٩٢٥ م وصعدت هذا الجبل ، واستغرق الوصول إلى قمته ٥٣ دقيقة فقط ، أما النزول فكان متعبا جدا وشاقا ، واضطررت إلى الجلوس ثلاث أو أربع مرات فى أماكن متفرقة حتى أسترد أنفاسى وأتابع النزول ، ورأيت أيضا ذلك الغار

الذى جلس فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتعبد ويذكر الله ، وتعجبت كثيرا ، لماذا اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الجبل مكانا لعبادة الله ؟ هل صعد جميع الجبال المحيطة ثم اختار هذا المكان بالذات؟! أعتقد أن هذا الجبل بما له من موقع خاص ، ونظرا لبعده ، وارتفاعه تميز عن بقية الجبال ، ولهذا فربما اختاره الرسول صلى الله عليه وسلم .

ذات مرة كنت مع الشيخ عبيد الله وأحد الأصدقاء من بمباى ، وتسلقنا جبل أبو قبيس ، وإذا بمنظر جبل النور يتراءى أمام عينى ، فقلت للشيخ عبيد الله أكثر من مرة إننا إذا ما صعدنا جبل أبو قبيس ، ورحنا نتطلع حولنا فإن ما يبدو لنا واضحا جليا هو جبل النور ، ولا يبدو من حولنا واضحا ظاهرا إلا هذا الجبل ، ولهذا فقد تأكدت وعرفت السبب الذى من أجله اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم جبل النور مكانا للعبادة ؛ فهذا الجبل يحوى كل المناظر المحيطة به . فقال الشيخ عبيد الله : أنت تقول هذا ولكنى أقول إنه فى الزمن القديم لم يكن يظهر من جبل أبى قبيس ، بل كان يظهر من المروة ، ولهذا فأنا أعتقد أن هناك أمورا خاصة كثيرة تتعلق بالجبال الأخرى المحيطة بجبل الثور . والله أعلم .

سكان مكة المكرمة :

من الصعب تقدير عدد سكان مكة المكرمة ، لكن التقدير العام هو أن عددهم لا يقل عن ٢٠٠ ألف نسمة ، وسكان مدينة مكة خليط من كل الشعوب ، من الأتراك والتتار والهنود والأفغان والصينيين والجاويين والسودانيين والمراكشيين والمصريين والبربر والكينيين والشاميين وغيرهم ، ويسكن التكرونيون السودانيون في جزء من جرول أما بقية أجزاء المدينة فيختلط فيها السكان من جميع الشعوب ، وكانت جرول أيام الأتراك هي خط العمران ، وكان هناك خارج جرول في زمان الأتراك حديقة ومنتزه ، وعلى جبل هندى توجد قلعة ، كما أن الجبل الموجود خلف أجياد عليه قلعة ، لكنها جميعا الآن في حالة سيئة إذ لا يستخدمها أحد .

الحميدية والتكية المصرية

في غرب الحرم وأمام أجياد وباب أم هاني عمارتان تستحقان الذكر ، العمارة الأولى الحميدية التي بنيت في عهد السلطان عبد الحميد خان ، ومنذ ذلك الوقت وحتى الآن فهي مقر إدارة الحكومة الحجازية المركزية ، وبجوارها التكية المصرية التي بناها محمد علي باشا وزير (يقصد والي)

مصر سنة ١٨٢٢ م ، وفى هذه التكية يتم حتى الآن توزيع الخبز على المساكين من جانب الحكومة ، والطريقة المتبعة عادة هى أن يقوم المساكين بتسجيل أسمائهم والحصول على " تذاكر " أو " كوبونات " يتسلمون بموجبها كل صباح وكل مساء ثلاثة أرغفة وأرزا مطهيا ، وقد ذهبنا ذات يوم لمشاهدة التكية ، فعرفنا أنه فى أيام الحج يتناول الطعام من هذه التكية يوميا حوالى ٢٥٠٠ حاج ، بينما يصل عددهم فى الأيام العادية نحو ١٥٠٠ مسكين .

وهناك مستشفى ملحق بالتكية ، لكننا لم نجد فرصة لمشاهدته ، والتقينا بمحمد على فؤاد ، وهو إنسان نشيط جدا ، وعلى خلق ، كان يدير التكية المصرية فى المدينة المنورة من قبل ، وهو الآن يتولى إدارة التكية المصرية فى مكة ، حيث يأتى جميع المساكين لأخذ الطعام ، فيجلس رجال كل بلد على حدة ، فهناك مثلا مكان خاص بالهنود ، وآخر خاص بالتكارنة ، ومكان خاص بالمغاربة ، وقس على هذا ، ثم هناك مكان خاص بالنساء ، وآخر خاص بالرجال ، وتنهض جماعة مكونة من خمسة عشر فردا أو أقل ، فيقدمون " التذاكر أو الكوبونات" التى معهم ويتسلمون الخبز فى سلة ، والشخص الذى تبدو عليه ملامح المسكنة والفقر أكثر يُزاد رغيفا أو اثنين .

المستشفى ، ودار الكسوة ، ودار المؤتمر:

توجد محطة كهرباء فى محلة أجياد يديرها إسماعيل ذبيح ، كما يوجد مستشفى ، بنى معظمه الآن ولا تزال بعض مبانيه تحت الإنشاء ، شاهدت المستشفى من الداخل ، مبناه جميل رائع وجذاب ويفرح القلب .

توجد دار الكسوة أيضا فى محلة أجياد حيث يتم إعداد غلاف الكعبة ، وكذلك غطاء باب الكعبة ، وغلاف مقام إبراهيم ، ويديرها خان محمد خان ، ومعظم الصناع من الهند ، ومبنى دار الكسوة يتكون من طابق واحد ، وسمعت أنهم على وشك بناء الطابق الثانى ، وبالقرب منها دار المؤتمر حيث عقدت جلسة المؤتمر الإسلامى سنة ١٩٢٦م ، والعمارة الآن تستخدم مكتباً لوزارة (*) المالية ، والمسئول عن المكتب هو الشيخ عبد الله السليمان ، وبجواره يقع المعهد السعودى الذى يعد بمثابة جامعة مكة المكرمة ، ومدير هذا المعهد شاب مصرى التقى بنا أكثر من مرة .

رباط البواهير (جماعة البوهرة)

توجد عمارة أخرى فى محلة أجياد جديرة بالذكر ، ويحق لمسلمى الهند أن يفخروا بها ، وأقصد رباط البوهرة أو قصر السيفية ، وهو عمارة رائعة ، ومبنى فخم ، وقد اشترت جماعة البوهرة الأرض التى

(*) وردت فى الأصل كلمة "دفتر" . (المترجم)

أقيمت عليها العمارة بمبلغ خمسة وثمانين ألفًا(*) وأنفق ملا طاهر سيف الدين إمام جماعة البوهرة من جيبه الخاص مبلغ خمسمائة ألف روبية لبناء هذه العمارة ، ولا أبالغ أبدا إذا قلت إنه من المستحيل أن أجد فى مكة عمارة شبيهة بهذه العمارة من حيث روعتها وجمالها واتساعها وموقعها ومتانتها ، إذ يمكن أن يقيم فى هذا الرباط سبعمائة فرد على الأقل ، وتتلخص طريقة الإقامة فى الرباط فى أن يقوم أى حاج من جماعة البوهرة ينوى الذهاب لأداء المناسك بالتبليغ أولا عن رغبته فى الحج ، فيتم حجز مكان له فى الرباط ، وحين يصل الرباط تقدم له وجبات الطعام الثلاث يوميا .

كم تمنيت أن يبنى مثل هذا الرباط الفسيح الواسع ليكون رباطا عاما لجميع حجاج الهند ، لا فرق فى ذلك بين من ينتمى إلى جماعة البوهرة أو أى جماعة أخرى ، بل يمكن لأى مسلم من مسلمى الهند أن ينزل فيه ، ويمكن لمثل هذا الرباط أن يكون مفيدا إذا ما اتسع لإقامة عشرين ألف مسلم على الأقل ، فإذا كان مسلمو الهند على استعداد لهذا العمل فإننى على ثقة كبيرة من أن حكومة السلطان المعظم سوف توفر لذلك مكانا فسيحا .

وهكذا أخذنا نقول لإسماعيل أن يبدأ فى عرض هذه الفكرة ، وأن

(*) لم يذكر الكاتب اسم العملة ، ولعله قصد « روبية » . (المترجم) .

يأخذ على عاتقه تنفيذها أو يبدأها على الأقل ، أما الإكمال فسوف يتم من تلقاء نفسه ، وفى مكة الآن عدد كبير من الأربطة ، وأذكر على سبيل المثال : أربطة سركار نظام ، وسركار بهاول بور ، ورباط تشهتارى، وغيرها ، يشرف عليها مديرون ، لكن كم تمنيت أن تكون هذه الأربطة جميعها فى مكان واحد ، وعلى مستوى واحد ، ولو اهتم معالى نظام ومعالى نواب بهوبال ومعالى نواب بهاولبور(*) بهذا الأمر فإن مسلمى الهند سوف يتتبعون خطوات قادتهم فيؤسسوا رباطا هنديا على أعلى درجة ، ويكون بحق حيا هنديا على مستوى عالٍ .

القصر السلطانى :

إذا ما اتجهنا من ناحية الحرم إلى جنة المعلى ، تطالعنا فى الطريق مبان رائعة من بينها عمارة يقيم فيها الآن حاكم الحجاز الأمير فيصل، ويلى ذلك على الجانب الأيمن قصر كان يقيم فيه قبلاً السلطان المعظم ، ويقيم فيه الآن شقيق السلطان الأمير محمد ، وإذا ما ذهبنا من جنة المعلى تجاه منى طالعنا القصر السلطانى الجديد الذى يقع على نهاية العمران وقد اكتمل بناء نصفه الآن ، والنصف الآخر تحت الإنشاء ، وعمارة القصر عمارة

(*) أى حكام الإمارات الإسلامية بالهند . (المترجم)

عظيمة ، والقصر كله مشيد من الخرسانة ، وبالقرب منه يوجد مبنى محطة الكهرباء ، وخدمات هذه المحطة قاصرة على القصر السلطانى ، وعلى قمة جبل عال ناحية منى يوجد مبنى بسيط ، يمكن أن يقال إنه مقر حراسة القصر السلطانى ، وإذا ما اتجهنا ناحية جرول ، عند نهاية العمران تقريبا وفى الناحية الشمالية وجدنا حديقة يقال إنها حديقة بلدية مكة ، وقد زرناها فوجدنا أنها مقفرة ، يقولون إنهم يدرسون إمكانية تشجيرها من جديد بشتلات جديدة ، وإذا ما مضينا إلى الأمام وجدنا على الناحية اليمنى حديقة الشريف عون ، وهى حديقة واسعة إلا أنها ليست بحالة طيبة ، وأمام هذه الحديقة مباشرة بيت الشيخ عبد الله السليمان .

شهداء التنعيم

إذا انطلقنا من جرول ، ومضينا على طريق المدينة المنورة ، وبعد انتهاء العمران بميل ونصف ، يوجد ميدان فسيح به بعض المبانى المتفرقة ، وبعض الأطلال ، ويطلق على هذا المكان اسم " الشهداء " ويقال إنه وقعت هنا آخر معركة بين بنى أمية وبنى هاشم ، وهنا قتل نفر كثير ، وهذا المكان هو منتزه أهل مكة ، ففى المساء يأتى معظم أهالى مكة على الحمير أو على عربات " الكارو "التى تجرها الحمير أو البغال إلى هذا المكان ، فيقضون هنا فى الهواء الطلق ساعة أو ساعتين ، ويتناولون طعام العشاء ثم يعودون ، ويقال إن قبر عبد الله

بن عمير رضى الله عنه موجود هنا ، وفى منطقة الشهداء مبنى بسيط للسلطان ، ملحقة به حديقة واسعة ، ويعد هذا المكان بحوالى ميل ونصف أو ميلين يوجد التنعيم حيث حدود الحرم على طريق المدينة ، وفى التنعيم لا يوجد سكان مقيمون ، إلا أنه فى زمان الحج تفتح بعض المقاهى لأن الحجاج المعتمرين يأتون إلى هذا المكان ، فيحرمون منه للعمرة .

بيوت مكة المكرمة

إذا اتجهنا ناحية مسفلة ، وعند نهاية العمران تقريبا وجدنا بيت أبى بكر الصديق ، وإذا ما تركنا العمران وعلى بعد ثلاثة أميال أو أربعة أميال ، يطالعنا جبل ثور الذى اتخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم ملاذا حين خرج مهاجرا ، ومعظم بيوت مكة تتكون من طابقين إلى خمسة طوابق ، ولأن الأحجار متوفرة فمعظم البيوت مقامة من الحجر ، والجزء العلوى من بعض البيوت مبنى بالطوب اللبن ، مثلما نرى فى بيوت البنجاب القديمة ، ورغم أن الخشب نادر جدا فى الحجاز فإن أهل مكة يستعملون الخشب بكثرة فى بناء بيوتهم ، ويُقال إن معظم الخشب يأتى من جاوة ، والمكان المحيط بالحرم بُنيت فى جزء منه أماكن خاصة للوضوء ، وفى أيام الحج يقوم أصحاب الدكاكين بتوفير مياه الوضوء للمصلين .

الأماكن التاريخية

لا يمكن التحدث الآن بشكل مؤكد ويقيني عن الأماكن التاريخية القديمة فى مكة المكرمة ، لأن الأماكن طرأ عليها التغيير والتبدل مرات ومرات ، ولكن يُقال إن دار الأرقم (حيث أسلم عمر رضى الله عنه والتى كانت دار الشورى للمسلمين فى بداية الإسلام) ودار خديجة (مولد فاطمة) ودار على ، ومولد رسول الله صلى الله وسلم ، وغيرها موجودة فى القشاشية وشعب بنى عامر ، وهناك بيت كبير جدا للشيبى قريب من باب على ، عند الحرم على المسعى ، وله بيت آخر على جبل أبو قبيس ، وبجانب بيت الشيبى الذى يقع على المسعى بيت مال الحكومة السعودية وملحق به مدرسة .

الصفا والمروة

لا يمكن أن تقل المسافة بين الصفا والمروة بأية حال عن ثمن ميل (*) وحين جئت إلى مكة المكرمة قبل لم يكن المسعى معبدا ، ولم تكن به أية تجهيزات ، فأمر السلطان بتعبيد طريق المسعى ، وفى هذا الوقت يعتبر المسعى من أكبر أسواق مكة ، والجزء الأكبر منه محاط بالدكاكين من الجانبين ، وكان الشريف حسين قد وضع عليه سقفا ، كان مُكسرًا وبحالة سيئة ، ويقوم السلطان الآن بتغيير السقف .

(*) ورد فى الأصل فرلانك ، وهو ثمن ميل . (المترجم)

سر حدود الحرم

سألنا الشيخ عبيد الله عن سر حدود الحرم فقال:

" الأرض داخل حدود الحرم كلها فى الحقيقة وقف ، والهدف من ذلك ألا تئول ملكية أية قطعة من الأرض فى نطاق تلك الحدود إلى فرد من الأفراد أو جماعة من الجماعات أو شعب من الشعوب أو حكومة من الحكومات ، بل يمكن لكل مسلم أن يقيم فى هذه الحدود ، ولكن هذه الحقيقة غابت عبر مئات السنوات ، وكان معظم أهل الخير يقومون بشراء بعض العمارات فى مكة ويهبونها وقفا للحرم ، فقام أهل مكة تحت دعوى رعايتها والاهتمام بها بالاستيلاء عليها ، ولم يجعلوا من أرض الحرم فقط ملكية ذاتية لهم ، بل استولوا أيضا على الأراضى الموقوفة."

كم نتمنى أن تقوم حكومة السلطان بالكشف عن الأوراق القديمة ، وأن تبحث وتحقق، وأن تعيد الأراضى الموقوفة للحرم ، بعد أن تنزعها من يد من استولوا عليها ظلما وعدوانا ، ويلزم هنا أيضا أن يتم توسيع المسجد من جوانبه الأربعة ، وأيضا يخلى سوق المسعى ليصبح هذا السوق جزءا من المسجد المبارك.

فالمسجد يعتبر من أكبر المساجد ، يؤدى فيه الصلاة أكثر من مائة وخمسين ألف مسلم فى وقت واحد ، ويزيد العدد أيام الحج ليصل إلى خمسمائة ألف حاج .

الحرم الشريف

لا أرى ضرورة لتفصيل الحديث عن الحرم الشريف ، ولكنى أذكر هنا فقط أن عمارة المسجد المبارك على شكل مستطيل تقريبا ، وعلى كل جانب من جوانبه الأربعة رواق أو شرفات ، كما أن الصحن فى الوسط غير مسقوف ، وأعمدة الرواق من حجر طيب متين ، إلا أن الأرضية ذاتها ليست جيدة ، ففى معظم الأحيان نشاهد أحجارا سوداء أو زرقاء كالحة اللون ، ربما كان ذلك من كثرة السجود عليها ، أو يجب القول بأنها تفتقر إلى الصلابة من داخلها ، أو أنها لم تنحت بطريقة جيدة ، وتوجد طرقات ضيقة من أماكن الرواق المختلفة حتى المطاف ، مقامة من هذه الأحجار غير الملساء وغير المسواة ، ذات اللون الأزرق والأسود ، وفى فصل الصيف تمتص هذه الأحجار الحرارة بحيث يصعب المشى عليها ، إن لم يكن مستحيلا ، وقد صنع أحد رجال الخير فى " رنجون " (*) سجادا لهذه الممرات ، وأرسلها لتفرش عليها ، والصحن من منطقة الرواق حتى المطاف مملوء بالحصباء التى تلتصق بأقدام الطائفين ، وفى وسط المطاف يقع بيت الله الحرام ، الذى أقيم مستطيلا على الأسس التى أقامها إبراهيم عليه السلام ، إلا أن قريشا حين أعادت بناءه فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم (قبل البعثة النبوية) تركت منه جزءا ، ولهذا فهو يبدو الآن مربعا ، وقد قام عبد الله بن الزبير رضى الله عنه فألحق الجزء المتروك بالبيت الحرام ، ولكن حين سيطر بنو أمية على مكة واستشهد ابن الزبير رضى الله عنه ،

(*) عاصمة بورما . وتنطق الجيم مثل نطق المصريين (القاهريين) لها . (المترجم)

هدم بنو أمية هذا الجزء ثانية ، ويسمى هذا الجزء " الحطيم " ، وفى عهد السلطان عبد الحميد خان بنى حائط الحطيم ، وجعلت أرضيته من المرمر ، والطائفون الآن حين يطوفون ببيت الله يعتبرون الحطيم جزءا منه .

المطاف والمصلى

يطلق على المنطقة المحيطة لبيت الله [الكعبة] " مطاف " وكان هذا هو المسجد الحرام فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أرضية المطاف من ألواح حجر الرخام الأبيض ، وبعضها لونه أصفر أو قمحى ، ويلاحظ أنه لم يُراع ترتيبها بشكل معين ، فبعضها طويل جدا وبعضها صغير ، ويلاحظ أيضا أن أرضية المطاف قد تأثرت بأقدام الطائفين ، وحول المطاف - كما هو ملاحظ فى الخريطة - مساحة دائرية ، هذه المساحة أعلى من المطاف بحوالى قدم ، وأرضيتها من نفس أحجار الرواق ، وهذه المساحة المحيطة ببيت الله هى المصلى ، فعند مقام إبراهيم يوجد مصلى الشافعية ، وعلى يمينها مصلى الحنفية ، وهو من طابقين ، وفى هذا المكان كانت دار الندوة التى اجتمع فيها الكفار ليدبروا خطة قتل النبى صلى الله عليه وسلم .

وفى الناحية المقابلة لمقام إبراهيم مصلى المالكية وأمام مصلى الحنفية مصلى الحنبلية ، وعند مقام إبراهيم فى الجانب الأيمن يوجد

منبر رائع عن يساره بئر زمزم ، عليه مبنى مكون من طابقين ، وخارج هذا المبنى توجد خمسة سبل أو ستة ، وقد أقام هذه السبل كلها السلطان ابن سعود ، وخارج المطاف فى الجزء الدائرى أعمدة من الخشب ، وضعت عليها لمبات كهربائية ، وكذلك ثريات بلورية جميلة جدا .

أركان بيت الله

الركن الموجود على يمين مقام إبراهيم وأمام بئر زمزم هو الركن الذى فيه الحجر الأسود ، ومن هنا يبدأ الطائفون طوافهم ، ويطلق على هذه الناحية ركن الحجر الأسود ، وهو يبعد عن باب الكعبة بحوالى أربعة أقدام أو خمسة ، ويطلق على الجزء بين الحجر الأسود وباب الكعبة اسم الملتزم ، ومن اليسار إلى ركن الجانب الأيمن يقال له الركن العراقى ، وبعدها يأتى جدار الحطيم ، وبعد الدوران حول الحطيم تصل إلى الركن الشامى ، فالركن اليمانى ، وتقبيل الحجر الأسود وقت الطواف سُنَّة ، فإذا تعذر ذلك بسبب الزحام ، فالإشارة إليه من بعيد تكفى ، كما أن لمس الركن اليمانى باليد سُنَّة ، فإذا تعذر ذلك تكفى عنه الإشارة ، وسبب تفضيل هذين الركنين عن غيرهما – كما يقولون – هو أن هذين الركنين يقعان على البناء الإبراهيمى، والركنان المواجهان لهما ليسا على البناء الإبراهيمى .

عمارة الكعبة

من الصعب الحديث عن مقام إبراهيم بطريقة مؤكدة أو يقينية . هناك روايات مختلفة ، يقال إن بداخله الحجر الذى كان إبراهيم عليه السلام يقف عليه وهو يبنى البيت العتيق ، وكان هذا الحجر بجوار حائط الجانب الأيمن من الكعبة وبعدها أُخذ ووضع خارج المطاف . والرواية الثانية تقول إنه بعد الانتهاء من بناء الكعبة صلى إبراهيم فى هذا المكان ، والكعبة من الداخل مرتفعة بارتفاع قامة الإنسان . ويبدو أنه تمت تعلية مساحة البيت قدر قامة الإنسان ، ثم تم بناء البيت عليه ، وهكذا كان باب الكعبة مرتفعا بقدر قامة الإنسان ، فجعلت سلالم للدخول إلى الكعبة.

غلاف البيت (كسوة الكعبة)

وضع غلاف أسود على الكعبة من أعلى إلى أسفل ، وفى وسطها بشكل دائرى يوجد جزء حوله مُذهَّب ، كتبت عليه بخيوط ذهبية آيات من القرآن الكريم ، ويطلق على هذا الجزء " الحزام . "والحزام مثله مثل غلاف الكعبة تتم صناعته على حدة، وعليه زخرفة ذهبية رائعة ونفيسة ، وبعد أن تتم صناعة الغلاف فى التاسع من ذى الحجة ، يسلم إلى الشيبى ، الذى ينزل الغلاف القديم (الكسوة القديمة) فى الثامن من

ذى الحجة ، ويقطعه ، ويضعه فى قماش أبيض ، ويقال له " إحرام الكعبة " لكن الحقيقة هى أن الشيبى اخترع هذا الأمر حتى يقوم ببيع قطع غلاف (كسوة) الكعبة إلى الحجاج ، وفى التاسع من ذى الحجة يكون جميع الحجاج فى عرفات ، فيقوم الشيبى بوضع الغلاف (الكسوة) الجديد ، وهناك غلاف داخلى لجدار الكعبة ، وقد رأيناه ، فوجدناه قديما جدا ، ومع الركن العراقى يوجد سلم الصعود على سطح الكعبة ، وناحية الحطيم يوجد الميزاب .

زمزم والمظلات

تعد بئر زمزم حقيقة من العجائب ، فعمر هذه البئر يصل إلى خمسة آلاف سنة تقريبا ، يخرج منها ماء لا يمكن أن يخرج من بئر أخرى ، ورغم هذا وحتى اليوم لا ينقص هذا الماء ، والأطباء الذين فحصوا ماء هذه البئر ، قالوا بفوائده العظيمة للصحة ، وسمعنا من مئات الناس أنهم قد تعافوا بشرب ماء زمزم ، وأنا شخصيا أعرف واقعة ، فصديقنا ورفيقنا الحافظ محمد صديق كان قادما من جدة إلى مكة، وفى الطريق مرض مرضا شديدا ولكن حين وصلنا الحرم ، وشرب من ماء زمزم ، ووضع على رأسه قليلا من الماء نفسه ، اختفى الألم من رأسه تماما ، وعاد إلى طبيعته معافىً ، ويقال إن هناك عدة ينابيع تصب فى هذا البئر ، وأعظم ينبوع يتجه ناحية ركن الحجر الأسود .

لم يحدث أى تغيير يذكر فى الحرم فى عهد السلطان ابن سعود ، أقيمت فقط بعض السبل عند بئر زمزم ، وأقيمت بعض المظلات الصغيرة عند الرواق فى مختلف الجهات ، ساعدت على أن يتمتع عدد أكبر من الناس بالظل فى أوقات الصلاة ، لكن هذه المظلات من النوع العادى جدا .

كيفية الطواف

كما ذكرت قبلاً فإن الطواف حول بيت الله مستمر طوال النهار والليل ، فلا يوجد وقت فى الليل أو النهار يخلو من عشرات الطائفين أو المئات أو الآلاف ، ولا يخلو المطاف حتى فى أشد أوقات الحر أو حتى تحت هطول أعنف الأمطار غزارة .

وأبهج الأوقات فى المسجد وقت صلاة الفجر ، ووقت صلاة المغرب ، وفى أيام الحج أو أيام التشريق ، وبعدها بثلاثة أيام أو أربعة ، فإن أى شخص لا يجد مكانا فى الحرم وقت صلاة المغرب إلا إذا جاء قبل الصلاة بعشر دقائق أو خمس عشرة دقيقة ، وإلا وقف فى الشارع لأداء الصلاة ، ولكن حين يغادر معظم الحجاج ويبقى من الناس أعداد قليلة فإن صلاة المغرب تشهد ما بين ثلاثين ألفَ مصلٍّ وخمسين ألفًا ، وأكثر أوقات المطاف ازدحاما فى الصباح وفى المساء ، وأكثر أهل مكة يأتون الحرم قبل المغرب بنصف ساعة ، وبعضهم ينتظر إلى صلاة العشاء بعد

أداء صلاة المغرب والطواف ، وبعضهم يطوف قبل صلاة المغرب ، ويصلى ثم يذهب .

الأذان

يبدأ الأذان من سطح مبنى بئر زمزم ، ويردده ثانية مؤذن الحرم ، فى ذلك الوقت يطرأ على القلب إحساس وشعور غريب ، وفى أوقات كل صلاة كانت كل جماعة من الجماعات الأربع (المالكية والحنفية والشافعية والحنبلية) تقيم الصلاة على حدة ، ولكن تقام الآن جماعة واحدة لكل المسلمين ، فمن بين أفضال السلطان ابن سعود على الحجاز هذا الفضل العظيم ، ففى السابق كنت تشاهد إمام الشافعية يؤم الناس بالصلاة ، وبقية المسلمين من أتباع الحنفية والمالكية والحنبلية جالسون أو يصلى إمام الحنفية بالناس ، والشافعية والمالكية والحنبلية يجلسون ، إلا أنه الآن تم تنظيم الأمر فالأئمة يصلون تباعا بالدور ، ويصلى خلف الإمام سائر جماعات المسلمين مهما كان المذهب الذى ينتمون إليه ، حنابلة كانوا أو شوافع ، مالكية كانوا أو أحنافا ، صاروا جميعا يصلون معا ، خلف إمام واحد ، مهما كان مذهب هذا الإمام .

النساء المصريات والنجديات والجاويات

هناك أمور تؤلمنى كثيرا ، وبصفة خاصة فى أوقات الطواف

والسعى والصلاة ، الأمر الأول هو أن بعض الناس يبدأون وقت الطواف فى مزاحمة الآخرين ودفعهم ، وأكثر الجماعات إيذاء فى هذا الأمر الطائفون (أو حقيقة الطائفات) من النساء المصريات ، فهن يدفعن الآخرين بقوة وبشدة ، تجعل أقوى بل أضخم رجل يفقد توازنه ، وتجعل الإنسان يفقد الإحساس الجميل الناتج عن التوجه إلى الله فى أثناء الطواف ، وحدث ذات يوم أننى كنت أطوف ، واتجهت من الملتزم ناحية مقام إبراهيم ، وكان هناك عدد كبير جدا من الطائفين ، وبدأت أنسحب رويدا رويدا ببطء شديد ، وإذا بجماعة من النساء يهجمن ، ويتجهن ناحيتى ، ومددت يدىَّ ، وتوقفت حتى لا أحتك بهن ، ومضت هذه الجماعة بخير ، ولم أكد أخطو خطوتين ، وإذا بجماعة أخرى من النساء قادمة ، فتوقفت ومددت يدىَّ حتى تمر هذه الجماعة كما مرت سابقتها ، وتقدمت خطوة إلى الأمام وإذا بجماعة من النساء المصريات قادمة ، فتوقفت ومددت يدىَّ للمرة الثالثة ، حتى يمكن للنساء أن يمضين على راحتهن ، وإذا بأول امرأة فى الجماعة - وكانت ضخمة قوية - تمسك برقبتى وتدفعنى بقوة ، أو كما يقولون " تشوطنى " بقوة ، فتوصلنى بدفعة واحدة إلى " مقام إبراهيم " ، وأنت تعرف أننى قوى جدا ، وضخم الجسم ، لست نحيفا ضعيفا منحنى القامة ، لكنى لم أجرب ضعفى وعجزى أمام النساء من قبل كما جربت الآن !!

لقد اعتقدت أننى قادر على حماية النساء فمددت يدىَّ حتى يمضين بسلام ، فتقدمت إحداهن ، و"مرَّغت" هذا التنطع فى التراب ! وبعدها لم أجرؤ على التفكير فى قدرتى على حماية النساء المصريات ، بل كنت كلما لمحتهن من بعيد خفضت رأسى ، وأنا أفكر فى حماية نفسى ، مثلما تفكر امرأة ضعيفة فى حماية نفسها أمام هجوم رجال أقوياء ضخام الجثة .

ويلى النساء المصريات فى هذا الأمر النساء النجديات ، فهن فى الطواف قد يظهرن شراسة ما بعدها شراسة أمام احتكاك الرجال ، ويأتى فى الدرجة الثالثة النساء الجاويات ، فهن بصفة عامة قصيرات القامة ، والإنسان يشاهدهن فيشعر بالشفقة تجاههن ، لكن فى أثناء الطواف لا يتورعن أيضا عن استخدام قوة الدفع.

ضوضاء وضجيج المطوفين

تأتى أسوأ المتاعب فى الطواف من المطوفين ، فهؤلاء الناس يأخذون النقود من الحجاج حتى يرشدوهم فى الطواف ، فيقومون بذكر الأدعية لفظا لفظا ، ويرددها الطائفون من بعدهم ، ولأن الهدف الأول للمطوفين هو جمع المال ، فهم يأخذون معهم جماعتهم ، ويبدأون الطواف ، فيرددون الأدعية بصوت عالٍ ، ووسط هذه الضوضاء ، وهذا الشغب لا يتحقق للحاج السكون والهدوء الذى يبغيه كل طائف

حــول البـيت ، ويحــدث دفع شــديد بين كل جـمـاعـة ، فكل فـرد مــن أفراد الجماعة يجب أن يظل ملتزما بجماعتـه ، فلو تقدم خطوة وجد اثنين أو ثلاثة يدفعونه للوراء ، فلا يفكر أبدا بعدها فى التقدم للأمام ، والمطوف يبدأ الطواف وينتـهى منه ، ويحـصل على النقـود ، ويفـكر فى الوصول إلى جماعة أخرى ، ولهذا فهو فى معظم الأحيان يسرع كثيرا فى الطواف .

الطائفون فوق الأسرة

وأكبـر مـصـيبـة فى الطواف تحـدث بسـبب العـجـائز من الرجـال والنســاء الذين يطوفـون ، وهم ممددون فـوق الأسـرَّة التى يـحـملهـا فى العـادة اثنان من التكارنـة فوق رءوسـهـم ، لا يمكننى التـحـدث فى جواز مثل هذا الطواف ، إلا أن الجواز يكون فى حالات خاصة جدا ومحددة ، أى حـين يكــون هــناك من أحـرم بالعــمــرة ثم مــرض فـى الـطـريق ، فـلا يسـتطيع الطواف ، فـلا بد حـينئـذ أن يتـمـدد على هذا السـرير ، ويُطاف به حـول البيت ، أو يمكن الاسـتـفـادة من هذا الجـواز فى طواف الإفاضـة ، لكنى رأيت العـجائز من أهل جاوة يجلسون على الأسـرة هذه من أجل الطواف اليومى والطواف العادى ، ولما كان المطاف ضيقا ، لأن الجالسين على هذه الأسرة ، يصيبون عامة الطائفين بالأذى ويضيقون عليهم ، وهذه المصيبة نفسها تحدث فى السـعى أيضا ، فبـعض الناس

يستخدمون الحمير والبغال فى السعى ، وفى وقت الزحام يكون الأمر متعبا ومؤذيا لكثير من الناس .

صلاة أهل جاوة

لم أر أسوأ من صلاة أهل جاوة ، فالإمام يكبر ويبدأ فى القراءة وأكثر الجاويين يقفون ، ينظرون هنا وهناك ، وينتهى الإمام من قراءة الفاتحة ويبدأ فى قراءة السورة ، فيبدأ هؤلاء فى الإقامة وينوون الصلاة ، وفى بعض الأحيان ينتهى الإمام من القراءة ويركع ، ويظل الجاويون يقرأون الفاتحة ، وذلك دون أى اهتمام ، وهكذا يختلفون مع الإمام فى ركوعه وسجوده .

ذات يوم كنت أصلى المغرب عند الركن الشامى ، وكان عن يمينى وشمالى بعض الجاويين ، رأيتهم فى كل ركعة تقريبا يقومون من الركوع قبل أن يقول الإمام " سمع الله لمن حمده " الشىء نفسه فى السجود ، ويبدو أن من علمهم الصلاة قال لهم إنه فى الركوع والسجود عليهم أن يقولوا ثلاث مرات سبحان ربى العظيم، وسبحان ربى الأعلى ، وحين يقولون ذلك – وسواء قال الإمام الله أكبر أو لم يقل – فإنه يمكنهم أن يقوموا من ركوعهم أو سجودهم ، ثم إنهم دائما فى شغل شاغل يفكرون فى التسليم بسرعة ، حتى يمكنهم أن يسبقوا بقية المسلمين إلى الحطيم ، أو يجدوا مكانا عند جدار الكعبة .

وهكذا وفي صلاة المغرب هذه شاهدت أربعة من الجاويين ، وقد وصلوا إلى الحطيم بينما الإمام لم يسلّم ولم يفرغ من الصلاة .

والأمر الثانى أن هؤلاء الناس إذا ما نووا الصلاة أخذوا يسعلون ، والسعال الاضطرارى شيء آخر ، لكن بالنسبة لأهل جاوة الأمر مختلف ، فأحدهم يبدأ بالسعال ، فيتبعه آخر ، ثم ثالث ورابع ، وهكذا يبدأ السعال يستشرى بينهم كالمرض المعدى ، وهكذا فإن من يريد الاستماع إلى القراءة يجد صعوبة شديدة فى ذلك ، ولا يمكن أن يستمع إلى قراءة الإمام جيدا .

رغبة الجاويين الشديدة فى الحج

والحقيقة هى أن الجاويين يأتون للحج بأعداد كبيرة ، ويبقون هنا أطول مدة ممكنة ، ونساؤهم يرغبن فى الحج بشدة مثلما يرغب الرجال أيضا ، وهن يكثرن من الطواف ، ويكثرن من العبادة ، وهن عابدات قانتات لله ، وعلى درجة كبيرة من الحياء ، ويأتى معهن للحج أطفالهن الصغار ، فيؤدى هؤلاء الأطفال جميع أركان الحج ، ويكثرون مثل أمهاتهم وآبائهم من الطواف ، وقد رأيت هؤلاء الأطفال يطوفون فى المطاف بشوق ورغبة ، فرغبت أن أحتضن هؤلاء الأطفال الأبرياء فأقبلهم حبا وسرورا .

منى

تقع منى على مسافة ثلاثة أميال من مكة المكرمة ، وسلسلة الجبال تمضي ناحية عرفات ، وبينها طريق صغير متعرج ، وأول مكان متسع فسيح فيه هو ميدان منى ، وإذا ما اتجهنا من مكة المكرمة إلى ناحية عرفات ندخل في منى ، وأول جمرة هي الجمرة الأولى أو جمرة العقبة أو كما يقول مولانا محمد علي "الشيطان الكبير" ، وإذا ما تحركنا قليلا وجدنا الجمرة الثانية وبعدها بقليل الجمرة الثالثة أو "الشيطان الصغير" .

وفي عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن في منى أي مبنى ، ويروى أن عائشة رضي الله عنها طلبت من النبي صلى الله عليه وسلم أن يسمح لها ببناء بيت له هناك فرفض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنع ذلك ، إلا أنه الآن توجد في منى بيوت كثيرة ، وطبقا لقول بعض الناس فإن في منى بيوت أكثر من بيوت جدة ، إلا أن جميع هذه البيوت تبقى خالية طوال العام ، وتعمر فقط أيام الحج ، وإذا ما اتجهنا ناحية مكة دخلنا في ميدان منى ، ووصلنا إلى مبانٍ تحتل ثلث الميدان على الأقل ، والثلثان الباقيان – ولا شك – خاليان من البناء، حيث تُنصب خيام الحجيج ، وفي الجزء الأخير من مباني منى ، وفي الجانب الأيمن وبعد الانحراف قليلا عن الطريق العام ، يوجد

مسجد الخيف ، وعلى الجانب الأيسر من الطريق يوجد المستشفى المصرى ، وأمامه على الجانب الأيمن خيام الشرطة الحجازية ، ومع هذه الخيام توجد خيام المسئولين ، وبعدها بقليل يوجد مبنى شُيِّد للسلطان ابن سعود ، ومن حوله الحرس السلطانى ، والمسئولون الخصوصيون والأعزة والأقارب ، وخيام عامة أهل نجد - بصفة عامة - فى الجزء الأخير من الميدان ، وهى متاخمة للجبال وكأنها حاشية هذا البساط الضخم ، وربما صدرت لهم الأوامر بالبقاء متاخمين للجبال ، حتى لا يتمكن البدو من خارج المنطقة من الإغارة على أى حاج . ومنى فى أيام الحج مكان رائع مبهج ، يقام فيها سوق كبيرة تتوافر فيها كل أنواع البضائع ، وتفتح آلاف الدكاكين ، وتقام آلاف المقاهى ، وكذلك دكاكين الصرافة ، وفى الطريق المتجه إلى عرفات وبعيدا عن العمران ، وعلى الجانب الأيسر من الطريق يوجد " المنحر" حيث ينبح الحجاج الأضاحى .

مسجد الخيف

ذكرت قبلاً مسجد الخيف الذى يقع خارج مبانى منى ، وهو فى خارج العمران على اليمين من الطريق المؤدى من مكة إلى عرفات ، وبعده بقليل فى هذه الناحية ، ينتهى ميدان عرفات ، وتبدأ سلسلة جبلية ، والمسجد مستطيل الشكل عرضه ٧٤ ذراعا تقريبا وطوله نحو

٩٩ ذراعا ، وناحية القبلة مسقوفة ، ولا تزيد المساحة المسقوفة عن اثنى عشر ذراعا ، والناحية الشمالية (أى ناحية مبانى منى) رواق غير مسقوف ، ولا يوجد فى صحن المسجد أى فرش ، بل هو مفروش ببلاط حجرى رقيق ، وتوجد قبة بسيطة تتوسط الصحن تقريبا ، ويقال إن النبى صلى الله عليه وسلم أقام الصلاة فى موضعها فى حجة الوداع ، إلا أن إسماعيل أخبرنى بأنه طبقا لبحث جماعة أهل الحديث فإن النبى صلى الله عليه وسلم أدى الصلاة خارج المسجد فى مكان هو الآن ملحق بالجدار الجنوبى ، وعمارة المسجد ليست جيدة .

تبدأ الجبال من حيث ينتهى ميدان منى من الناحيتين ، وتمتد هكذا حتى ميدان المزدلفة ، والمسافة من منى حتى المزدلفة نحو ثلاثة أميال أو ثلاثة أميال ونصف ، وفى الطريق يأتى وادى محسر ، وبعد وادى محسر يأتى وادى نار ، ووادى نار هو المكان الذى فنى فيه أصحاب الفيل ، الذى ورد ذكرهم فى القرآن الكريم :﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ (الفيل / ١) .

مزدلفة وعرنة وعرفات

نصل إلى المزدلفة فيتسع الميدان ثانية ، ويوجد هنا مسجد بسيط فى وسطه مئذنة ، ولا يوجد أى مبنى آخر ، وتوجد علامات حدود الحرم على بعد أربعة أميال تقريبا من المزدلفة ، ومع العلامات يوجد وادى عرنة الذى يوجد فيه مسجد نمرة أو مسجد إبراهيم ، وعرض وادى

عرنة حوالى ثلاثة فرلانكات ، وبعده يبدأ حد ميدان عرفات ، وميدان عرفات ووادى عرنة يمثلان منطقة واسعة فسيحة ، وفى ميدان عرفات جبال صغيرة ، أكبرها - وهو الجدير بالذكر - جبل الرحمة ، يصعد الحجاج عليه ، ويلهجون بالدعاء ، وبجوار مسجد نمرة بئر كبيرة جدا ، تم حفرها فى الوقت الحاضر ، وهناك حوض كبير للماء قريب من جبل الرحمة ، وتتجه عين زبيدة إلى جوار الجبل ، ومسجد نمرة أو مسجد إبراهيم أصغر من مسجد الخيف ، وسطه قبة ، ويقال إن النبى صلى الله عليه وسلم صلى فى هذا المكان يوم حجة الوداع ، أو بألفاظ أدق وأصح صلى الظهر والعصر جمعا ، وهذا المسجد مسقوف أيضا من ناحية القبلة ، وأرضيته أكثر سوءا من أرضية مسجد الخيف .

نهر زبيدة

يبقى من حديثنا عن مكة وما حولها أمر واحد مهم ، يجب بل من الضرورى ذكره ، ألا وهو عين زبيدة أو نهر زبيدة ، فمن المعروف أن مكة المكرمة وادٍ غيرُ ذى زرع ، وقد أغنى الله العرب بثروة الإسلام ، فخرجوا يعلمون الدنيا درس الدين القيم ، ودانت لهم الإمبراطوريات الكبرى ، ورغم هذا لم يفكروا فى أن يمدوا مكة بالماء ، أو يعملوا على راحة الحجاج والزائرين بتزويدهم بالماء ، وفى عهد بنى أمية فى الغالب تم حفر عدد من الأنهار التى جرت من الينابيع الجبلية القريبة من " الجعرانة " ، وتم إمداد مكة بالماء علاوة على عرفات ، إلا أنه بعد انتهاء

الدولة الأموية خربت مجارى الأنهار ، وصارت الينابيع المائية بلا فائدة ، وقاسى الحجيج كثيرا من قلة الماء ، وحاول العباسيون فى بداية عهدهم محاولات كثيرة فى تنظيم إمدادات الماء فى المنطقة ، إلا أن محاولاتهم لم يكتب لها النجاح ، وفى سنة ١٩٢ هجرية قامت زوجة الخليفة هارون الرشيد السيدة زبيدة بأداء فريضة الحج ، وشعرت بما يعانيه الحجيج من ندرة الماء ، فحاولت أن تجد وسيلة دائمة لإمداد الحجاج بالمياه ، فرصدت من مالها الخاص مبالغ لهذا الأمر ، وأرسلت المهندسين إلى المناطق الجبلية بين الطائف وعرفات ، وفى النهاية تم العثور على ينبوع بالقرب من حنين ، فجعلوا من هذا الينبوع مركزا ومنبعا للنهر ، الذى راح يتغذى من بقية الينابيع الموجودة فى الطريق والتى تم إيصالها بمجرى النهر.

هذا هو النهر الذى يعد أحسن صدقة جارية ، يمد الحرم الشريف بالماء منذ أكثر من ١١٥٠ سنة ، وسيظل اسمه مقترنا باسم السيدة زبيدة حتى يوم القيامة ، والحقيقة أنه لا يوجد فى مكة المكرمة أى إنسان قام بعمل يضارع هذا العمل الخيرى الذى قامت به السيدة زبيدة ، فمئات الآلاف من الحجاج يروون ظمأهم من هذا النهر كل عام ، ومعظم سكان مكة مائتى ألف يرتوون من هذا الماء كل يوم ، ومئات الآلاف من البعير والأنعام الأخرى ترتوى منه أيضا كل يوم ، ويمضى هذا النهر من مركزه حتى وادى عرفات تحت الأرض ويصل إلى عرفات فيظهر على السطح ، ثم يصل إلى مكة أحيانا تحت الأرض وأحيانا فوق سطح الأرض .

وقد تشكلت لإدارة هذا النهر لجنة خاصة اشترك فيها الشيخ عبيد الله الدهلوى والشيخ عبد الحميد هندى ، وكانت اللجنة قائمة أساسا ، إلا أنها تعطلت فى آخر زمان الشريف حسين ، وهذا هو السبب الذى جعل الحجاج يعانون كثيرا من قلة الماء فى السنتين الأخيرتين من حكم الشريف حسين .

وحين قدم السلطان ابن سعود إلى مكة المكرمة ، قام برصد مبلغ كبير جدا من حسابه الخاص ، فقام بتنظيف النهر مستخدما فى ذلك جهود أهل نجد ، وبعدها تشكلت اللجنة بشكل حقيقى ، وتحصل اللجنة الآن من مصادر مختلفة على مبلغ عشرين ألف جنيه سنويا ، ويرصد هذا المبلغ لتوسعة فروع " عين زبيدة " كما يتم أيضا إصلاح النهر الأصلى ، وسبل إيصال الماء وزيادة منسوبها ، وقد أخبرنى الشيخ عبد الحميد فى منى بأنهم قد بدأوا تنظيف الينبوع القريب من الجعرانة وتطهيره ، ويتم الآن تنظيف مجرى النهر ، وهكذا فهناك أمل أن تصل اللجنة إلى حل دائم فيما يتعلق بماء عين زبيدة خلال السنوات القادمة بإذن الله وبفضله ، والآن أيضا يوجد الماء بكثرة وفى كل مكان ، ولا يصاب أحد من الحجاج بقلق أو تعب من أجل الحصول على الماء .

وأنتهى من الحديث عن مكة المكرمة وما حولها ، وأبدأ من جديد حديثى عن سفر الحج ، وما ذكرته فى الصفحات السابقة من

معلومات كان ضروريا حتى يمكن للقراء أن يطلعوا جيدا على ظروف السفر فى الحج .

انقلاب فى ٢٤ يونيو ١٩٣٠ م

حامل مفتاح الكعبة

إن أكثر ما آلمنى وآلم جماعتنا ، وآلم جميع الحجاج ، وأحزننى وأحزنهم ، وقطع أوتار قلوبنا هو أسلوب وسلوك عبد القادر الشيبى الظالم ، حامل مفتاح الكعبة ..

كل إنسان يحب المال دون شك ، يحب المال بدرجات متفاوتة ، لكن الأمر لا يعنى أن الإنسان يكرس كل حياته فقط لجمع المال ، فهو يجمع المال لسد حاجاته ، لكن عبد القادر الشيبى صورة كريهة ، صورة مجسمة للرغبة فى جمع المال ، لا يمكن أن يوجد مثلها فى الهند ، حتى بين صفوف المرابين وأكلة السحت ، وقد سمعنا أن ظلمه وجبروته قد فاق الحد فى أيام الترك ، وفى زمان الشريف حسين ، فقد كان يتلقى المبالغ التى يحددها قسرا من الحجاج ، حتى يسمح لهم بدخول الكعبة ، ومن لم يستطع الدفع يمنع من الدخول ، فى ذلك الزمان كان يحصل من بين أستار الكعبة على الغلاف ، أما الحزام وغلاف الكعبة وكذا غلاف مقام إبراهيم فكانت جميعها ترسل إلى الشريف حسين ، وتقسم هدايا على الأثرياء ، وحين جاء السلطان ابن سعود قام بإعطاء الحزام وغلاف الباب وكذا غلاف مقام إبراهيم للشيبى ، وراح الشيبى يبيع كل هذا للحجاج ، ويحصل الشيبى على راتب شهرى حوالى ثلاثين جنيها ، شريطة أى يأخذ شيئا من الحجاج الذين يدخلون الكعبة ، ولا شك إذا أعطاه أى حاج منحة أو هبة من جانبه ،

فلا بأس فى ذلك ، إلا أن الشيبى وبعد نصف سنة ، حنث بهذا العهد ، وخالف هذا الاتفاق وجعل من الدخول إلى بيت الله مسألة مؤلمة وشاقة ومحزنة .

سمعت فى البداية شكوى ضده من عديد من الناس ، ومن مختلف الأشخاص ، ولم أصدق ذلك فى البداية ، فلا يمكن لإنسان أن يتصور أن يقوم شخص بإيذاء الحجاج وضربهم دون هوادة على باب الكعبة المقدس داخل المسجد الحرام !!

واعتقدت أن الحجاج الراغبين فى دخول الكعبة يتزاحمون على بابها ، فيضطر أحيانا إلى وقف هذا الهجوم ومن الممكن ساعتها أن يُصاب أحد بأذى من جراء ذلك .

ولكن ، ذات يوم فى الصباح ذهبت للطواف ، وبينما كنت أطوف فتح باب الدخول للكعبة ، ثم بدأت العصى تنهال على الناس ، وبقيت نصف ساعة واقفا عند مقام إبراهيم ، أشاهد هذا المنظر المؤلم ، كان الشيبى يجلس فى مدخل باب الكعبة ، بينما كان ولده يجلس فى الدهليز ، ومعه ثلاثة أو أربعة رجال من عائلة الشيبى ، يمسك كل واحد منهم بخيزرانة ، فإذا ما أعطى حاج النقود المطلوبة للشيبى ، أمسكوا بذراعه ورفعوه وأدخلوه من باب الكعبة ، ومن لا يعطى شيئا أو يعطى مبلغا أقل ، ويحاول الصعود للدخول إلى الكعبة ، يقوم هؤلاء بضربه بالخيزران حتى يسقط على الأرض .

وشعرت بالدم يغلى فى عروقى واحمر وجهى غضبا ، واحمرت عيناى من الغيظ ، ولكن لم يكن باستطاعتى أن أفعل شيئا ، فطأطأت رأسى .. ورجعت إلى البيت دون أن أنبس ببنت شفة ...

وبعدها بأربعة أيام أو خمسة أيام التقيت بالسلطان المعظم ، فكتبت له بالتفصيل ما حدث أمامى فى الحرم ، وقدمت إليه ما كتبت ، ووعد السلطان المعظم بالتحقيق فى الأمر وإصلاح كل شىء .

منصب سدانة البيت

وقد سمعت أن الشيبى هذا ليس الوريث الشرعى لهذه الأسرة التى سلم الرسول صلى الله عليه وسلم مفاتيح الكعبة لجدهم الأكبر ، حين فتح صلى الله عليه وسلم مكة ، وقال ما معناه : ظالم من يسلبكم مفاتيح الكعبة ، والسلطان المعظم يتريث فى اتخاذ قرار شديد ، فيما يتعلق بالشيبى ، ربما لسبب من الأسباب ، وربما حتى لا يتهمه أحد بشىء ، لكنى لا أرى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقصد بإعطاء مفاتيح الكعبة إلى الشيبى ، أن يتخذ الشيبى من دخول المسلمين للكعبة وسيلة لجلب المال وإيذاء الحجاج ، اعتقادا منه أنه قد ورث عن أسرته الحرم الشريف ، ولا يمكن لأحد أن يأخذ منه مفاتيح الكعبة أو يسلبه منصب سدانة البيت . ويقول العارفون ببواطن الأمور إن الورثة الحقيقيين

لآل الشيبى موجودون حتى الآن ، أحدهما فى اليمن والآخر فى مراكش ، وقد طالب الاثنان معا بمنصب السدانة ، أما عبد القادر الشيبى فهو حقيقة غلام من غلمان بنى شيبة أو ابن جارية من جوارى بنى شيبة ، والله أعلم بالصواب.

ذات يوم ذهبنا نقصد دخول الكعبة ، فسمح لنا بالدخول دون دفع شيء ، ذلك لأن إسماعيل كان معنا ، وفى اليوم التالى كتب إسماعيل ورقة ، وأرسلها مع بعض الأصحاب ، حتى يسمح لهم الشيبى بالدخول ، فسمح لهؤلاء الناس بالدخول دون دفع " إتاوة " ، إلا أنه فى صباح اليوم التالى على دخول هؤلاء الناس وصلت ورقة من الشيبى مكتوب فيها : " إذا كان الناس سيدخلون بيت الله هكذا ، فكيف يمكننا تدبير أمور معيشتنا "وكان هذا تحذيرا مهذبا لاسماعيل ألا يتوسط لأحد من أجل دخول الكعبة دون دفع الرسوم المطلوبة ، وخطاب الشيبى هذا موجود معنا .

دخل الشيبى فى الوقت الحاضر

بعد ذلك فكرت فى معرفة دخل الشيبى فوجدت أن مصادر دخله كالآتى :

- غلاف الكعبة خمسة آلاف جنيه

– البرقع والحزام أربعة آلاف جنيه

– الراتب ثلاثمائة وستون جنيها

– حبال الغلاف مائة جنيه

– غلاف مقام إبراهيم ثلاثمائة وثلاثون جنيها .

ويباع الغلاف بألف جنيه ويتم تغييره كل ثلاث سنوات .

– تسمية أولاد أهل جاوة عشرة آلاف جنيه على الأقل سنويا (حين يصل أهل جاوة إلى الحجاز يتخذون لأنفسهم أسماء عربية)

وهكذا يصل المبلغ الكلى الذى يحصل عليه الشيبى تسعة عشر ألفًا وسبعمائة جنيه ، والسعر الحالى للجنيه هو ثلاث عشرة روبية ونصف الروبية ، وهكذا يقدر دخل الشيبى بمائتين وخمسة وستين ألفًا ومائتين واثنين وأربعين روبية (٢٦٥٢٤٢ روبية) ويقدر ما جمعه الشيبى " جزية " (*) من الحجاج هذا العام بمبلغ خمسة عشر ألف جنيه على الأقل ، هذا بالإضافة إلى أن الشيبى يتلقى من إمارة آصفية بالهند مبلغ ١٢٠٠ روبية ، ومن إمارة بهوبال ٢٥٠ روبية شهريا ، كما ينال أيضا من إمارة بهاول بور ٢٥٠ روبية شهريا ، ومن إمارة رام بور ٢٥٠ روبية شهريا ، وهكذا تصله منحة شهرية من معظم الإمارات الإسلامية بالهند ،

(*) هكذا فى الأصل . (المترجم)

هذا بالإضافة إلى أولئك الناس الذين يعطون مبالغ مالية عن طيب خاطر ، والأموال الموقوفة ، وعدة مبان فى مكة المكرمة والمبنى الموجود فى المسعى (على الأقل مئتا ألف جنيه) وهناك بساتين خارج مكة فى القرى المجاورة ، وعدة قصور ومنتزهات ، وله فى الطائف أربع عمارات عالية ، وأراضٍ مساحتها شاسعة ، والأموال المخبأة والمدفونة فى بيته لا حصر لها ، فمثل هذا الشخص الذى يضرب الحجاج ليحصل منهم على النقود ويظلمهم ظلما شديدا ، ألا يمكن لإنسان أن يتحمل رؤيته للحظة ، مثل هذا الشخص يجب على الحكومة الحجازية أن توقف ظلمه للحجاج بأسرع ما يمكن .

ظلم واضح فى الحرم الشريف

وقد عرفنا أنه يأخذ ثلاث روبيات من كل شخص ليسمح له بدخول الكعبة ، إلا أن خواجه غلام محمد قال بأن مبلغ الروبيات الثلاث هذا للدخول من باب الكعبة فقط ، فهناك رسوم أخرى للدخول داخل الكعبة ، كما أن هناك ستارة وضعت على السلم المؤدى لداخل بيت الله وأطلق على هذا الموضع اسم " باب التوبة " ومن شاء أن يدعو الله عنده دفع روبيتين ، وقد دفع غلام محمد ثمانى روبيات حتى يتمكن من إتمام جميع مراحل الدخول إلى بيت الله ، ودهليز الكعبة مرتفع عن مستوى المطاف بقدر قامة الإنسان ، وقد يحدث أن يعطى الحاج مبلغا أقل من المقرر ،

ويبدأ في الصعود لدخول الكعبة ، وحين يعرف الشيبي أو ابنه بأن المبلغ قليل ، يأمر رجاله بضرب هذا الشخص ويكون الحاج المسكين قد وصل إلى الدهليز فتنهال عليه العصي ، ويتألم الحاج من وقع الضربات ، فيضطر إلى النزول ، وسمعت أنه في العام الماضي سقط أحد الحجاج وتحطمت رأسه ، وانتقل إلى رحمة الله .

وهذا الظلم والقهر لا يقع من عبد القادر الشيبي فقط بل من ابنه أيضا (وهو الذي سيتولى حمل مفاتيح الكعبة بعد أبيه ، ويقوم الآن بمعظم المهام الخاصة بحامل مفاتيح الكعبة) وهذا الابن ظالم شقي القلب ، وأكثر من هذا أنني شاهدت حفيد الشيبي الذي لا يتعدى عمره السنوات العشر ، يتدرب على كيفية ظلم الناس وقهرهم ، وكأنه تلميذ يتهجى الحروف ، ومن واجب الحكومة هنا أن تسلب هذا الظالم هذه العهدة المقدسة أي سدانة الكعبة ، وعلى البلدان الإسلامية أيضا أن تصدق على ما قلته هنا عن طريق مندوبيها المسئولين عن الحجاج حتى يمكن – على الأقل– وقف " ماهية " الشيبي والأموال التي تدفع له ما لم يتوقف عن تحصيل الأموال من الحجاج بالقوة ، وما لم يتوقف عن ضرب الحجاج وظلمهم ، وطبقا للظروف الحالية فإن إعطاءه المال والمنح بعد كشف كل هذه الأمور يدخل في باب " التعاون على الإثم " وإنني أود أن أكتب عن هذا الموضوع بالتفصيل وسوف أقوم بهذا الواجب في أول فرصة تسنح لي بذلك .

انقلاب في ٢٩ يونية ١٩٣٠م

أداء فريضة الحج

بعد هذا العرض المجمل لأماكن الحج أعود فأتابع كتاباتي فيما يتعلق بأحوال السفر . كنت قد ذكرت أننا تفرقنا في جدة ، فاتجه شهبندر عبد الشكور إلى خاله وترك له زمام أمره ، بينما كان حاجي صدّيق في مكة ، ورغم أنه كان " حر نفسه " إلا أنه لم يكن بقادر على ترك أصدقائه ، وكانت كل أموره في يد معلمه ، لم يكن مثلنا بدون معلم .

طريقة السنة في أداء الحج

طريقة السنة في أداء الحج هي أن يقوم الحاج بأداء صلاة الظهر يوم الثامن من ذي الحجة في منى ، وأن يصلي هناك بعد صلاة الظهر العصر والمغرب والعشاء ، ويقضي الليل في منى إلى أن يصلي الفجر، ويتجه إلى عرفات حيث يصلي الظهر والعصر جمعا ، ويظل في عرفات حتى غروب الشمس ، وفي وقت الغروب ينفر من عرفات ، فيقضي الليل في المزدلفة أو في المشعر الحرام حيث يصلي المغرب والعشاء جمعا

– فى الأغلب – ، وهناك يصلى الفجر ويتجه إلى منى ، فيرمى الجمرة الأولى ويذبح الضحية ، ويحلق أو يقصر ويحل إحرامه ، وبعدها وفى اليوم نفسه يصل إلى مكة فيطوف طواف الإفاضة ، وفى وقت المغرب يصل إلى منى فيقضى هناك أيام التشريق .

لكن قليلا من الناس يتبعون طريقة السنة فى الحج ..

معظم حجاج جاوة يذهبون إلى منى فى الخامس من ذى الحجة ، والمعلمون أيضا يُقلقُون الكثير من الحجاج ، فيتركونهم فريسة أصحاب الجمال وأصحاب الجمال همهم جمع الأموال ، ولا يمكن تجهيز دواب ركوب لأربعمائة أو خمسمائة ألف رجل يوم الثامن من ذى الحجة ، لهذا فالطريقة هى أن يدفعوا بالحجاج يوم الخامس من ذى الحجة ، وقد قام حافظ محمد صديق بتجهيز الجمال لنفسه ولرفاقه ، وهكذا غادر مكة المكرمة صباح يوم الثامن من ذى الحجة ووصل إلى منى ، وفى صباح يوم التاسع ذهب إلى عرفات ، وفى وقت الغروب تحرك من هناك ووصل المزدلفة ، وفى صباح العاشر قدم إلى منى ، وأصر خال شهبندر عبد الشكور على أن يذهب عبد الشكور إلى منى فى السابع من ذى الحجة ، لكن عبد الشكور كان قد قرر بينه وبين نفسه أن يحج متبعا طريقة السنة .

وهكذا ترك خاله يوم السابع من ذى الحجة ولحق بنا ، فعلاوة على جاذبية الصداقة كان الرجل على يقين من أننا سوف نؤدى مناسك الحج

حتى يوم العاشر من ذى الحجة ، وكان النائب مرافقا لنا باستمرار ، ولو أنه بصورة عملية كان يفارقنا نصف الوقت ، لهذا ونتيجة لكبر السن لم يكن يستطيع أن يشترك معنا فيما كنا نفعله دائما من التحرك هنا وهناك ، أما خواجه غلام محمد فكان من رفقائنا فى دار الكسوة .

البروفسور عبد الحى عرب

فى سفر الحج رافق جماعتنا رجل آخر أرى من الضرورى أن أفصل الحديث عنه ، والحقيقة أن هذا الرجل كان سبب بهجتنا ، وكان عاملا مهما من عوامل راحتنا وسعادتنا ، ألا وهوالبروفسور عبد الحى عرب ، الذى سبق ذكره حين كنت أتحدث عن دعوة السلطان المعظم .

والبروفسور عبد الحى عرب من السادة ، وهو عربى أصيل من سكان " المجمرة " قدم إلى الهند مع أحد كبار عائلته وهو شاب صغير بغرض السياحة ، فأعجب بعلم الشيخ حكيم نور الدين البهيروى ثم القاديانى وفضله وحسن أخلاقه ، فبقى عنده ، وقضى معظم عمره لدى حكيم نور الدين ، الذى أحبه حبه لبقية أولاده ، وقد تعلم فى جامعة البنجاب ونال الشهادات التالية :

" منشى ، ومنشى عالم ، ومنشى فاضل ، ومولوى ، ومولوى عالم ، ومولوى فاضل " ثم درس الطب ، ودرس من نفسه الجيولوجيا والفلسفة

وعلم الهيئة ، ورحل إلى نيويورك لدراسة علم الجراحة ، وظنته الحكومة الأمريكية جاسوسا إيرانيا فرفضت السماح له بدخول أراضيها ، فاضطر إلى الذهاب إلى إنجلترا حيث تقلد منصب أستاذ اللغة العربية والفارسية فى جامعة أكسفورد ، وقد حصل على درجة الفضيلة فى اللغة العبرية أيضا ، كانت العربية كما الفارسية لغته الأم ، وتعلم الأردية فى الهند ، وكان يعرف الإنجليزية قبلا وهو الآن يقيم منذ عدة سنوات فى إنجلترا، ولأنه أحد أساتذة جامعة شهيرة هناك ، لهذا لا حاجة إلى الإشارة إلى معرفته وإجادته للغة الإنجليزية.

ويحمل البروفسور عرب لحكيم نور الدين محبة خاصة لم أجدها أبدا بين تلميذ وأستاذه ، كما أنه يعزه كثيرا ، فإذا ما تحدث عن موضوع ما ، فلا بد أن يذكر اسم حكيم نور الدين ، فيقول : قال المرحوم نور الدين كذا .. وقال المرحوم كذا. وقد سمعت من البروفسور. عبد الحى وقائع كثيرة عن حياة حكيم نور الدين لا توجد فى حياة كبار الناس فى الهند وقد قام حكيم نور الدين بتزويج البروفسور عبد الحى مرة من بعد مرة ، وفى المرتين انتقلت الزوجتان إلى رحمة الله .

يحمل البروفسور عبد الحى عرب بداخله رغبة عارمة فى جمع الكتب ومطالعتها ، ومن هذه الناحية كان الرجل أقرب الناس إلىَّ فى هذا السفر ، وكان رفيقا وحبيبا ، وهو فى العادة يهرب من أشعة الشمس وحرارتها ، ولا يخرج أبدا من حيث يقيم ، ولكن ذكرت له ذات

يوم أن هناك بعض الكتب القيمة عند باب السلام ، فغير ملابسه وخرج معى فى الساعة الثانية عشرة ظهرا ، فاشترى الكتب وعاد أدراجه . وإذا ما بدأ فى قراءة كتاب استمر فى قراءته من أوله إلى آخره ، لا يترك منه سطرا واحدا ، وقد قال ذات يوم : " قال الحكيم نور الدين .. إذا بدأت قراءة كتاب فاقرأه من أوله إلى أخره ، لأن قراءتك له لن تخلو بأية حال من فائدة "

والبروفسور عبد الحى عاشق للعلم ، محب للمعرفة ، شغوف بالقراءة والمطالعة ، ومثله مثل بقية أهل العلم يحب العزلة ، ولا يحب الضوضاء ، ولا الهرج والمرج ، وهناك أمران مهمان بالنسبة له : النوم والقراءة، فإذا ما رأيناه وحده يكون إما قارئا وإما نائما ، وطريقته فى الكلام جذابة وبخاصة حين يتكلم الأردية، وهو مسلم غيور على دينه ، يتمنى أن ترجع للعرب هيبتهم وعزتهم ، ولأنه صديق مخلص ، وعالم جيد ، فالجميع ينظرون إليه فى الحلقات الأدبية بتقدير واعتزاز واحترام ، وفى الهند يحترمه ويقدره أهل الجاه والثراء فى منطقة " كاتهياوار " .

حكى لنا مرة قصة حصوله على شهادة " مولوى فاضل "فقال : كنت أتحدث مع الشيخ الجليل مولوى ثناء الله إمرتسرى ، فقال مولوى ثناء الله : أنا لا أتكلم معك لأنه ليس عند شهادة، فذهبت ودخلت الامتحان ، ونجحت ، وأخذت شهادة " مولوى فاضل " . وحين حصلت على الشهادة ذهبت إليه ، وقلت له : لقد حصلت على شهادة مولوى

فاضل فهيا نتكلم معا ، فقال الشيخ ثناء الله : اذهب .. لقد صرت حاملا لشهادة مولوى فاضل بسببى ! ألا يكفيك هذا الفضل ؟!

والبروفسور عبد الحى عرب مؤلف لكتب كثيرة طبع العديد منها فى الهند ، وهو الآن يكتب كتابا عن أحوال الحجاز بعنوان " تحفة ملك الحجاز "ويتم الآن الإعداد لطبع هذا الكتاب ، وقد أدى البروفسور عبدالحى مناسك الحج سبع مرات ، وقد جاء خواجه كمال الدين واللورد هيدلى لأداء مناسك الحج ، فجاء معهما البروفسور عبد الحى للقيام بالترجمة ، وقد قدم للحج السنة الماضية أيضا ، وهو يحج هذا العام وسوف يأتى العام القادم – فى الغالب – للحج أيضا .

الذهاب إلى منى

وصل البروفسور عبد الحى قبل وصولنا بشهر ونصف ، وكان يقيم فى دار الكسوة حيث نزلنا أيضا ، ولهذا كان البروفسور رفيقا لنا طوال إقامتنا ، وكان جلالة الملك – فى وقت معين – يسمح بذهاب السيارات إلى منى ، وهكذا قررنا أن نذهب إلى منى بالسيارة ، ولكن حين ارتفع عدد الأصدقاء الراغبين فى مرافقتنا ، غيرنا رأينا ، وفى صباح الثامن من ذى الحجة ، وصلت الجمال التى ستحمل متاعنا ، والجمال التى ستحملنا أيضا ، وكان جميع الصنَّاع بدار الكسوة وكذلك خان محمد خان مع أهله وعياله ذاهبين للحج ، وكانت الجمال التى ستحملنا ضمن

قافلته ، وفى وقت الظهر قمنا جميعا بالإحرام ، وقد اقترحت عليهم أن نترك النائب مع خان محمد خان ، ونمضى جميعا إلى منى مشيا على الأقدام لأن المسافة إلى منى قريبة ، وأعجب الجميع بهذا الاقتراح وحوالى الساعة الثالثة والنصف خرجنا من دار الكسوة متجهين إلى منى .

ركوب الحمير

وصلنا بالقرب من جنة المعلّى فشاهدنا صفوف الحمير التى تؤجر للركوب ، فى الهند يعتبرون ركوب الحمير مذلة ، لكن الأمر فى الحجاز يختلف ، فأكثر الدواب التى تركب هنا هى الحمير والبغال ، وبعد أن شاهدنا الحمير ، تغير رأى بعض الرفاق ، ورأوا أنه إذا كانت الأجرة مناسبة ، فليكن الوصول إلى منى على ظهر الحمير ، وتم الاتفاق على ريال واحد لكل حمار (الريال السعودى يساوى روبية ونصف تقريبا) وركبنا جميعا الحمير أى البروفسور عبد الحى عرب وإسماعيل ، وأنا وشهبندر عبد الشكور وخواجه غلام محمد ، وتشراغ دين (من دار الكسوة) ...

كان المنظر رائعا ، لم يكن أحدنا قد خاض تجربة ركوب الحمار ، ولم نكد نركب الحمير حتى بدأت حسب عادتها (عادة حمير الحجاز لا حمير الهند) فى العدو بسرعة ، وفى ذلك الوقت كان الطريق إلى منى

مكتظا بالجمال التى تحمل الشغدف ، والجمال التى تحمل الأمتعة ، وبالحمير والبغال ، وبالمشاة من التكارنة ، وانطلقنا .. حميرنا تعدو ونحن لا نتوقف طوال الوقت عن النداء : طريق .. طريق .. طريق .. وكأن هذه الألفاظ صارت شغلنا الشاغل ، كنا جميعا فى ملابس الإحرام ، وأخذنا نفكر .. ففى مثل هذه الحالة لم يعد لباس الإحرام يستر معظم أجسامنا ، أو على الأقل لم تعد لنا قوة تمكننا من محاولة ستر أجسامنا ، فالحمير تعدو ، ونحن نفكر فى كل لحظة ، متى سنسقط على الأرض ، وماذا سيحدث لحزام الإحرام الذى يمسك بملابس الإحرام حول أجسامنا ، فى هذا الوقت الذى يحاول فيه كل منا أن يضغط على ملابس الإحرام حول جسمه ، حتى لا تتطاير وتتكشف أجسامنا وتتعرى على الملأ .

فوضى الحمير

كان البروفسور عبد الحى بصفة خاصة يثير الاضطراب ، فهو يتوجه إلى تلك الناحية التى يكثر فيها مرور الجمال ، وحيث يضيق الطريق كان البروفسور عبد الحى حينئذ ينطق بعبارة بنجابية أثارت ضحكنا جميعا ، نظرا لأنه – بصفته عربيا – لم يكن ينطق المخارج بطريقة صحيحة ، وفى مرة وصل إلينا بعض أهل مكة بحميرهم التى أخذت تجرى وتعدو قُبالتنا ، وحينئذ استعدت حميرنا إلى مجاراة

الحمير من جنسها ، فبدأت حالة فوضى واضطراب ، وأخذت الحمير تزيد من عدوها شيئا فشيئا ، والله وحده هو الذى حفظنا من السقوط من على ظهر هذه الحمير . وكنا ننوى أن نصلى الظهر والعصر جمعا فى منى ، ولكن وصلنا إلى مسجد الخيف وقت المغرب وهكذا استطعنا أن نصلى المغرب فقط والعشاء فقط فى منى يوم الثامن من ذى الحجة .

افتراش الأرض

والآن واجهتنا مصيبة أخرى ، فقد وصلنا إلى منى وقت المغرب ، إلا أن قافلتنا ضاعت ، فقد خرجت من مكة وقت العصر ، لهذا كان الأمل فى أن تصل إلى منى بعد العشاء بوقت كاف ، وإذا كان معنا غير ملابس الإحرام شىء ، فهو بعض الروبيات التى كنت قد وضعتها فى محفظة جلدية ، علقتها فى رقبتى ، وبعد الصلاة ذهبت مع إسماعيل وخواجه غلام محمد إلى السوق ، وهناك تناولنا الطعام فى أحد المطاعم ، وجهزنا الطعام للبروفسور عبد الحى وشهبندر عبد الشكور ، وأخذنا عامل المطعم معنا ووصلنا المسجد ، وبعد تناول الطعام شعرنا بالحاجة إلى النوم ، فافترشنا أرضية المسجد ، وفى حوالى الساعة الحادية عشرة ، وصلت قافلتنا إلى منى ، ورأينا أن المسجد مكان مناسب نبقى فيه ، ولهذا أحضرنا بعض متاعنا إلى المسجد وبقينا بالمسجد طوال الليل ، ولكن البرد اشتد فى النصف الأخير من الليل ،

مما اضطرنا جميعا إلى الاستيقاظ حوالى الساعة الرابعة ، فتوضأنا وصلينا ثم اتجهنا إلى حيث مكان القافلة .

الذهاب إلى عرفات

وصلنا إلى مكان القافلة فوجدنا خان قد فرغ من الصلاة ، وينتظر الشاى ، فجلس بجوار النائب ، كانت تجربة سفرنا من مكة المكرمة إلى منى فى الثامن من ذى الحجة على ظهر الحمير مريحة ومسلية ، لدرجة أننا قررنا فى الليل أن نسافر خفافا من منى إلى عرفات مثلما سافرنا خفافا من مكة إلى منى ، وسوف نسافر على ظهور الحمير !

ألح خان علينا أن نبقى ونشرب الشاى معه ، ولكننا استأذنا منه وذهبنا، وبعدها خرجنا بعيدا عن العمران ، وشربنا الشاى فى مقهى هناك ، وتدبرت أنا أمر تأجير الحمير ، بينما رأى إسماعيل وشهبندر عبد الشكور أن يصلا إلى عرفات على ظهر ناقة ، فركب كل واحد منهما ناقته ، بينما اقتنعنا نحن بركوب الحمير ، وكم حاولت إقناع إسماعيل وشهبندر عبد الشكور بالعدول عن ركوب الناقة ، نظرا لما يعانيه الإنسان فى أثناء السفر ، على كل حال قمنا كما فعلنا قبلا باستئجار حمارين بريالين للرأس ، وفى حوالى الساعة العاشرة وصلنا عند مسجد نمرة ، ومن هناك كانت خيمتنا تبعد حوالى ميل تقريبا ، ولم نكد نتجه إلى خيمتنا حتى نادانى شخص من أحد المقاهى القريبة من

مسجد نمرة ، فتطلعت فوجدت إسماعيل وشهبندر عبد الشكور ، وقد رقدا على الأرض ، وفهمنا من منظرهما كم قاسى الاثنان من ركوب الناقة ، ولاحظنا ذلك أيضا من طريقة جلوسهما وقعودهما وقيامهما !

جلسنا أيضا فى المقهى ، وشربنا الشاى ، وشربنا الماء ، وبعدها أرسلنا خواجه غلام محمد وتشراغ دين بهلوان إلى خيمتهما ليحضرا لنا علبة أناناس وبعض المأكولات ، وبقينا فى انتظارهما لمدة ساعة ، لكنهما لم يرجعا إلينا . وقررنا أن نشترى خبزا من المقهى ، واقترح البروفسور عبد الحى أن نحمر اللحم ، وأيدت الفكرة على أساس أن اللحم المحمر عادة يكون لذيذا .. " وكان خطأ ما ظننت " كما يقول الشاعر !

اشترى عامل المقهى قطعة من اللحم بدت طيبة ، وفرحت فرحا شديدا ، فسوف أتناول طعاما لذيذا فى عرفات ، ولكن بعد خمس عشرة دقيقة جاءت قطعة اللحم الطيبة ، وقد تحولت إلى قطع صغيرة يميل لونها إلى السواد .. كأنها قطع فحم !وتحول الفرح والسرور إلى كآبة وحزن ، فقد كانت الرائحة التى تنبعث من اللحم لا تحتمل ، حتى إننى لم أقدر على الجلوس حول الطعام ، وحتى لو لم تنبعث هذه الرائحة المنفرة فإن كراهة منظر قطع اللحم السوداء كانت كافية للقضاء على شعورنا بالجوع ، فليس هناك سمن ولا بهارات ولا يوجد عليها ملح أو فلفل ، فمن عادة العرب أن يقطعوا اللحم إلى قطع توضع فى " طاسة "

يحركونها لعدة دقائق ثم يقلبونها فى طبق ، هذا ما يسمى عندهم بـ"اللحم المحمر " والبروفسور عبد الحى عرب ، أخذ قطعة اللحم ووضعها فى فمه قائلاً : " والله لذيذة جدا ، والله ! "واستشطت غضبا فى البداية ، وكانت كلماته كالزيت تضعه على النار فيزيدها لهيبا .. ويجوار هذا الطبق الكبير المملوء باللحم طبق صغير فيه ملح بحرى ، وأهل البنجاب لا يعرفون ما هو الملح البحرى ، على كل هو الملح المستخرج من البحر .. وراح البروفسور عبد الحى عرب يأكل اللحم بشراهة ، وحاول إسماعيل تقليده ، ولا أعرف كيف يمكن أن يجاريه ، لكنه على كل حال توقف بعد دقيقتين .

وفى حوالى الساعة الثانية عشرة رجع تشراغ الدين حاملا علبة الأناناس وبعض علب" البسكويت "، فأكلنا هذه الأشياء وشكرنا الله وحمدناه ، وبدأنا نستعد للذهاب إلى المسجد للصلاة .

جهاد بلا قتال

إذن السلطان المعظم بسير السيارات لفترة بسيطة ، لكننا عرفنا أن معظم الخدم والحشم استفادوا من هذا الإذن ، وراحوا يجيئون ويروحون بالسيارات ، مما أتعب المسافرين على ظهر البعير ، والسلطان ابن سعود نفسه والأمير فيصل قدما إلى عرفات على ظهر البعير، وحوالى الساعة الثانية عشرة والنصف توضأنا ووصلنا المسجد فكان

الجـزء المسـقـوف منه مملوءا ومـزدحـمـا بالمصلين ، والجـزء الخـاص بالصحن فيه كان قد امتلأ أيضا ، وكان المصلون قد ملأوا جزءاً كبيرا من الصحن غير المسقوف ، ووجدنا مكانا تحت الشمس ، ولكننا حمدنا الله ، لأننا ونحن واقفون هناك التقينا بعد برهة بالحافظ محمد صديق ورفاقه ، وجاء الشيخ عبيد الله السندى ، وأخذنا من المقهى جوالا من الخيش، وافترشناه وجلسنا واضعين الشماسى فوق رءوسنا ، وعلمنا أن السلطان المعظم سوف يأتي للصلاة خلال ساعة من الآن ، وأن صلاة الجماعة ستقام فى الواحدة والنصف ، وبقينا لمدة ساعة جالسين تحت الشمس ، نستفسر من الشيخ عبيد الله السندى عن أمور الحج المختلفة ، قال الشيخ عبيد الله السندى إن شاه ولى الله محدث الدهلوى كتب فى كتابه "حجة الله البالغة " جملة عجيبة وغريبة ، هى بحق منبع حقائق الحج ومعارفه أى " الحج جهاد ولكن ليس فيه قتال ". ونهض إسماعيل متأثرا بسماعه هذه الجملة ، وبدأ يقول : لقد قرأنا عن الحج عدة مرات وقرأ مئات الناس مثلما قرأنا، لكن أحدا لم يعرف حقيقة هذه الجملة ، والآن لا حاجة للشرح أو البيان ، فقد فهمنا جميع معارف الحج . ولكن الشيخ عبيد الله راح يلقى علينا محاضرة مفصلة حتى يدخل السكينة والطمأنينية على قلوبنا ، فشرح ماهية هدف الحج قبلاً ، وكيف ضاع هذا الهدف الآن ، وقال إن الهدف الحقيقى لاجتماع عرفات هو أن يجتمع جميع جند الأمة فى لباس واحد ، وبلغة العسكرية يمكن أن نقول إن هذا الاجتماع يعنى أن جميع جند الأمة قد سجلوا أسماءهم ،

وبعدها يتحرك الجميع من مرحلة إلى مرحلة ، مثلا من عرفات إلى المزدلفة ، ومن مزدلفة إلى منى ، ولأن الجيش كثير العدد لهذا قلت مسافة المراحل ، فمن عرفات إلى المزدلفة أربعة أميال ، ومن مزدلفة إلى منى ثلاثة أميال أو ثلاثة أميال ونصف الميل ، وبعد الوصول إلى منى تقدم القرابين ، والهدف منها أن يعرف كل جندى من جنود الأمة ماذا يمكن أن يعمل ، مثلما يسيل دم الضحية فى سبيل الله يجب عليه أن يكون مستعدا لأن يسيل دمه فى سبيل الله ، وهكذا بدأ الشيخ عبيد الله السندى يفسر سورة الكوثر ، وسوف أفسر الحديث عنها فيما بعد .

انقلاب فى ٦ يوليو ١٩٣٠م

السلطان فى حالة الإحرام

بينما كان الشيخ عبيد الله السندى يشرح معارف وحقائق الحج لم نكن نهتم أبدا بلفح الشمس أو حرارتها ، وفجأة نهض الناس واقفين ، وأخذوا يتطلعون ناحية باب المسجد ، حيث دخل السلطان المعظم وهو بملابس الإحرام إلى المسجد ، كان يلف خصره رداء أبيض اللون ، وعلى بدنه رداء رقيق يميل لونه إلى اللون الزعفرانى ، وكان عارى الرأس ، ورقبته منحنية قليلا وفى قدمه صندل ، كان الحراس يحيطون به بينما كان يمشى الهوينا ، ومن خلفه الأمير سعود بنفس حالة السلطان . بالنسبة لى كانت هذه أول مرة أشاهد فيها " والى البلاد " جليل القدر وهو بملابس الإحرام ، لم يكن إسماعيل قد تمكن من مقابلة السلطان لأنه مرض فى يوم الدعوة ، وبعدها بيومين لم يكن لدى السلطان وقت حتى نتمكن من لقائه ، ووصل السلطان قريبا من صفنا ، فتقدم إسماعيل وصافحه وتوقف السلطان المعظم ، وسأله عن أحواله ثم قال لإسماعيل : " لقد سألت عنكم أكثر من مرة " فقال إسماعيل للسلطان المعظم : " فى البداية ساءت صحتى وبعدها منعنى عنكم كثرة مشاغلكم " وظل السلطان واقفا لدقيقتين يتحدث مع إسماعيل ثم اصطحب إسماعيل معه إلى الجزء المسقوف من المسجد ، وعند وصول السلطان إلى داخل المسجد بدأت صلاة الجماعة ، فكانت صلاة الظهر أولا ، ومعها كانت صلاة العصر ، وألقى الشيخ عبد الله بن حسن قاضى القضاة الخطبة ، وكان موضوعها " أعمال الحج " .

وبعدها ذهب السلطان المعظم مع الأمير سعود إلى خيمتهم ، وخرج عامة الحجاج من المسجد واتجهنا نحن أيضا إلى خيمتنا ولكن فى الطريق مررنا على خيمة منشى إحسان الله الذى أصر على أن نتوقف عنده ، وفى تلك الأثناء جاء الطعام فتناولناه معا ، وقدّم لنا أحد البنجابيين " الشيشة "، بقينا جالسين ولمدة ساعة مع منشى إحسان الله ، وبعدها ومن خيمتنا اتجهنا إلى جبل الرحمة على وعد بأن نلتقى مع منشى إحسان الله خان فى المزدلفة .

أهل نجد والوقوف بعرفة :

ما آلمنى و أتعبنى كثيرا فى عرفات هو قيام الحجاج بنصب خيامهم دون أى ترتيب ، فلا مسافات تترك بين الخيام ، ولا يمكن لشخص نسى مكانه أن يعود إلى خيمته ثانية ، وقد رأينا العديد من الحجاج ونحن فى خيمة منشى إحسان الله ، وقد نسى المساكين أماكن خيامهم ، فقدم لهم منشى إحسان الله الطعام ، وعقد العزم على أن يقيم فى العام القادم إن شاء الله خيمة مستقلة لإطعام التائهين والضائعين ، ممن يصعب عليهم الوصول إلى خيامهم .

وصلنا إلى جبل الرحمة حوالى الساعة الرابعة وهناك لم نجد مكانا لقدم ، فقد كان الزحام شديدا ، والأمر الثانى أن الحجاج الذين جاءوا قبل ليلة قاموا بقضاء حاجتهم هناك فوسخوا المكان ولوثوه .

وقفنا في البداية فى مكان ورحنا نردد الدعاء لله ، ثم صعدت إلى مكان مرتفع لأشاهد عظمة وقوف أهل نجد ، حقيقة إن حق الوقوف هنا لا يؤديه كما ينبغي سوى أهل نجد ، فقد انتهوا من الصلاة ، وركبوا النوق ، ووصلوا إلى جبل الرحمة ، وظلوا من الساعة الثانية حتى غروب الشمس ، إما يتوجهون لله بالدعاء وإما يتلون القرآن الكريم ، رأيت هذا المنظر فأثر تأثيرا عميقا في داخل قلبى ، فالهنود والمصريون والحجازيون وغيرهم من الحجاج لم يصل أكثرهم حتى إلى المسجد ، ومنذ أن وصلوا من منى إلى عرفات ، وهم جلوس فى خيامهم لا يبرحونها ، ويظلون فيها حتى غروب الشمس ، ولا يفكرون أبدا فى الخروج منها ، وأخذت أنظر حولى أستطلع المكان ، ونزلنا من فوق إلى مكان نظيف إلى حد ما ، وجلسنا ندعو الله ، وقبل غروب الشمس بنصف ساعة وقفنا ، وأخذ إسماعيل يدعو الله بصوت مرتفع ، ونحن نردد من خلفه : آمين .. آمين . أخذ إسماعيل يدعو الله دعاءً مؤثراً أجرى الدموع من عيوننا ، أخذ يدعو الله أن يعز المسلمين ويرفع من شأنهم ، وأن يحرر الهند من قبضة الاحتلال وأن يمنح جميع بلاد العالم الإسلامى الحرية والعزة .

وبدأت الشمس فى الغروب ، فنهضنا من هذا المكان ، واتجهنا إلى المقهى المجاور لمسجد نمرة .

كان المنظر فى ذلك الوقت عجيبا ، وبينما كنا نتجه ناحية عرفات كان صدى " لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك " يرتفع ويتردد فى

الأجواء ، ها قد حان وقت العودة ، ومع صدى " لبيك اللهم لبيك" كانت مختلف الجماعات تصدح بصوت "الله أكبر الله أكبرلا إله إلا الله الله أكبر ولله الحمد"

عدد الحجاج

قدم هذا العام بالبحر ٨٢ ألف حاج ، وكان عدد حجاج أهل نجد خمسين ألف حاج، فى حين كان عدد حجاج اليمن والحجاز والشام والسودان أكثر من ٨٢ ألف حاج ، بالإضافة إلى حجاج البلاد الأخرى الذين يقدرون بحوالى خمسين ألف ثم مائة ألف حاج من مكة و٢٥ ألف من نواحى مكة من البدو والعربان وغيرهم ، وهكذا فقد ضم اجتماع عرفات حوالى ٣٠٠ أو ٤٠٠ ألف حاج ، وكانت الجماعات تمضى زرافات زرافات ، يرددون جميعا بصوت واحد ذكر الله ، فيتحول الجو إلى حالة من الروحانية لا يشعر بها إلا من هو بداخلها ، وقد جاء السلطان المعظم على البعير ورجع أيضا على البعير .

العودة من عرفات

وصلنا إلى المقهى فكان أول ما فعلناه هو شرب الشاى ، بعد ذلك فكرنا فى إعداد الطعام ، واسترحنا بعد أن طلبنا من تشراغ دين طبخ

الأرز " البلاو " على الطريقة الهندية ، فظل ساعة يطبخ ثم جاءنا بالطعام ، الذى لم أشعر له بأى طعم .. ماذا يفعل المسكين تشراغ دين ؟ ليس لديه فلفل وليست لديه بهارات ، كل ما عنده هو الملح البحرى . على كل حال أكلنا قليلا مما جهزه لنا ، وشربنا الشاى ، وبدأنا فى التحرك .

كانت الليلة مقمرة ، والميدان واسع وفسيح ، والقلب رق ورق ، فشعرت بالرغبة فى العودة مشيا على الأقدام ، والقلب يطاوعنى فالمزدلفة قريبة ، ونحن فى الموضوع وجدنا حمارا ، فقرر البروفسور عبد الحى أن يؤجره ، لكنى قلت له إن الأجرة غالية ، وبدأت أسرع الخطو ، ولم يعارضنى إسماعيل أو شهبندر عبد الشكور أو البروفسور عبد الحى ، ولكن بعد أن مشينا حوالى ربع ساعة ، عرفنا قدر عافيتنا ، فجلست على الرمال بعد أن أصابنى الإعياء ، ثم نهضت ومشيت ، ولكنى لم أتمكن من المضى قدما ، فتوقفت لأستريح ثم خجلت ونهضت ثانية أمشى ببطء ، لكنى وجدت نفسى مجبرا على الجلوس مرة أخرى ، وهكذا قطعنا مشوار السفر فى هذا القيام والقعود ، بينما أصوات الجمال والحمير تستقبلنا كل عشرة أقدام أو عشرين قدما .. وملخص الحكاية أننا وصلنا إلى المزدلفة حوالى الساعة الثانية عشرة فى منتصف الليل، والحمد لله والشكر له فلم نأخذ وقتا طويلا للبحث عن قافلتنا ، ووصلنا قريبا من المسجد ، فعرفنا المكان بسرعة ، وأخذت بساطا وفرشته ورقدت عليه ، وكنت متعبا ولهذا نمت دون أن أدرى ،

إلا أن البرد فى النصف الأخير من الليل كان شديدا وقارسا ولهذا استيقظنا فتوضأنا وصلينا ودعونا الله ، وقبيل طلوع الشمس ركبنا الحمير ووصلنا إلى منى خلال ساعة تقريبا .

رمى الجمرة الأولى

كان أول مافعلناه بعد ذلك أن ذهبنا إلى الشيخ عبد الرحمن مظهر وهناك التقينا بالنائب عبد الحميد ، الذى سافر من مكة المكرمة إلى عرفات ، ومن عرفات إلى منى مشيا على الأقدام ، وكان معه خان بهادر عبد الحكيم خان ، وهو شرطى متقاعد ، وينوى النائب عبد الحميد أن يسافر إلى أوربا بعد الحج ، ولهذا فهو يحاول أن يركب بأى شكل سفينة مصرية حتى يجد فرصة للذهاب إلى الإسكندرية أو بور سعيد ، وهكذا يواجه مصيبتين : الأولى أنه سوف يضطر للبقاء فى " الطور" أو أى مكان آخر خاص بالحجر الصحى ، بعد الفرا غ من الحج ، والثانية أنه يخشى من ألا يسمح لغير المصرى بركوب سفينة متجهة إلى مصر بعد الحج . ووعدناه بأن نتحدث مع إحسان الله خان حتى يحاول أن يجد حلا لهذه المشاكل ، وهكذا ذهب معنا النائب من عند السيد مظهر فقمنا برجم الشيطان الأكبر ، وبعدها ذهبنا إلى بيت منشى إحسان الله وهو قريب جدا من مكان الشيطان الأكبر ، ووصلنا هناك وقصصنا حكاية النائب عبد الحميد الذى يريد الذهاب إلى أوربا ، فى تلك الأثناء أعد لنا منشى إحسان

الله خان " اللسّى " أى مشروب اللبن ، وبعدها جاءنا بالطعام ، وطلبنا منه أن نذهب للخيمة ، لنتحلل من الإحرام ، فقال : الحلاق موجود ، قصروا أو احلقوا رءوسكم ، واستحموا ، وتناولوا الطعام واستريحوا ، ثم غيروا ملابسكم فى المساء . وهكذاأعطينا ثمن الأضاحى لخواجه غلام محمد حتى يقوم بشراء " نعجة" وذبحها وأن يذهب للاستحمام وبعدها يستريح فى بيت منشى إحسان الله خان .

السلطان واهتمامه براحة الحجيج

كانت السيارات تمضى فى السوق بسرعة كبيرة ، مما كان يتعب الحجاج القادمين لرمى الجمرات كثيرا ، لكن أحدا لم يكن باستطاعته وقف مثل هذه السيارات ، فى تلك الأثناء قدم موكب السلطان ، وانتهى السلطان من رمى الجمرات ، ثم اتجه إلى مكة للطواف ، وفى أثناء عودته ، علم بما يعانيه الحجاج من السيارات التى تمرق بسرعة بين الحجاج الذاهبين لرمى الجمار ، والتى كان يقودها الصبية من الغلمان ، فقرر أن يعين حراسا نجديين فى منى ، وبعدها نزل السلطان نفسه من سيارته ، وضرب بنفسه هؤلاء الصبية من الغلمان الذين راحوا يقودون السيارات بسرعة ، دون مراعاة لوجود الحجاج ، وبعدها عرفنا أن السلطان نفسه لم يعد يستخدم السيارات ، وجاء لرمى الجمرات ممتطيا صهوة جواد .

فى المساء ذهبنا إلى خيمتنا ، فخلعنا ملابس الإحرام ، ولبسنا الملابس العادية ، وذهبنا إلى مسجد الخيف لأداء الصلاة ، فشاهدنا الحراس من أهل نجد يقومون بتنظيم سير السيارات ، ومضت من أمامنا ست سيارات واحدة بعد الأخرى ، كان فى إحداها شقيق السلطان الأمير محمد ، وفى الأخرى الشيخ عبد الله على رضا قائمقام جدة (*) ، وفى الثالثة أسرة آل القصيبى ، وفى السيارات الأخرى بعض أكابر جدة ، وقام الحراس النجديون بإيقاف السيارات عند آخر حدود العمران فى منى ، ونزل الجميع من سياراتهم ومشوا على الأرض ، بينما وقفت السيارات فى صحن مستشفى منى وبعدها ولمدة ثلاثة أيام لم تدخل منى أى سيارة .

عقاب بعض صبية نجد

بينما كنا نجلس فى بيت منشى إحسان الله خان ، وأمام البيت شاهدنا بعض الصبية النجديين ، ورأينا اثنين منهم يمسكان بقشر البطيخ ، ويقذفان به المارة من الحجاج العابرين فى السوق ، لم يتحمل البروفسور عبد الحى عرب رؤية ما يحدث ، وبدأ يقول لهما : ألا تخجلان من مضايقة حجاج بيت الله بهذه الطريقة ؟ سوف أذهب بنفسى إلى

(*) فى الأصل : حاكم جدة . (المترجم)

جلالة الملك ، وأشكوكم عنده . ولم يعر الصبيان أى انتباه لما قاله البروفسور عبد الحى ، ورغم أنهما توقفا عن رمى الحجاج بقشر البطيخ فإن الألم فى قلوبنا لم يهدأ ، فكيف يجرؤ هؤلاء الصبية على مضايقة الحجاج بهذا الشكل ؟ وقررنا أن نقابل السلطان وأن نذكر له هذه الحادثة.

وفى صباح اليوم التالى كنا ذاهبين للسلام على السلطان وتهنئته بالعيد ، وكان البروفسور عبد الحى لا يزال متأثرا من واقعة " قشر البطيخ " وهكذا كتب ملخص الحادثة فى ورقة وضعها فى ظرف ، وبعد سلامنا على الملك ، وبينما كنا نستأذن فى الخروج قدم البروفسور عبد الحى الظرف إلى السلطان ، وخرجنا من حضرة السلطان ، وذهبنا إلى خيمة الأمير محمد ، وكانت بجوار خيمة السلطان ، وبينما نحن جلوس عنده إذا برسول يأتى من عند السلطان ، ويطلب منا أن ندله على المكان الذى وقعت فيه الحادثة ، فدله البروفسور على المكان ، فقام رجال الشرطة بالقبض على جميع الصبية النجديين هناك وأحضروهم إلى السلطان ، وحين رأى هؤلاء الصبية نتيجة عملهم بدأوا يقولون : " بالله سامحونا ، لقد أخطأنا ، غلطنا .. " فقال السلطان : " بالله سوف أعاقبكم حتى لا تتجرأوا على مثل هذا العمل ثانية " .

وهكذا نال هؤلاء الصبية من نجد عقابا صار عبرة لأمثالهم .

لقاء السلطان والأمراء

حضرنا فى الساعة العاشرة من صباح يوم الحادى عشر من ذى الحجة إلى حضرة السلطان لتهنئته بالعيد ، وكان السلطان يجلس فى خيمة كبيرة خارج قصره ، وعن يمينه وشماله صُفت الكراسى ، وأمامه أيضا وضعت صفوف من الكراسى ، وكان هناك بعض الضيوف قدموا قبلنا ، وخلف السلطان جلس بعض أكابر أعضاء الحكومة ، وكان السلطان نفسه يتحدث مع أحد الضيوف المصريين عن عصيان بعض النجديين ، وكان السلطان يقول : " نحن لم يحدث أن ظلمناهم بأى شكل من الأشكال ، لم يحدث أبدا أن شبعنا وهم جائعون ، فطعامنا طعامهم ، وممتلكاتنا هى ممتلكاتهم ، ونحن نعتبر شيوخهم مثل آبائنا ، ونعتبر صغارهم مثل أولادنا ، ونعتبر شبابهم مثل أخوتنا .. ولكن لا ندرى كيف ركب الشيطان رءوسهم ليكونوا سببا فى سفك الدماء وإثارة الحروب الداخلية ؟"

حين وصلنا وقف السلطان - معبرا عن حسن أخلاقه وتواضعه - فصافحنا ، وسألنا عن أحوالنا . وبعد دقائق جاءت القهوة ، وحين بدأنا الانصراف وقف السلطان ثانية وصافحنا ، وبعد أن سلمنا على السلطان ، ذهبنا للسلام على الأمير سعود ، وكانت خيمته مجاورة لخيمة السلطان ، ومملوءة بالكراسى ، فقام الابن جليل القدر ، مثله مثل أبيه السلطان جليل القدر ، بالوقوف ،

وصافحنا قائلا : الحمد لله ، فقد كان الجو طيبا طوال أيام الحج .. وشربنا القهوة ثم غادرنا ، وذهبنا إلى خيمة الأمير فيصل ، وهي تبعد قليلا عن خيمة السلطان وخيمة الأمير سعود ، كان الأمير فيصل يفترش الأرض ، وكعادة أهل نجد يستخدم الوسائد ، فقام هو أيضا وصافحنا ، وقدم لنا القهوة ، وتحدث عن الجو الطيب الذي ساد أيام الحج ، وبعد قليل طلبنا الإذن بالانصراف ، في تلك الأونة جاء رسول من عند منشي إحسان الله يدعونا لتناول الطعام ، فذهبنا وتناولنا الطعام واسترحنا حتى المساء.

العودة من منى

في أثناء الإقامة في منى التقيت بمدير جريدة الرياض المصرية ، والتقيت أيضا بمصور مصري وآخر يصور فيلما ، وكان يعمل مندوبا للشركة الأمريكية المشهورة " بيرامونت " ، وقد جاء هذا المندوب ليصور فيلما عن الحج ، ولكن التجهيزات المناسبة للفيلم لم يمكن إعدادها آنذاك .

وفي الحادي عشر من ذي الحجة وقبل غروب الشمس كنا قد رجمنا الشياطين الثلاثة ، وحقيقة الرمي يمكن فهمها بعد مشاهدة الرمي نفسه ، وقد شعرت أن جميع طواغيت الباطل ماثلة أمامي ، ويريد جميع أبناء التوحيد القضاء عليها في نفس واحد " بسم الله . الله أكبر " .

وفى يوم الثانى عشر وبعد الزوال عدنا بعد رمى الجمرات وكان كثير من الناس قد تركوا منى صباح اليوم الثانى عشر أما نحن فقد رجعنا حوالى الساعة الثالثة ، واستأجرنا حمارا بالقرب من جمرة العقبة ، ووصلنا إلى مكة حوالى الساعة الرابعة ، وظل البروفسور عبد الحى يضحكنا بعباراته البنجابية التى ينطقها نطقا عربيا فأدخل السرور على قلوبنا ، ثم كان طواف الإفاضة فصلاة المغرب والعودة إلى مقر إقامتنا .

فى ذلك الوقت كانت الجمال التى تحمل أمتعتنا قد وصلت . وهكذا وفقنا الله تعالى فى أداء مناسك الحج ، فله الحمد فى البداية والنهاية .

أمور متفرقة

الشكر لله والحمد لله ، فقد كان الجو فى أيام الحج طيبا ، ولم تقع أية حادثة هذه المرة فى عرفات أو فى منى ، وكان الطريق من مكة إلى منى مُضاء بالأنوار ، كما أُضيئت أيضا المزدلفة وعرفات ، والماء كان موجودا بكثرة فى كل مكان ، وقامت الحكومة بوضع مظلات فى الطرق ، تبعد عن بعضها مسافة ميل تقريبا ، ويجلس تحتها الأطباء ومعهم بعض الأدوية ، ومعهم المياه أيضا ، وقد ذكرت أن التكارنة واليمنيين فى أيام الحج هم من الأعاجيب ، فهؤلاء الناس لا يبقون فى الأماكن السهلة أو الوديان بل يفضلون البقاء فى أعلى الجبال

والمرتفعات ، وفى وقت الحر الشديد يبقون أيضا فوق الجبال ، على كل حال كنت وأنا أكتب هذا الخطاب أضع فى ذهنى أمرين أو ثلاثة أمور مهمة : أولها أننا التقينا بالسلطان يوم الحادى عشر من ذى الحجة ، وأن إسماعيل ذهب للقاء السلطان أيضا يوم الثانى عشر ، وظل يتكلم مع السلطان لنصف ساعة تقريبا ، والأمر الثانى أنه تحت رعاية منشى إحسان الله خان تم إعداد بعثة طبية على مستوى عالٍ فى مكة المكرمة ومنى ، وكان يعمل بها طبيبان لعدة أيام فى مكة المكرمة ، انتقلا بعدها للعمل فى منى ، وحين عاد الحجاج من منى ذهب أحد الأطباء إلى جدة وأقصد صديقنا العزيز الدكتور عبد الحميد ، وظل الثانى يؤدى خدماته للناس فى مكة المكرمة ، وسمعت أنه ظل هناك حتى الخامس عشر من محرم .

عمل منشى إحسان الله خان

إن الخدمات التى قدمها منشى إحسان الله للحجاج والعون الذى قدمه لهم يفوق كل تقدير ، ويعلو كل مدح وثناء ، وإننى على يقين من أن كل حاج يشهد بذلك علنا ، ولم تقتصر هذه الخدمات على ما أوكل إليه فقط بل تعدى الأمر إلى أكثر من ذلك ، فقد كنا جلوسا عنده ذات يوم ، وإذا برجلين قدما إليه يبكيان ، كان مع أحدهما سند مالى بمبلغ خمسمائة روبية ، بينما كان مع الآخر سند بمبلغ أربعمائة روبية ، وكان

هؤلاء الناس قد سلموا شهبندر تشاند عمر المبلغ وأخذوا منه السند المالى ، إلا أن من كُتبت السندات بأسمائهم يؤخرون الدفع منذ أسبوعين .

طلب منشى إحسان الله من هؤلاء الناس أن يطلبوا من أصحاب السندات أن يظهروها ، وأن يكتبوا صراحة أنها غير مقبولة الدفع ، وكتب أصحاب السندات هذه العبارة . واضطرب المساكين ، فاضطر منشى إحسان الله أن يتحمل المسئولية وأن يوجههم إلى مكان آخر لصرف هذه السندات ، وهو يعلم أن هناك من جاءوه قبلا بمثل هذه المستندات التى لا تصرف ، فهى غير مقبولة فى مكة . وكان هؤلاء الناس يأتون إلى منشى إحسان الله يبكون .. وما كان منه إلا أن فتح صرته ليخرج منها خمسة عشر جنيها يعطيها لهم قائلا :باقى النقود سندبرها بعد العودة من عرفات ، لا بد أن يختار أصحاب هذه السندات وكلاء عنهم موثوقا بهم ، وأن ينتبهوا إلى أولئك الوكلاء الذين يماطلون أو يرفضون تماما دفع هذه السندات .

انقلاب فى ٨ يوليو١٩٣٠ م

بعد أداء فريضة الحج

وصلنا مكة قادمين من منى فى الثانى عشر من ذى الحجة ، ووصلنا خبر فى الثالث عشر مفاده أنه سُمح للذاهبين إلى المدينة أن يسافروا خلال يومين ، وسوف يسمح بعد ذلك للذهاب إلى جدة .

بعد القدوم من منى وخلال يومين اشتدت حرارة الجو لدرجة أننا صرنا نعانى كثيرا ونشكو هذه الحرارة ، ولم يكن إسماعيل مستعدا هذه المرة للسفر إلى المدينة ، ولهذا قرر النائب محمد شريف أيضا ألا يذهب إلى المدينة ، لأنه سمع من عموم الناس أن الطريق صعبة ومتعبة ، فدرجة الحرارة مرتفعة جدا ، والغبار والتراب يتصاعد من جراء انطلاق السايارات على الطريق ، وكان سردار " جل(*) محمد خان " السفير الأفغانى السابق قد قدم للحج هذا العام ، وزار المدينة قبل الحج ، وكان يلتقى بنا كل يوم ، وقرر النائب محمد شريف أن يعود معه ، وكان السفير قد التقى بالسلطان المعظم ، فسأله السلطان عن أحوال محمد

(*) تنطق الجيم مثل نطق المصريين (القاهريين) لها . (المترجم)

نادرشاه غازى ، وأحوال أفغانستان ، وبعدها قال : " إننى أرى أن الانضواء مجاهدا مسلما يحارب من أجل الإسلام تحت راية يرفعها نادر شاه غازى هو مبعث فخر لى " وبعدها سلم السلطان إلى السفير خطابا باسم نادر شاه غازى ، كما أرسل سيارته لتنقل السفير إلى جدة ، ووصل النائب محمد شريف مع السفير إلى جدة ، وتوجه إسماعيل بناء على رغبة السلطان لمرافقة السفير حتى جدة .

ترتيب أمر حجز مقاعد العودة

قررنا أن نلتقي بالسلطان المعظم مرة أو مرتين ثم نذهب بعدها إلى المدينة المنورة ، ونعود بعدها إلى جدة لنستقل السفينة عائدين من حيث جئنا ، فطلبنا من منشى إحسان الله خان أن يتولى مسئولية حجز مقاعدنا فى السفينة ، إلا أنه رفض ذلك رفضا باتا قائلا : " أنتم إخوتى .. أنتم أعزائى .. أنتم أصدقائى .. لكننى كما تعرفون قاصر عن أداء مثل هذا الواجب ، فالقاعدة المعروفة هى أن من يصل جدة يسجل اسمه ، فيتم حجز مقعد له .. سوف أرسل لكم سيارتى من جدة ، تعالوا فيها إلى جدة لكن لا يمكن أن نحجز المقاعد دون أن تسجلوا أسماءكم ، وقبل أن تصلوا إلى جدة .. هذا بالإضافة إلى أن من وصل جدة قبلكم هو أولى الناس بالحجز " .

وجعلنى هذا الكلام أصمت ولا أنطق بحرف ، كان إسماعيل قد ذهب إلى جدة ، وربما يعود ومعه تذاكر العودة ، وعرفنا أن سفن شركة

" ترنر ماريسون " الراسية فى الميناء ستتحرك آخر سفنها فى الفترة من ٢٧ مايو إلى ٣٠ مايو ، وهكذا حجز إسماعيل مقاعدنا فى هذه السفن .

الجو السياسى المضطرب فى الهند

عرفنا بخبر القبض على غاندى ونحن فى منى ، كما أخبرنا أحد الأشخاص أن هناك مظاهرات صاخبة فى بشاور ، وعاد إسماعيل من جدة بأخبار أخرى متعددة منها : اعتقال الدكتور عالم ، والدكتور ستيه بال ، ومولانا ظفر على خان ، وكذلك جاءنا بتفاصيل مظاهرات بشاور والبيان الذى أصدره الشيخ عبد القادر قصورى ، وتطبيق قانون الصحافة .

وفى اليوم التالى وصلتنا بعض الخطابات ، ومعها الصحف أيضا ، وكان مدير مكتب بريد مكة الشيخ عبد الرحمن كشميرى قد أرسل لنا بعد وصولنا بيومين أو ثلاثة رسالة يسأل عن كيفية اللقاء ، كما اتصل بنا أيضا هاتفيا يسأل عن موعد يمكن أن نلتقى فيه معا ، ولما اتصلنا به نسأل عن قدوم البريد من الهند ، أخبرنا الشيخ عبد الرحمن بأن البريد سيصل بعد صلاة المغرب . وهكذا صلينا المغرب فى الحرم ، وذهبت مع خان محمد خان إلى مكتب البريد وهو عند باب الوداع بالحرم الشريف ، فأخذنا البريد وقرأنا الخطابات هناك ، وجئنا إلى

الحرم ، وقرأنا الصحف لقد أقلقني خطابك كثيرا(*) وبعد الاطلاع على سوء الأحوال السياسية والاضطرابات الشديدة في الهند ، قررت أن أغادر جدة إلى الهند بأسرع ما يمكن ، فقد كنت في بداية سفرى أفكر في الذهاب إلى بيت المقدس ومنها إلى مصر ، ثم أعود بعدها إلى الهند ، ولكن معرفتي بسوء الأحوال في الهند جعلتني أضرب بكل هذه الترتيبات عرض الحائط .

لقاءات السلطان

عرفنا اليوم أن السلطان المعظم سيذهب إلى جدة لقبول اعتماد وثائق السفير البريطاني الجديد ، ولأنه سيقيم في جدة ليومين فقد تمكنت - بعد عودته من لقائه خلال إقامتي في مكة ثلاث مرات في أوقات مختلفة ، وتناولت الطعام ذات يوم مع الأمير سعود ، ولا أجد هنا ما أعبر به عن حسن خلقه وكرمه ولطفه .

العودة

كنت قد حصلت على إذن عن طريق إسماعيل بالذهاب إلى المدينة المنورة ، وقام شهبندر عبد الشكور بحجز مقعد له في سيارة ، وودعنا

(*) يخاطب هنا صديقه وزميله ورفيق دربه مولانا عبد المجيد سالك الذى كان قد أرسل له خطابا من الهند ، يتضمن أخبار الهند والأحداث التى كانت تدور فيها آنذاك ، والقلاقل التى عمتها . (المترجم)

وذهب إلى المدينة المنورة ، وبعد يومين أو ثلاثة قام الحافظ محمد صديق بتجهيز سيارة ، فقد فكرت فى الذهاب للمدينة ليومين أو ثلاثة ، لكننى كنت أنتظر فى مكة تحديد موعد اللقاء السلطان المعظم ، بالإضافة إلى أن اضطراب الأحوال فى الهند جعلنى قلقا ، مما منعنى من السفر إلى المدينة فى ذلك الوقت .

ذات يوم بينما كنا نتناول طعام العشاء اتصل بنا منشى إحسان الله هاتفيا ، وأخبرنا بأن السفينة سوف تتحرك فى الثالث والعشرين من مايو ، ولا توجد سفن بعد ذلك تتجه إلى الهند ، إلا بعد عشرين يوما . هكذا كان من الصعب أن أذهب إلى المدينة ثم أعود حتى ذلك التاريخ (أى الثالث والعشرين) وإذا لم أسافر بالباخرة " دارا " فهذا يعنى أننى لا يمكن أن أصل إلى الهند أول يوليو ، ولهذا قررت رغما عنى أن أسافر مباشرة إلى الهند ، وأن أقوم بتأجيل السفر إلى المدينة المنورة إلى وقت آخر . ولأننى أنوى السفر إلى مصر وبيت المقدس فى هذا الشتاء أو الشتاء القادم ، قررت أن أزور المدينة المنورة فى ذلك الوقت بإذن الله .

ومن هنا ذكرنا لمنشى إحسان الله هاتفيا أننا سنصل إلى جدة فى الثالث والعشرين ، لكن وصلتنا برقية تفيد بأن السفينة دارا سوف تتأخر عن موعدها أسبوعا ! ولوعرفنا من قبل بهذا التأخير لأمكننى السفر إلى المدينة المنورة ، لكن أسبوعا واحدا لا يكفينى للسفر إلى المدينة فالسفر وحده يستغرق ستة أيام ، وإذا لا قدر الله حدث شىء للسيارة فإن هذا يعنى المزيد من التأخير ، ويعنى أن الوقت كله قد ضاع فى السفر فقط .

الحياة فى مكة

بعد العودة من منى كانت حياتنا فى مكة تتلخص فى الحديث طول اليوم أو النوم ، وبعد العصر نذهب إلى الحرم ، وكان من الضرورى أن نصلى المغرب والعشاء فى الحرم ثم نطوف ، وكان يحضر عندنا فى معظم الأوقات الشيخ عبيد الله السندهى مرة فى النهار ومرة بعد صلاة العشاء ، أو على الأقل مرة واحدة إن شغلته بعض الظروف ، فكان الحديث يدور حول تفسير القرآن ، وأحوال الهند ، أو مناقشة بعض القضايا العلمية . والشيخ عبيد الله مشغول هذه الأيام بكتابة بحث عن سيرة شاه ولى الله المحدث الدهلوى ، وكان قد كتب رسالة بالعربية عن الجهود الدينية لشاه ولى الله الدهلوى ، وقد وعدته أن أطبع له البحث بعد أن يكمله ، وقد التقيت بالشيخ عبد الرحمن الصديقى ، وكنت قد سمعت عنه كلاما كثيرا من أخى المحترم شعيب قريشى ، وكنا حين جئنا للحج ووصلنا إلى جدة التقينا بالشيخ عبد الله على رضا قائمقام جدة (*) الذى أخبرنا أن عبد الرحمن الصديقى جاء وذهب إلى المدينة المنورة ، فاشتقت كثيرا للقائه ، والتقيت به فى بيت منشى إحسان الله خان فى منى ، وطلبت منه أن نلتقى حين نصل إلى مكة المكرمة ، وهكذا ذهبت للقائه فى بيت المرحوم سيد أمين عاصم ، حيث كان ينزل هناك ، ولكنه كان قد ذهب لأداء العمرة ، وفى اليوم التالى سمعنا أنه رجع إلى الهند .

(*) فى الأصل : حاكم جدة . (المترجم).

محاولات من أجل شيشية مصنوعة من المرمر

سبق أن ذكرت " محمد يوسف " من بين رفقاء السفر ، وهو نجل عالم جماعة أهل الحديث المشهور في مدينة " آجرا " (*) حاجي وراث على ، الذي يعمل بالتجارة . وكان قد أحضر هدية للسلطان المعظم عبارة عن " مصباح " مصنوع من المرمر الثمين ، وكان هذا المصباح على شكل قبة وبداخل القبة " لمبة كهربائية " ، وذات يوم طلب من إسماعيل أن يتولى توصيل هذه الهدية إلى السلطان المعظم ، فطلبت منه أن يرينا أولا الهدية لنقرر إن كانت تصلح لتقدم هدية إلى السلطان أو لا .. وأخذنا نمزح معه حتى أرانا يوسف " المصباح المرمرى ". أو كان رائعا جدا ، وقد سألته عما يمكن أن يصنع أيضا من المرمر ، فقال يمكنه أن يصنع من المرمر مقلمة ، ويمكنه أن يصنع " مساكة ورق " وغيرها ، فقلت له : هل يمكن أن تصنع شيشة أيضا ؟ لا بد أن أشير هنا إلى أن يوسف من جماعة أهل الحديث المتمسكين بعقيدتهم شكلا وموضوعا ، فقال حين سمع سؤالي : "لا حول ولا قوة إلا بالله " ثم أردف قائلا : يمكن أن أرسل لك مقلمة أو قاعدة مصباح أو مساكة أوراق أو غير ذلك لكن .. شيشة ! معاذ الله ! اطلب من غيرى أن يصنعها لك .. " فقلت له : حسنا ! سوف أشترى الشيشة بنفسى على أن تزينها فيما بعد وترسلها إلىَّ "

(*) تنطق الجيم مثل نطق المصريين (القاهريين) لها . (المترجم)

كان إسماعيل مؤيدا لرأى يوسف لكنه قال : من الأفضل أن تشترى الشيشة وتكتب عليها " هدية من يوسف " أو " من طرف جماعة أهل الحديث فى آجرا ".(*)

والخلاصة أننا بقينا نتجاذب أطراف الحديث اللطيف تسرية عن أنفسنا ، وكان يوسف قد ذهب إلى المدينة قبل مجيئنا بعدة أيام ، وحين يعود سوف نقرر كيفية إيصال هديته إلى السلطان المعظم ، وبعدها قدمنا الهدية إلى السلطان ، وبتعبير يوسف قدمنا معها سلام أهل الحديث فى آجرا ومحبتهم . وشكره السلطان السلطان المعظم على هديته ، وكتب له رسالة محبة ، وود لو يحملها معه إلى جماعة أهل الحديث بمدينة آجرا .

خطابات مؤثرة

يصل البريد الخارجى إلى مكة المكرمة ثلاث مرات فى الشهر (أيام ٦ و١٦ و٢٦) ويرسل البريد الخارجى من مكة ثلاث مرات فى الشهر أيضا (أيام ٩ و ١٩ و ٢٩) وهكذا ذهبنا لاستلام خطاباتنا التى ربما وصلت فى بريد يوم ٢٦ ، ووصلنا إلى مكتب البريد بعد صلاة المغرب ، فقال لنا الشيخ عبد الرحمن معاتبًا : " ها قد جئتم لمصلحتكم

(*) تنطق الجيم مثل نطق المصريين (القاهريين) لها . (المترجم)

فقط لا للقائى !! " فاعتذرنا له عن قصورنا ، وجلست هناك مع السيد خان لمدة ساعة حتى تم فرز البريد ، ووجدت خطابات لى ، لكنى لم أجد الجرائد ، وعرفت المزيد من المعلومات عن الهند بعد قراءتى لهذه الخطابات ، وتسلمت خطابا من ولدى عبد السلام ومن شقيق ابن خاله عبد البارى ، وقرأت الخطابين ولم أتمالك نفسى فانهمرت الدموع من عينى ، فهما خطابان كتبهما طفلان بريئان ، لا يزيد عمرهما عن تسع سنوات وسبع سنوات ، وقد أثرت هذه العواطف والمشاعر البريئة الطاغية فى فؤادى بشدة .

لا شك يا " سالك " (*) أننى قلق عليك ، فقد تركتك وحيدا ، كما أننى قلق أيضا على ما يدور فى الهند ، وتطور الأحداث السريع ، وغيرها من أمور جعلتنى أقلق طوال سفرى ، ولكننى تأثرت كثيرا من خطابات " سلام " و " بارى "(**) ، وفى الغالب طلب خال سلام منه كتابة الخطاب ، لكن من ذا الذى لا يتأثر حين يقرأ تلك العواطف الطاهرة التى تأتى من طفل برئ ؟

كتب سلام فى خطابه :

السلام عليكم ، أنا لست حزينا ، مبروك عليك هذا السفر ، أدعو لك كل وقت أن يحفظك الله من كل بلاء أو مصيبة ، وقبل أن يصل هذا

(*) يقصد مولانا عبد المجيد سالك . (المترجم)

(**) أى عبد السلام وعبد البارى . (المترجم)

الخطاب إليك بالبريد الجوى يكون دعائى قد وصل إلى العرش العلوى ، ولهذا فقلبى مطمئن ، لأن من تركناك فى رعايته ، سيتولى حمايتك من كل شر ، حين أكبر سوف أطوى معك هذا السفر أيضا ، وسوف أقوم برعايتك .. لعلك قضيت وقتا سعيدا .

الداعى لك

عبد السلام

وهذا نص خطاب عبد البارى :

" أنا وعبد السلام نلعب معا ، أبى يحكى لنا أحوال سفرك ، أول أمس قرأنا برقيتك ، وعرفنا أنك وصلت بخير ، فرحنا كثيرا ، وشكرنا الله ، أعادك الله لنا بخير وعافية .

عبد البارى

مولانا عبيد الله السندى

قرأ إسماعيل هذين الخطابين فتأثر كثيرا ، ثم قرأهما على مولانا عبيد الله السندى الذى تأثر بدوره ، وفى صباح اليوم التالى جاء حاملا جنيهين وهو يقول لى : "أعط عبد السلام جنيها ، وأعط جنيها لأمة السلام أخته " . فقلت له : بالله عليك .. معذرة .. واجبنا أن نخدمك لا أن نثقل عليك ، إن ما أطلبه منك لأولادى أكثر قيمة من النقود ،

ما أطلبه هو أن تدعو لهم بالخير . فقال مولانا إسماعيل : يا أخى ! اذهب إلى الهند وأعط أولاد مهر هذه النـــقـــود ". فقــال إســـماعيل أيضـا : لا ضـرورة لذلك .. اترك الحديث فى هذا الأمـر . وفى المسـاء حضر مـولانا ثانية وقال : لدى بعض القماش هدية من بعض الناس ، خذوا هذا القماش ، واصنعوا منه ملابس لعبد السلام وأمة السلام . فاعتذرت ثانية بكل أدب وقلت له : نحن جميعا نحتاج فقط إلى دعائك ، وفقك الله ورعاك ، ولا نحتاج لأى شىء غير هذا .

دعانا مولانا ذات يوم إلى بيته لتناول الشاى ، وحضرت وحضر إسماعيل البروفسور عبد الحى وخواجه محمد ، وقد اشترك فى ترتيب الدعوة مولانا عزيز الرحمن هزاروى ، وقد قبلنا الدعوة حتى لا نكسر بخاطر مولانا ، وفوجئنا فقد أعد الرجل مأدبة كبيرة .

وفى يوم دعينا إلى مأدبة أقامتها جماعة البوهرة ، وكان معى إسماعيل والبروفسور عبد الحى عرب ، وكانت الدعوة فى رباط البواهر أو قصر السيفية ، ومن خلال هذه الدعوة ، تعرفت على آداب الطعام لدى طائفة البوهرة .. مُدت المائدة ، وأُحرقت البخور ، ووُزع الشربات فى كوب من الزجاج البلورى ، فيقوم كل شخص برشف رشفة واحدة من هذا الكوب ، ولم نكن نعرف هذا التقليد ، ولهذا شربنا الكوب كله ، ثم جاء الطعام فى وعاء ضخم ، طعام كثير ومتنوع ولذيذ ، ووضعوا الملح فى كوب بلورى وسط الطعام ، وسألنا فعرفنا أنه من الضرورى تذوق الملح أولا قبل تناول الطعام ، وبعد أن تذوقنا الملح ، طلبنا منهم أن

يعلمونا كيف نأكل مثلما يأكلون ، وبعدها بدأ المدير الذى يُعين أميرا لرباطات البواهر كل عام بوضع طبق من بعد طبق فى الوعاء ، ثم نقوم جميعا بتناول الطعام ، كان هناك لحم مطبوخ بثلاث طرائق ، وخبز وأرز مطبوخ على الطريقة الهندية (بلاؤ) وبطيخ وشمام وفاكهة متنوعة ، وبعدها تذوقنا الملح ، ومن بعده أكلنا " الآيس كريم " .. كانت مأدبة ضخمة .. بعد الطعام دار الحديث عن الرباط لفترة من الوقت .

حادثة السفينة الفرنسية

في الخامس والعشرين تلقينا خطاب شهبندر عبد الشكور من جدة ، وقد ذكر فيه أنه رجع من المدينة المنورة ، لكن متاعه احترق فى الطريق .. ففى تلك الليلة التى تحركت فيها سيارات شركة النجاح ، فى الوقت نفسه تقريبا ، وفى الليلة نفسها اشتعلت النيران فى سفينة فرنسية ، وقام القبطان على الفور وقبل أن يفعل أى شىء بإنزال قوارب النجاة ، حتى يركبها الحجاج ، فتكتب لهم النجاة ، إلا أن الحجاج نتيجة لاضطرابهم سقطوا فوق القوارب ، مما جعل القبطان يعجز عن مساعدتهم ، وقد انقلب أحد القوارب الذى امتلأ بالركاب ، وبدأ ضباط السفن المجاورة فى إرسال قوارب النجاة للسفينة المنكوبة ، وهكذا تم إنقاذ معظم الحجاج .

يقول شهبندر عبد الشكور فى خطابه :

عرفت بخبر اشتعال النيران فى السفينة ، فركبت " اللانش " ولكن لم نتعرف على الطريق نظرا للظلام ، بالإضافة إلى أن ميناء جدة مملوء بالشعب المرجانية مما يجعل من وصول السفينة دون ضوء أمرا متعذرا ، وبصعوبة شديدة تمكن " اللانش " من الوصول إلى السفينة ، وفى هذه الحادثة المفجعة احترق متاع معظم الحجاج ، وطبقا لآخر المعلومات فإن مائة وواحدا وتسعين حاجا صاروا فى عداد المفقودين ، وحين عرف السلطان بالحادث أمر فى الحال بوقف جميع المراكب وتحويلها لخدمة الحجاج ومساعدتهم ، وفى اليوم التالى تم إنزال جميع الحجاج من مختلف السفن على الساحل ، وقدمت لهم الحكومة الطعام والشراب ، وأعطت كل حاج مساعدة مالية قدرها ١٥ ريالا (٢٠ روبية و١٠ آنات) وبعدها تم تسفيرهم ، وفى أثناء عودتنا شاهدنا السفينة المحترقة واقفة فى ميناء جدة ، وفى الليلة نفسها وفى الوقت نفسه احترق منى فى جدة !

حرارة مكة المكرمة

فى آخر أيام إقامتنا اشتدت حرارة الجو بشكل ملحوظ زاد عن الحد المألوف ، مما جعلنا نرقد طول اليوم خلف الأبواب ، كان الفراش مبتلا بالعرق ، وأجسامنا وملابسنا كلها غارقة فى العرق ، وكان ملمس المعدن والحديد حارا كأنه النار ، ويجب على الناس القادمين للحج

الوصول هنا قبل الحج بشهر حتى يزوروا المدينة المنورة أولا ، ويرجعوا فورا إلى الهند بعد أداء مناسك الحج ، فأيام الحج طيبة والطقس جيد ، والحرارة ليست مرتفعة حتى أواسط شهر مايو ، ومياه البحر ساكنة هادئة ، وبعدها تبدأ الحرارة فى الارتفاع وتثور أمواج البحر ، فمن المستحسن أن يؤدى الحاج مناسك الحج والزيارة ويعود إلى الهند قبل أن يشتد الحر .

الذهاب من مكة

وصلنا خبر مساءً يوم الثامن والعشرين مفاده أن السفينة " دارا " قد وصلت ، وأنها ستقلع فى صباح التاسع والعشرين ، وجاءتنا سيارة ركاب لتحملنا ، وشاحنة لتحمل متاعنا ، وذلك فى الساعة الحادية عشرة ليلا ، وقد استعد معنا البروفسور عبد الحى أيضا ، وتم تحميل الأمتعة حوالى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، وكان يجلس معنا فى ذلك الوقت مولانا عبيد الله ، وخان ، ومولانا عزيز الرحمن ، وكان خواجه غلام محمد قد ذهب إلى المدينة المنورة .

فى الساعة الثانية عشرة والنصف طفنا طواف الوداع ، وحين وصلنا إلى مكة وبدأنا بطواف العمرة ، تمكنت وقتها من تقبيل الحجر الأسود ، بعدها لم أتمكن من ذلك لكثرة الحجاج ، ومرة وقت صلاة المغرب وعند مكان الاستلام ، وفى وقت طواف الوداع صليت ركعتين،

فلم يكن هناك كثر من الطائفين ، واتجهت إلى باب الوداع ، ومن هناك غادرت البيت الحرام . كان معنا أيضا تشراغ دين بهلوان ، يجلس فى الشاحنة التى تحمل الأمتعة ، وركبت مع إسماعيل والبروفسور عبد الحى ، عانقت مولانا عبيد الله ، وانهمرت الدموع رغما عن الجميع ، وعانقت خان ومولانا عزيز الرحمن ، وطلبت من مولانا أن يدعو لى ولأولادى ، فطلب منى أن أبلغهم سلامه وتحياته ، وشكرنا خان على كرم ضيافته وحسن استقباله لنا .

تحركت السيارات فى حوالى الساعة الواحدة والنصف ، وفى حوالى الثالثة وصلنا إلى بحرة ، حيث توقفت السيارات ، وكنت قد نمت فى المساء قليلا ، أما إسماعيل فلم يجد فرصة للراحة طول النهار ، لهذا استلقى على سرير ، وراح يغط فى نوم عميق ، بينما ظل البروفسور عبد الحى يشرب الشاى ويتحدث ، وفى الصباح تحركنا وصلينا فى الرغامة ، ووصلنا فى حوالى الساعة السابعة إلى بيت منشى إحسان الله خان .

مشاغلنا فى جدة

كنت قد وعدت حافظ محمد صديق أن نذهب معا ، ولهذا قمنا بحجز مقاعد له معنا ، لكن للأسف لم يتمكن من الوصول إلى جدة لعدم وجود سيارات ، وقد وصل من جماعته النصف فقط ، ولم يصل هو أيضا ، ساورنا شعور بالقلق عليه !

في بيت منشى إحسان الله شربنا اللسّي(*) وشربنا الشيشة ، وأخذ كل منا حماما ، كل هذا بينما منشى إحسان الله يعلن عن غضبه لأننا لم نأت من قبل يومين ، وكنا قد أخبرناه هاتفيا أننا سنصل جدة يوم الثامن والعشرين ، ولهذا أعد لنا الطعام فى ذلك اليوم ، ودعا أيضا بعض الأصدقاء ، إلا أننا لم نتمكن من الوصول كما وعدناه ، ولهذا كان الرجل غاضبا .

لم نلتق حتى الآن بالعلامة سيد توفيق شريف ، فحين وصلنا جدة كان قد ذهب إلى مكة ، وحين ذهبنا إلى مكة وجدناه قد عاد إلى جدة ، وبعدها لم يذهب إلى مكة ، ولم نأتِ نحن إلى جدة ، ولما دعوناه جاء ملبيا ، ورحب بنا ترحيبا شديدا ، وتحدثنا كثيرا ، وبعدها جاء دور الطعام ، فأكلنا معا ثم ذهب منشى إحسان الله إلى مكتبه ، بينما ظللنا معا نتحدث في موضوعات مختلفة ، كان العلامة سيد توفيق شريف ذاهبا بعد أيام إلى أنجوره (**) ومنها - ربما - يذهب إلى الهند . وهو يرسل سلامه إلى جميع أصدقائه فى الهند ، ولك على وجه الخصوص (***) وللعلامة إقبال ، ولنواب ذو الفقار على خان ، ولتشودهرى محمد حسين .

(*) مشروب اللبن الرائب . (المترجم)

(**) تنطق الجيم مثل نطق المصريين (القاهريين) لها . (المترجم)

(***) أى مولانا عبد المجيد سالك . (المترجم)

. في حوالى الساعة الحادية عشرة ذهبنا بسيارة منشى إحسان الله ، ولابد أن أشير هنا إلى أن هناك أشياء قدمها لنا إحسان الله جديرة بأن تذكر هنا منها : الدخان ، وماسورة " الشيشة " والفحم وغيرها من لوازم ..! وفى تمام الساعة الحادية عشرة والنصـــف ركبنا " اللانش " وانطلقنا ناحية السفينة ، وكانت أمتعتنا قد وصلت قبلاً ، ودعنا العلامة سيد توفيق شريف ومنشى إحسان الله ، وبدأت السفينة تتحرك ، كان شهبندر عبد الشكور قد وصل قبلنا إلى السفينة .. ليت الحافظ محمد صديق يأتى أيضا !! لقد أسفنا كثيرا لعدم وصوله .

انقلاب فى ١٣ يوليو ١٩٣٠م

العودة بالباخرة

الخامس من يونية ١٩٣٠م (الثامن من محرم ١٣٤٩ هجرية)

الباخرة دارا (بين عدن وكراتشى)

ركبنا السفينة يوم الخميس ٢٦ مايو (٢٨ ذى الحجة ١٣٤٨ هجرية) وفى يوم الثلاثين من مايو انتقل إلى رحمة الله فجأة مولانا القاضى سليمان منصور بورى .

بدأت فى يوم الواحد والثلاثين أكتب عن حالات قيامنا فى الحجاز ، فكتبت بعضا منها عن أحوال مكة المكرمة ، ولأن الجو كان شديد الحرارة ، بالإضافة إلى كثرة المشاغل ، لهذا لم أتمكن من كتابة أكثر من خمس صفحات أو ست ، وجلست لأكمل الكتابة عن بقية الأحوال ، فوجدت كل شىء غير مرتب ، وهناك أمور ناقصة لم أكتب عنها ، وبدأت أكتب كل شىء من جديد مرة أخرى ، وانتهيت من ذلك فى الثانى من يونية .

كنت أظن أننى سأكتب عن العودة يوما بيوم ، ولكن منذ الثالث من يونية اشتدت حرارة الجو فى البحر ، وفى فجر يوم الرابع من يونية ،

وحين استيقظت للصلاة كانت السفينة تتحرك شرقا وغربا ، وشمالا وجنوبا ، كأنها تتدحرج هنا وهناك ، فاغتسلت بسرعة ، وبعد قليل جاء الشاى ، ولم تمض ساعة على طلوع الشمس حتى بدأ الصداع يدق رأسى ، وتلاشى من دماغى كل شيء كنت أفكر فيه ، وفقدت الكتابات المؤثرة ، والكلام المثير ، كل هذا اختفى تماما . فذهبت إلى حجرة الطعام لتناول الإفطار ، وحين وقعت عيناى على الطعام شعرت بأن معدتى امتلأت ، كان شهبندر عبد الشكور ، وإسماعيل يريدان أن يحدثانى ، وكنت أنا لا أجيب ولا أفعل سوى تحريك يدى ، وقلت : ليسامحنى الله . وراح إسماعيل يداعبنى ، ورحت أبتلع لعابى ثم ارتميت على مقعدى .

لاحظت أن معظم الناس أُصيبوا بما ابتليت به من دوار البحر ، وبخاصة ركاب الدرجة الثالثة الموجودون فى الجزء الأسفل من السفينة ، وعلى سطحها ، وبدأت أصوات القيء الكريهة تتتابع ! وظلت هذه الأصوات تؤلم أذنى لفترة ، وصارت معدتى صدى لصوت أجراس رحيل القوافل ! وساءت حالتى كثيرا .

جاء الدكتور مرزا إمام الدين ، وفى الحال أعطانى وإسماعيل سفوفا حمراء اللون فى زجاجة قائلا : هذه مفيدة جدا للمعدة ، وبخاصة لدوار البحر . وابتلعت قليلا من هذه السفوف ، فتوقف الشعور بالقيء ، لكن كما قال حكيم فقير محمد إن هذا باصطلاح " الجشتية النظامية " يمسى " كوليرا محبوسة " فداخل المعدة كل علامات القيء ، لكن هذا القيء لا يتم أبدا .

كان إسماعيل يتطلع إلىّ وأنا على هذه الحال من المسكنة ويبتسم .. كان مسرورا !

وفي يوم الرابع من يونية لم أتناول طعام الغداء ، ولم أتناول الشاى وقت العصر ، وفى المساء شعرت بالتحسن ، فطلبت الطماطم والبطاطس وبيضتين وليمون ، واستمرت حالتى على هذا المنوال طول اليوم التالى ، وأخذت أنظر إلى البحر ، فلا أجد أى فرق في المنظر أمامى ، لكن حالتى ساءت ، فقد شعرت بالعجز عن كل شيء .

تحسنت حالتى قليلا ظهر يوم الخامس من يونية ، ربما لأننى تعودت على دحرجة السفينة المتوالية واهتزازها شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، لم يكن هناك أمل فى أن نصل قبل الليلة الثامنة من الشهر العربى ، ورحنا نغبط النائب محمد شريف ، فقد حرمنا مثله من زيارة المدينة المنورة ، لكنه عزم من فوره على العودة ، ووصل إلى الهند قبل هبوب الرياح الموسمية على المحيط والبحر ، وها نحن بعد عشرة أيام وسط هذا التذبذب ، حرمنا من زيارة المدينة ، ولعلنا نُعاقب الآن ، بوقوعنا فريسة هذه الرياح الموسمية الشديدة .

أمور تستحق الاهتمام

نسيت أن أذكر فى خطاباتى السابقة بعض الأمور ، من أهمها الرعاية الكريمة التى أولانا بها البروفسور عبد الحى عرب فى

مكة المكرمة ، فقد زاد من كرمه ورعايته لنا ، ولا يزال كذلك ، وكنت قد تحدث معه عن كتب قيمة تباع عند تاجر كتب في باب السلام ، فقام معى فى وقت الظهيرة واشترى عددا من الكتب وأعجبتنى نسخة من ديوان المتنبى وأيضا قصيدة ابن زيدون التى أشار إليها العلامة إقبال فى مرثيته لصقليى ، وأصر البرفسور عبد الحى على أن يدفع ثمن الكتابين ، وحين وصلنا إلى دار الكسوة قام بإهدائى الكتابين وكتب بقلمه الإهداء عليهما .

وقصّ علينا شهبندر عبد الشكور حكاية طيبة وقعت فى أثناء سفره إلى المدينة المنورة ، فقد حجز شهبندر مقعدا بجوار السائق فى سيارة ، وكان السائق هنديا بينما كان بقية رفاقه من المصريين ، وكان من بينهم زوج وزوجته ، جلس الزوج خلف السائق بينما جلست الزوجة فى عقب شهبندر ، وانطلقت السيارة ، وكان الطريق غير ممهد وفيه كثير من الحفر ، فكانت السيارة تهتز بالركاب ، وحينها كانت الزوجة المصرية تربت على كتف السائق قائلة : " شوية .. شوية .. " كانت الزوجة قلقة على زوجها ، وظلت تربت على كتف السائق ، ولما كان شهبندر يجلس بجوار السائق فقد ظنته تابعه ، وراحت تتكلم ببساطة وبراءة ، وتفعل الشيء نفسه مع شهبندر عبد الشكور ، فتربت على كتفه قائلة : " شوية .. شوية .. " أى ببطء .. ببطء .. وهكذا تحول شهبندر عبد الشكور ، وهو من أكبر تجار بمباى إلى (تبّاع) أى " تابع سائق " ، وهو الرجل الذى تربطه علاقات حميمة بنواب (أى حاكم) رامبور ،

وبالطبقات المحترمة فى كل مدينة من مدن الهند ، وظل ينال من الضرب طوال الطريق ما جعله يخجل عن قول أى كلمة ، بعد أن فهمت هذه الزوجة أنه تبَّاع أى تابع أو مساعد للسائق ، ولم تعرف أنه حجز السيارة ودفع ستة عشر جنيها ليركب السيارة ويجلس فى هذا المقعد .

ويقول شهبندر عبد الشكور : " أنا حاجّ ، ولا أقل مكانة عن هذا الزوج المصرى وزوجته" ... لكن التعب والإرهاق أصابا الزوجة فى الطريق ، فراحت تمدد رجليها على كتف شهبندر عبد الشكور !! ولم ينطق الرجل بكلمة ، فقد رأى أنه من الأفضل أن يكون كتفه موضع قدم لهذه السيدة بدلا من أن يُضرب من حين لآخر !!

وفاة والية بهوبال

فى هذه السنة قدم إلى الحج العالم المصرى الشهير نجيب بخيت ، لكن لم نتمكن من الحديث معه ، كما جاء للقائنا ذات يوم العالم المصرى الفاضل الشيخ عبد الوهاب النجار وولده ، فتحدثنا معا لفترة طويلة عن الأمور السياسية فى الهند ومصر ، وبعد أن حدثته عن أحوال الهند قال : فى مثل هذه الظروف لا يوجد مخرج سوى الثورة . والتقيت بأحد المسلمين الصينيين المتحمسين ، درس

فى القسطنطينية ، وكان عائدا إلى بلاده ، وفى أثناء العودة من الحج فجعنا بخبر وفاة والية بهوبال ، وقد تأثر الحجاج كثيرا عند سماع خبر وفاتها ، وذكر الشيخ عبد الرحمن مظهر لإسماعيل أنه حصل على إذن بإقامة صلاة الغائب على روح المرحومة والية بهوبال ، وأقيمت الصلاة فعلا ، رحمها الله وهدى نساء الهند إلى اتباع نهجها .. يا للأسف ! أنَّى للهند بسيدة مسلمة مثلها ؟! وبخاصة بين أسر " الرؤساء والنواب والأمراء "(*) .

معسكر الحجاج فى جدة

لم أتمكن من كتابة شىء عن منشى إحسان الله ، ويمكن أن أقول هنا إن جهوده ونشاطاته من أجل خدمة حجاج الهند وراحتهم لا يمكن لأحد أن يقدرها إلا من عرف أحوال هؤلاء الحجاج قبلا فى السنوات السابقة ؛ فالرجل يمتاز بالإخلاص والمحبة ، وهو متمكن من الإدارة والتظيم ، حتى إن ما يقوم به منذ خمس سنوات صار مثالا يحتذيه جميع القناصل هنا فى جدة ، وكل اهتمام منشى إحسان الله ينصب على إقامة معسكر لحجاج الهند هنا فى جدة ، والتكلفة المتوقعة لهذا المعسكر نحو مليون روبية ،

(*) أى طبقة حكام الإمارات الإسلامية فى الهند . (المترجم)

ويقوم منشى إحسان الله في موسم حج كل عام بتوزيع نشرة عن فكرة هذا المعسكر .

ولابد من القول بأنه لو بنى هذا المعسكر فسوف ينجو حجاج الهند من مصائب كثيرة فى أثناء أدائهم مناسك الحج ، ولن يعانى أحد أبدا فى أثناء ذهابه أو عودته أو إقامته فى جدة ، ندعو الله أن يبارك فى همة منشى إحسان الله وفى عزيمته ، وأن يحقق طموحاته وآماله .. آمين .

حالة الباخرة دارا

دارا سفينة قديمة ، وخسرو وجهانكير بالنسبة لها سفينتان جديدتان ، ولهذا فلن أجد وسائل الراحة متوفرة فى هذه السفينة ، كما كان الحال فى سفرى الأول حين ركبت الباخرة جهانكير ، وفى سفرى الثانى حين ركبت السفينة خسرو .

الدرجة الأولى فيها ست " كبائن " ولركاب الدرجة الأولى والدرجة الثانية مرحاض واحد وحمام واحد ، والمصيبة أن الرجال والنساء مجبرون على الاشتراك فى استخدام هذا المرحاض وهذا الحمام ، وبعض الحجاج يتسللون بهدوء وينزلون للجلوس فى الطابق السفلى ، لكن معظم ركاب الدرجة الثالثة يتجمعون حول " كبائن " الدرجة الأولى ، ويقومون بافتراش سطح الباخرة ، فلا يمكنك الخروج من " الكابينة " ولا يمكنك أن تتمتع بالهواء العليل ، وكل ما يمكن أن تفعله هو أن تغلق على

نفسك " الكابينة " وتجلس بداخلها ، وهناك بعض الحجاج من ذوى الخبرة ، يشترون تذكرة درجة ثالثة ، ويسرعون إلى السفينة ، فيختارون مكانا مناسبا لهم ، ويجلسون فيه فيضعون الكراسى والفراش ، وينشرون أجسادهم ، فيتمتعون بسفر أهدأ وأحسن من ركاب الدرجة الأولى ، فإذا ما رغبوا فى الاستحمام ، أعطوا الموظف ثلاث أو أربع آنات ، ويظلون بداخل الحمام ساعة أو أكثر ، يغسلون أنفسهم ، ويغسلون ملابسهم أيضا ، وبنفس الطريقة يستخدمون مرحاض الدرجة الأولى ، وهؤلاء الحجاج ليسوا من الفقراء ، بل فيهم من يستطيع شراء تذكرة الدرجة الأولى ، لكنهم يستخدمون دهاءهم وبخلهم وكذا معرفتهم ببواطن الأمور وألاعيب السفر ، فيبخلون بدفع تكاليف تذكرة الدرجة الأولى . وقد سمعت أنه هناك ضمن هذه المجموعة أحد " المليونيرات " يسافر على ظهر هذه السفينة ، لكن للأسف من العيب أن يقوم شخص بشراء تذكرة الدرجة الثالثة ، ثم يدفع قليلا من النقود ليصبح آفة على ركاب الدرجة الأولى .

مصائب الجهل

وهناك مصيبة أخرى وهى أن معظم الناس لا يعرفون كيفية استخدام المرحاض الإفرنجى ، ومن هؤلاء بعض ركاب الدرجة الأولى أيضا ، فمعظمهم لا يدرى كيف يقضى حاجته مستخدما هذا المرحاض ،

كما أن قليلا من الناس يعرف كيف يمكن تنظيفه بعد قضاء الحاجة ، بينما توجد يد التنظيف مجاورة للمقعد ، فإذا ما رفعتها قليلا انساب الماء ، وأزيلت القاذورات ، ولكنى كثيرا ما رأيت أناسا من الطبقات الثرية ، يدخلون المرحاض ثم يخرجون منه ويدخل شخص آخر فتقابله الروائح الكريهة ، ويستقبله المنظر المؤذى .

صديق إسماعيل

وفيما يتعلق بهذا الأمر حدثنا إسماعيل عن صديق له تعرض لحادثة ، فحين كان مسافرا بالقطار أول مرة على الدرجة الثانية ، استيقظ صباحا ، فاتجه إلى دورة المياه لقضاء الحاجة ، فنظر فرأى وسط الغرفة شيئا عجيبا مرتفعا بعض الشيء ، فاعتقد أن هذا وضع لكى يصعد عليه ، ثم راح يتطلع حواليه ، فوجد بجوار الحائط شيئا مدورا على الجانب الأيمن ، وكان هذا لغسل الوجه ، لكن صديق إسماعيل ظن أن هذا هو مكان قضاء الحاجة ، إذ إن مكان نزول الماء المستخدم كان متسعا وفتحته واضحة ، فظن صديق إسماعيل أن هذا هو المكان المطلوب ، وهكذا وضع ذراعيه على مكان المرحاض وصعد ليجلس على مكان غسل الوجه ، وهكذا قضى حاجته ، ثم راح ينظر متحيرا لأن ما وضعه لا يزال فى مكان ، لم ينزل إلى أسفل ، فأخذ يحاول مستخدما سكينا معه ، لينزل القاذورات من هذه الفتحة الصغيرة التى جُعلت لإنزال الماء المستخدم لغسيل الوجه ..!

وقال إسماعيل إن صديقا حكى له هذه القصة على سبيل الشكوى ، لأن ثمـن تذكرة الدرجة الثانية كان مرتفعا بينما دورة المياه كانت سيئة للغاية ، ومن الصعب استخدامها بسهولة .

متاعبنا

كان الكثير من أمثال هؤلاء الناس " العارفون ببواطن الأمور " يسافرون معنا على السفينة نفسها ، ركبنا فى التاسع والعشرين ، وفى صباح يوم الثلاثين ذهبنا لقضاء الحاجة ، وإذا بطابور طويل من المنتظرين يبدأ من دورة المياه ، ويمتد إلى مسافة بعيدة ، وكان بعض المضطرين يحملون فى أيديهم " قصرية " (أى وعاء) قضاء الحاجة ، بينما كان البعض يضعونها فوق سطح السفينة .. ولم يكن المنتظرون فى جملتهم من ركاب الدرجة الأولى ، ولا من ركاب الدرجة الثانية ، بل كانوا من ركاب الدرجة الثالثة الذين استولوا بمهارتهم وشطارتهم على دورة المياه ، فأخبرنى ! مع من يتعارك الإنسان ؟! وهل هذا مكان يطلب فيه إنسان من آخر أن يريه تذكرة الدخول ؟! ولو حدث وتعارك شخص مع آخر ، فسوف تقوم الدنيا ولا تقعد ، وسيقولون : انظروا .. فلان تعارك مع فلان عند .. ، ولو حدث - لا قدر الله - أن أصيب أحد فى هذا " العراك الكبير" فسوف يزداد الخجل أكثر وأكثر ، ولم يكن هناك من مفر سوى الانتظار سواء رضينا أو لم نرض !

ولما جاء " دورى " للدخول إلى بيت الراحه ، جعلت الرائحة الكريهة والنجاسة أنفى يصاب بمرض أشد من مرض الموت ، ونظرت حولى فلم أجد مكانا لوضع القدم ، ولا حتى لوضع اليد .. فمكان الجلوس ، وكل ما حوله ملوث متسخ .. وبعد هذه الواقعة الكبرى ذهبنا إلى القبطان ، وعرضنا عليه مشكلتنا ، فقام بوضع قفل على دورة المياه ، على أن يسلم المفتاح لمن يرغب من ركاب الدرجة الأولى فقط ، وقد فرحنا بحل هذه المشكلة ليوم واحد ، فقد عرفنا فى اليوم الثانى والثالث أن هناك نسخًا كثيرة من هذا المفتاح ، وأن كثيرا من الناس يأخذون المفتاح معهم بعد قضاء حاجتهم ولا يعيدونه ، ولم يكن أمامنا سوى الصبر والشكر .

عراك بين المسافرين

كثيرا ما يحدث عراك وصدام وخصام بين المسافرين على السفينة الواحدة ، ولأسباب بسيطة منها الماء والبص هنا وهناك ، ومرة كنت جالسا فى مقعدى ، فسمعت أصوات نقاش حاد ، فقلت للبروفسور عبد الحى " الحرب يا أستاذ الحرب ! " فقال البروفسور ببساطة شديدة : " إن المساكين يحاربون بعضهم من بعض " فقلت : " مساكين " فقال الأستاذ : " المساكين .. واحد رجل يريد المقام ، ويقول هذا لى والثانى يحارب ويقول هذا لى ، هكذا تكون المحاربة "(*) .

(*) هكذا وردت العبارة فى الأصل . (المترجم)

ثم قال : " بالأمس ذهبت إلى دورة المياه ، وحين خرجت أردت أن أغلق الباب بالمفتاح ، فنادى علىَّ أحد ركاب الدرجة الثالثة وقال : " لا تغلق الباب" . فقلت لهذا الرجل " درجة أولى " . فقال " درجة أولى ؟ أين أذهب ؟ أجلس أمام الناس ؟ " وأراد أن يحاربنى فقلت له : " يا أخى لا تحاربنى اذهب لا بأس اذهب ... "

فسمعت هذه القصة ولم أتمالك نفسى من الضحك فقال بجدية وبكل ثبات : " .. نعم ! أين يروح المسكين ؟!" (*) .

الطعام الإنجليزى

كما تعلم لم نطلب الطعام الإنجليزى فى رحلة الذهاب ، وأردنا أن نبقى على شرقيتنا ، لكن تجربتنا مع الطعام الشعبى تجعل ذكره يصيبنا بالقشعريرة ، وكنت قد طلبت من منشى إحسان الله على سبيل الاحتياط أن يجهز لنا بعض الطماطم والملح ، فأكرمنا الرجل كثيرا فزاد من عنده البطاطس والأناناس ، وغيرها من الفواكه الأخرى ، فوضع لنا صناديق وصل عددها إلى حوالى عشرين صندوقا مع كمية كبيرة من الملح ، وكنت أود أن أقطع بعض الطماطم وآكل كلما رغبت فى ذلك ، ولكن بعد أن ركبنا السفينة عقدنا " مجلس حرب " واتفق جميع الأعضاء

(*) هكذا وردت العبارة فى الأصل . (المترجم)

على أن نتناول الطعام الإنجليزى الذى يقدم فى السفينة ، وهكذا طلبنا أن يعد لنا الطعام الإنجليزى ، بعد صلاة الفجر يقدمون شرائح الخبز مع الشاى ، وفى الساعة التاسعة يقدمون طعام الإفطار ، ويتضمن على الأقل خمسة أصناف ، وفى الساعة الثانية يقدمون طعام الغداء ويتضمن أنواعا مختلفة من الأطعمة ، وفى الرابعة مساء يقدمون الشاى مع شرائح الخبز ، وفى الساعة السابعة نتناول الطعام برغبة ولذة ، وينهضم الطعام فى الحال .

بعد أن تحركنا من جدة لم يكن لدى أرباب السفينة ثلج ولا صودا الليمون ، كان عندهم " ماء النيل " بكميات كبيرة ، وذات يوم شربت فى صعوبة ماءً يكاد يكون حارا ، ولكنى تعودت الأمر فيما بعد ، ومنذ وصلنا عدن توفر الثلج وكذلك صودا الليمون ، فحمدا لله ، وقد قمت بتوزيع معظم صناديق الفاكهة والخضروات على حجاج السفينة .

منظر الطريق

ماذا أقول عن منظر الطريق ؟! كانت سفينتنا تمضى فى البحر الأحمر بمحاذاة الساحل ، وكذلك حين كانت تمضى فى بحر العرب ، فكنا – ونحن فى البحر الأحمر – نشاهد بعض الجبال والمرتفعات الصغيرة أو نشاهد أحيانا الساحل ، وفى باب المندب فى وقت المساء

كنا نشاهد العمران من بعيد مسافة أربعين ميلا تقطعها السفينة ، وأمام العمران منارة مضيئة ، وقال الكابتن إن هذه مدينة المخا وأنها مثل جدة . قضينا بين باب المندب وبيرم فى العودة مقدار الوقت الذى أمضيناه فى الذهاب ، والآن نشاهد أنوار بيرم ولا شيء غير ذلك .

عدن

كان على سفينتنا أن تعرج على عدن للتزود بالمياه والفحم ، فوصلنا عدن فى الساعة الثامنة والنصف صباحا ، وغادرناها بعد ساعة ونصف ، وقد حاولنا بقدر استطاعتنا أن نحصل على إذن بالنزول على الساحل ، لكن الحجاج كانوا على طول الطريق يعتبرون جراثيم طاعون ، لا يسمح لهم بالنزول فى أى مكان ، ولو كنا فى سفينة أخرى غير سفينة الحجاج لسمحوا لنا بالنزول ، دون إذن مسبق ، ولتجولنا فى المدن ، ولكن فى سفينة الحجاج يختلف الأمر، فلا يسمح لركابها بالوصول حتى إلى الميناء ، كان ظنى أنه لو سمح لنا بالنزول إلى عدن لاشتريت لك وللأولاد " طربوشا " فهو هنا من أحسن ومن أجود الأنواع ورخيص أيضا ، ولكن بعد وصولى هنا خاب ظنى .. لم أكن فى شوق لرؤية عدن ، لأننى قد شاهدتها كثيرا وشبعت منها فى سفر عام ١٩٢٥م ، فأصحاب الدكاكين كما هى العادة سيحملون بضائعهم فى المراكب ليبيعونها ، وهذه البضائع فى العادة تتكون من السجائر والسيجار

والليمون والبطيخ والخبز وبعض أنواع الفاكهة ، وعلب الأناناس ، وسجاجيد الصلاة المخملية وغيرها ، وتكون أسعارها غالية جدا ، فلم أفكر فى شراء شىء ولم أغادر مكانى ، وحين بدأت السفينة تتحرك ، فكرت فى شراء السجائر المصرية الجيدة ، فاشتريت بعض العلب ، لكنها لم تكن من النوع الجيد ، أخبرنى البائع أن العلبة بثلاث روبيات فحاولت أن آخذ علبتين بروبيتين ، لأن ثمن العلبتين أصلا روبية ونصف لا غير ، وقد عرفت هذا عن طريق المفاصلة فى البيع والشراء .

شيشة شامية

كان معى تلك " الشيشة " التى أعطانى إياها منشى إحسان الله، وكنت قد شاهدت شيشة مصنوعة فى الشام على قدر كبير من الجودة ، ورغبت أن أشترى واحدة مثلها ، فأشار علىَّ إسماعيل أن أشتريها من جدة بسعر أقل ، وحين وصلنا جدة ، طلبت من منشى إحسان الله خرطوم الشيشة فقال العلامة سيد توفيق شريف : سوف أحضره لك بنفسى ، وحين أرسل منشى إحسان أحد الناس لشراء هذا الخرطوم كنا نحن قد توجهنا إلى الميناء ، وبعد أن وصلنا رأينا أن الخرطوم الذى أحضره الرجل كان من النوع العادى ، وبعد الاستفسار والسؤال عرفنا أنه لا يوجد فى جدة غير هذا النوع ، وحزنت لأننى اعتمدت على إسماعيل فى أمر يتعلق " بالشيشة " ، فقام العلامة سيد توفيق شريف

بإرســال شــخص إلى أحـد أصـدقـائه ، يبيـع أحـسن أواعى خـراطيم الشــيشـة ، لكن الرجــل لم يتوصل إلى بيت الصديق ، وهكذا لم يوفق فى الحصول على خرطوم ، فأبقى منشى إحسان الله الخرطوم معه فى جدة ، وأعطـانا علبة من الدخان الممتاز بالإضافة إلى صندوق فحم ، ولم أنتبه إلى مسألة الشيشة حتى يوم التاسع والعشرين من الشهر ، وفى اليوم التالى بطوله انشغلنا بتكفين القاضى سليمان رحمة الله عليه .

وفى يوم الواحد والثلاثين جلست لأكتب ، فجهزت قبل كل شيء أبوات " الشـيـشـة " ووضع بنفشى مـاءً جـديداً ، ثم وضـعت الفـحم فى المجمرة ، ووضـعـت الدخـان ، وأخــذت أطلـب العـون من البـروفـسـور عبد الحى عرب الذى لا يدخن السجائر ولا الشيشة ، لكنه كان متعاطفا معى إلى أقصى درجة ، فـبدأ يسـاعدنى فى إشـعال الفـحم الذى كان صعبا علينا نظرا لشدة الهواء على السفينة ، وأخذنا نحاول ، هو من ناحية وأنا من ناحية حتى تم إشـعال الفـحم ، وبعد فترة تمكن أستاذ جامعة كامبردج ومدير جريدة انقلاب ، بجهودهمـا المشتركة من إشعال الفحم ، وإعداد الشيشة التى أخذت أدخنها بمتعة كبيرة ، لم أشعر بها من قبل وربما من بعد .. لكننى لم أفكر فى معاودة تجربة إشعال الفحم مرة أخرى ، بل كنت أطلب من أحد خدم الكبائن أن يحضر لى الفحم مشتعلا ، وإذا مـا دعت الضرورة ، وضـعنا الفـحم فى المجمرة ، وطلبنا من الخـادم أن يشـعل لنا الفـحم فى المطبخ ، ولم نكن نسـتـخـدم فـحم المطبخ لأنهم يستخدمون الفحم الحجرى وهذا لا يتناسب مع " الشيشة " .

بعد أن غادرنا عدن ، كنا نشاهد يوميا الجبال والجزر ، لكن بعد ذلك لم نعد نشاهد جبلا أو ساحلا أو أية يابسة ، كنا - بلا شك - نشاهد بعض الطيور السوداء تحلق هنا وهناك ، وهذا يعنى أن الساحل لا يبعد كثيرا ، وكانت هذه الطيور تحلق جنبا إلى جنب مع السفينة ، وحين يصيبها التعب تستلقى على سطح السفينة ، وسمعنا أنها تنام أيضا على سطح السفينة ، وحين يصيبها التعب ، تستلقى على سطح الماء ، وسمعنا أنها تنام أيضا على سطح الماء ، وحين تطير تحلق كما تشاء فى أى اتجاه ولكن حين تنام ، فاتجاهها يتوقف على اتجاه الموج ، وكذلك تكون سرعتها أيضا .

كانت سفينتنا بطيئة جدا فالمسافة التى كانت الباخرة خسرو تقطعها فى خمسة أيام ونصف تقطعها هذه الباخرة فى سبعة أيام ، كنت أجلس فى مقعدى وألقى بنظرى بعيدا عبر النافذة ، فأتخيل نفسى أمضى على اليابسة ، وفى بعض الأحيان ، وفى الليالى المقمرة ، يخيل إلى أننى أمر فى صحراء وسط الرمال ، ولا خوف ولا هيبة ، ولكن الحقيقة أن الأمر مخيف ومرعب ، فالإنسان على كل حال بلا حول ولا قوة ، ولكنه هنا على سطح البحر ، يظل فى قمة عجزه وضعفه .

فى اليوم الخامس تحسن حال البحر ، ولكنه عاد فاضطرب فى اليوم التالى ، وبدأت الأمواج ترتفع من كل ناحية ، ثم تمضى لمسافة وتضرب بعضها البعض ، وينتج عن هذا التصادم ارتفاع الموج لعشرة أمتار أو عشرين مترا ، ويصدر عن هذا كله صوت مرعب ، ومن بعيد

يبدو الزبد الأبيض اللون ، والسفينة على الرغم من أنها تهتز بشدة ، أكثر مما كانت عليه يوم الثالث والرابع ، فإنه بفضل من الله وكرمه - لم يترك هذا أى أثر سيئ على صحتى ، ولعل السبب هو أن دوار البحر يصيب الإنسان مرة واحدة ثم لا يعود ثانية ، فقد تعودت هذه الاهتزازات ، ولكن الحقيقة أنه يجب أن ينتبه الجميع ويهتم بالوقاية ، وعلى كل حال فبعض من أصيبوا بدوار البحر يومى الثالث والرابع ، أصيب عدد كبير منهم اليوم بالصداع والغثيان ، ومن هنا عاودهم دوار البحر مرة أخرى .

ثورة الحجاج البخاريين

فى يوم الخامس من الشهر وقعت على ظهر السفينة حادثة لطيفة ، فقد اشترى أحد حجاج الهند من عدن نعجتين بمبلغ ست عشرة روبية للرأس ، ونعاج عدن مشهورة ، كان يريد أن يأخذهما هدية إلى الهند ، وقام صاحبهما بترتيب أمر وضعهما فى الطابق العلوى من السفينة ، وجهز لهما العلف ، فقامت جماعة من الحجاج البخاريين - والله أعلم ماذا دهاهم - بذبح إحدى النعجتين ، وأكلوها ..!

كان ذلك فى يوم الرابع من الشهر ، وفى اليوم الخامس ذبحوا النعجة الأخرى ، وجاء صاحبهما ، وحدث هياج شديد ، وحدثت ثورة ، قال البخاريون إن أحد مواطنيهم هو الذى جاء بالنعجتين من أجلهما ،

وقد ذبحوا النعجتين وانتهى الأمر . لكن الرجل الهندى قال : إن هاتين النعجتين ملكى . وبعد نقاش وجدال وأخذ ورد ، صدر قرار ضد البخاريين ، فقد عُلم بعد ذلك أن نعجتيهم لا تزالان على قيد الحياة ، وفى النهاية قبل البخاريون دفع ثمن النعجتين لصاحبهما .

فى وقت المساء ذهبنا إلى الطابق العلوى تحت البرج لنتمشى ، فعرفنا أن أحد الحجاج انتقل إلى الرفيق الأعلى وقت الظهر ، فقام المسئولون بالسفينة بتكفينه وإلقائه فى البحر ، وأسفنا جميعا لأننا لم نُقم عليه صلاة الجنازة ، ورغم أن عدد ركاب السفينة كان محدودا فإن أن خبر وفاة أحد الركاب كان من الواجب أن يذاع فيعرف الجميع بذلك ، والعجيب فى الأمر أن يظل الحاج بعيدا عن الآخر فلا يعرف هذا ما حدث لذاك !

وفى اليوم الخامس أخذ البروفسور عبد الحى عرب يسمعنا أهم أحداث السيرة النبوية ووقائعها ، والبروفسور عبد الحى سألنى عنك ذات يوم ، فتحدثنا عنك كثيرا وكنت موضوع حديثنا لثلاث ساعات تقريبا ، وهو يبلغك السلام والتحية وكذلك مولانا عبيد الله وخان محمد خان .

الأصدقاء فى كراتشى

تعبنا كثيرا فى سفر العودة ، وأضاف إلى تعبنا هذا السير البطىء للسفينة ، بل كان هذا فى الأصل سبب التعب ، كان الحجاج قلقين

داخل السفينة بينما كان أصحاب السفينة يفكرون في توفير الفحم (الوقود) وتمضي السفينة ببطء شديد ، وقد كان من الواجب أن تصل السفينة إلى كراتشي يوم الجمعة كما هو معتاد ، لكنها وصلت صباح يوم الأحد ، وفي ليلة الأحد وحوالي الساعة الثالثة صباحا فتحت عيناى فشاهدت منارتي كراتشي !! بل شاهدت أنوار الميناء أيضا !!

كنت قد أرسلت برقية إلى شهبندر عبد الله هارون ، وحين وصلت سفينتنا إلى المرسى حوالي السادسة كان شهبندر عبد الله هارون في انتظارنا ، وبعد قليل صعد السفينة وفي الساعة الثامنة نزلنا ، فرحب بنا حاجي شهبندر عبد الشكور وحاجي عبد الغني رئيس لجنة الحج ، ومحافظ الحجاج عبد القادر ، وساعدونا في إنزال متاعنا ، وهناك التقيت أيضا بالحافظ شريف حسين ، فدار الحديث عن أحوال الهند السياسية . وكان شهبندر عبد الشكور سيستقل هذه الباخرة حتى بمباى ، لكنه نزل معنا لساعتين ، فودعناه وعانقناه . وفي حوالي الساعة التاسعة ذهب إسماعيل إلى دكان حاجي عبد الغني ، بينما شرب البروفسور عبد الحي عرب الشاى عند شهبندر عبد الله هارون ، ثم قمنا بحجز تذاكر القطار . وكان قطار البروفسور عبد الحي سيتحرك في صباح اليوم التالي ، ولهذا نزل في فندق قريب من محطة القطار . والتقيت أنا بمولانا آزاد سبحاني (الذى قدم إلى كراتشي في تلك الأيام) وبمولانا عبد المجيد ، وبحاجي شهبندر مير محمد بلوتشي ، ومولانا صديق عثمان أغا ، ومجتبى ، وبقية الأحباب والأصدقاء .

لم أستطع أن ألتقى بحكيم فتح محمد لا فى الذهاب ، ولا فى الإياب ، وقد ذهبت إلى عيادته مرتين ، ولكنى عرفت فى كل مرة أنه مسافر إلى حيدر آباد . تناولت طعام الغداء مع شهبندر عبد الشكور ، وودعته فى السادسة مساء ، وذهبت إلى " دكان " حاجى عبد الغنى ، وفى المساء أصر حاجى عبد الغنى على دعوتنا للعشاء ، وفى الساعة التاسعة ليلا ركبت القطار ، بعد أن أوصلنى حاجى عبد الغنى حتى المحطة ..

وهكذا لم يقصر الأصدقاء في خدمتنا ، لا فى الذهاب ولا فى الإياب ، ولا أملك إلا أن أتوجه إلى الله بالدعاء لهم جميعا ، وأن يوفق جميع المسلمين إلى أداء مناسك الحج والزيارة .. آمين .

إنقلاب فى ٢٠ يوليو ١٩٣٠م

وفاة مؤلف كتاب « رحمة للعالمين »

"كانت أفجع حادثة فى سفر العودة هى وفاة مولانا القاضى محمد سليمان منصور بورى مؤلف كتاب السيرة النبوية " رحمة للعالمين " ومؤلف العديد من الكتب الإسلامية الأخرى (*) .

حين وصلنا إلى مكة كانت حالته على غير ما يرام ، وقد ذهبت لزيارته فوجدته قد ضعف وزادت عليه العلة ، لدرجة أننى لم أتمكن من التعرف عليه حين دخلت حجرته ، ولم أعرفه إلا حين دنوت منه . رحب بى كعادته ، وأخذ يسألنى عن أحوالى ، وحين سألته عن حاله قال : الآن بخير .

كان معى خواجه غلام محمد ، وعرفت منه أن القاضى جاء إلى دار الكسوة وشرب عصير الليمون وبعدها شعر بحرقان فى فم المعدة ، وحين سأل عنه فى اليوم التالى وفى اليوم الثالث عرف أنه بخير وبصحة طيبة ، مع أنه يعانى من الضعف الجسدى .

(*) انظر مقدمة ترجمة الكتاب إلى العربية " رحمة للعالمين " للقاضى محمد سليمان منصور بورى ، ترجمة سمير عبد الحميد إبراهيم ، دار السلام الرياض ١٩٩٩م . وقد نشرت الترجمة فى مجلد واحد ضم أكثر من ألف صفحة . (المترجم)

بقينا نتحدث لفترة ، تحدث القاضى عن مسألة الزواج ، وأرانا مسودة الجزء الثالث من كتابه " رحمة للعالمين " وقال لى : لا بد من أن تطبعه بكل اهتمام فى مطبعتك " . فقلت له : أين نحن من الطباعة الآن !؟ ، إنه لشرف كبير لى وللمطبعة أن يطبع الجزء الثالث من كتابكم رحمة للعالمين فى مطبعتنا .

مسألة الزواج

وقص علينا الشيخ بعض الحوادث الغريبة والعجيبة المتعلقة بالزواج ، فقال : قام أحد أصدقاء عمر رضى الله عنه بالزواج من امرأة غير عربية ، بيضاء ناصعة البياض ، وعلى الفور أمر عمر رضى الله عنه صديقه بتطليقها ، وحين استفسر صديقه عن السبب ، قال عمر رضى الله عنه : لو أنكم بدأتم تتزوجون من البيضاوات فمن إذن سيتزوج من النساء العربيات ؟ وقام الصديق بتطليق زوجته على الفور .

فى ذلك الوقت طلب القاضى سليمان رحمه الله علبة أناناس ، وأطعمنا إياها وسألنا إلى متى ننوى البقاء هنا ؟ فأجبته بأننى أنوى زيارة بيت المقدس ومصر بعد الحج ، وبعدها أعود إلى الهند ، إلا أن أحوال الهند السياسية الآن لا تسمح لى بالسفر ، لهذا أنوى تأجيل السفر إلى بيت المقدس ومصر . فقال : هذا أفضل ، وإن أجلت هذا

السفر إلى الشتاء فيمكن أن نسافر معا فأنا أيضا أريد السفر إلى مصر وبيت المقدس . فقلت : سيكون هذا مبعث سعادة لى أن أشرف بمرافقتكم فى هذا السفر ... وهكذا بقينا نتحدث لفترة طويلة .. وذكر أن البروفسور عبد الحى صديقه ، وأنه يهديه كتابا ، وأعطانى مولانا القاضى سليمان كتابه الجديد شرح الأسماء الحسنى ، بعد أن كتب عليه إهداء للبروفسور عبد الحى ، ثم قال لى : سوف يصلك هذا الكتاب حين تصل إلى الهند لأننى لم أحضر معى إلا نسخا قليلة . وفيما يتعلق بالجزء الثالث من كتابه رحمة للعالمين قال : " لقد عرضناه على أهل العلم هنا وأعجبوا به كثيرا "

بعد هذا اللقاء ذهبنا جميعا للحج ، لم نلتقِ فى عرفات ، وفى الحادية عشرة من ذى الحجة ، وفى وقت العشاء التقيت أنا وإسماعيل بالحافظ محمد صديق ، وفى الطريق إلى خيمتنا التقينا بالقاضى سليمان رحمه الله ، وتحدثنا معا بعض الوقت .

لقاء فى الحرم

وبعد العودة من منى التقينا به ذات يوم فى الحرم ، كانت حالته على ما يرام وصحته طيبة ، لم يكن يبدو على وجهه أى ضعف ، فخاطبه إسماعيل قائلاً : "إن مهر(*) يتعب كثيرا من شدة الحر ، ويضطرب قلبه" .

(*) أى مولانا غلام رسول مهر ، كاتب هذه السطور . (المترجم)

فقال القاضى : " انظر ! نحن نتحمل الحر الشديد من أجل الوظيفة ولجمع أموال قليلة أحيانا ، ونظل نتحمل الحر ولا نعيره أى اهتمام أو نشكو منه ، ولكن حين نأتى إلى بيت الله للعبادة ، نتعب فورا ، ونبدأ فى الشكوى من شدة الحر " .

وكان ما قاله درس لى لن أنساه !

ثم قال : " بعد أن وصلت إلى مكة فقدت تماما الرغبة فى قول الشعر (أكثر الناس لا يعرفون أن القاضى سليمان رحمه الله كان شاعرا) حين جئت للحج فى المرة الأولى ، وفى إحدى المناسبات نظمت شطر بيت من الشعر وحاولت أن آتى بالشطر الثانى ، لكنى لم أقدر ! فالحمد لله الذى جعلنى أتأثر بهذا الجو الإيمانى "

وسألناه متى العودة فقال : " بأسرع ما يمكن ! " وظننت أنه عائد لأنه كان قد زار المدينة المنورة قبل الحج ، وبعد أيام ذكر لنا بعض الإخوة أنه لا يزال فى جدة ، فسألته كيف عرف ؟ فقال : سمعت من بعض الأصدقاء " . وحين وصلنا إلى السفينة فى التاسع والعشرين لم ننتبه إلى وجود القاضى سليمان رحمه الله معنا على السفينة نفسها ، لأننا كنا قد وصلنا مع آخر المسافرين ، وركب الجميع قبلنا وانطلقت السفينة حالة وصولنا إليها .

مرض القاضى سليمان رحمه الله

فى صباح يوم الثلاثين من مايو (أول محرم ١٣٤٩ هجرية) كنت جالسا على مقعدى أطالع كتاب أمين الريحانى ، وإذا بأحد أصدقاء القاضى سليمان رحمه الله - ويدعى عبد اللطيف - يأتى ويخبرنا بأن حالة القاضى ليست على ما يرام ، وأخبرته أننى سأغير ملابسى وألحق به ، وأخذت أفكر كيف جاء القاضى على هذه السفينة ، وسألت عبد اللطيف عن مكان القاضى فقال إنه تحت مع ركاب الدرجة الثانية . فلبست ملابسى فورا ، وأخبرت إسماعيل ، فقال لى بأنه سيلحق بى ، وحين وصلت وجدت القاضى سليمان يرقد فاقدا الوعى ، عيناه مغمضتان ، فذهبت فورا إلى الطبيب الذى جاء معى ، فتحسس الطبيب النبض وقال لنا : " لا تقلقوا .. النبض طبيعى ، وقد أكد لى هذا قبلا أحد الأصدقاء الأطباء ".

ذكر لى بعض رفاق القاضى أن حالته كانت قد تدهورت حين رجع إلى جدة ، لدرجة أنهم حملوه بالأمس من القارب إلى السفينة ، وفى المساء ساءت حالته أكثر فأكثر ، وجاء الطبيب وأعطاه بعض الدواء ، فشرب القاضى سليمان الدواء ، وأخذ يعظ الحاضرين مؤكدا على أداء الفروض بصفة خاصة ، وفى وقت المغرب انعقد لسانه عن الكلام ، وأغمضت عيناه ، وفقد وعيه تماما .

ذهبت إلى إسماعيل وأطلعته على الأمر وكذلك أخبرت البروفسور عبد الحى عرب ، فجاء الاثنان معى للاطمئنان على القاضى ، واقترح إسماعيل أن نخلى كابينة من عندنا حتى يستريح فيها القاضى ،

وحملناه إلى أعلى ، لكن حالة الألم استمرت ، فطلبنا من رفاقه أن يرسلوا برقية إلى نجله الوحيد قاضى عبد العزيز ناظر مدرسة بتياله ، وكان مضمون البرقية ما يلى : (القاضى مريض جدا) .

اللمحة الأخيرة

حوالى الساعة التاسعة جاء عبد اللطيف وقال إن الحالة كما هى ، وذهبنا إلى حيث يرقد القاضى ، وأرسلنا إلى الطبيب فقال : لقد فحصته ، وأرى من الأنسب وضعه فى المستشفى . وكنا قد جربنا المستشفى ، فقال إسماعيل للطبيب : " هذا المريض عالم فاضل من علماء الهند ، وهو ثروة قومية لنا جميعا لا تقدر بثمن ، بالله عليك يجب أن تهتم بحالته " . وبينما كنا نتناقش مع الطبيب جاء بعض رفاق القاضى ، وقد حملوه ، وجاءوا به إلى المستشفى قائلين : " لقد انتقلت روحه إلى الرفيق الأعلى !! إنا لله وإنا إليه راجعون ! "

وصل الطبيب فورا إلى باب المستشفى وأصابنا الوجوم ، إلا أن الطبيب قال : أدخلوا المريض إلى المستشفى وضعوه على السرير. وحين رقد القاضى على السرير بدأت أنفاسه تتحرك .. ورأى الطبيب أن نبض المريض عادى ، وأن قلبه يتحرك بطريقة طبيعية ، لكنه يعانى من الضعف الشديد ليس إلا ، فطلب الدواء ، وسقاه له ، وحقنه بحقنة مقوية ، وجلسنا جميعا هناك ، لكن بقلوب كسيرة حزينة ..

لم تكن هناك بوادر تبشر بتحسن حالة المريض ، وفى لحظات أخذ المريض يأخذ نفسا طويلا بعد آخر ، ونهضت ووقفت بجواره ، بدأت شفتاه ترتعشان ، وخرج من حلقه صوت خافت ، وصدرت عن يده حركة كالتى تصدر عن يد إنسان وهو يكتب ، كانت هذه آخر لحظة من لحظات اليأس ، ولم يستطع أحد رفاقه الصبر ، فانخرط فى البكاء قائلا : " انطفأ سراج الهند " فانهمرت دموعنا جميعا رغما عنا .. فى تلك الفترة بدأت ملامح النهاية تبدو على جبهة القاضى سليمان للحظة واحدة ، وبعدها انقطع النفس .. ونظرنا فإذا بشمس العلم والفضل والزهد والتقوى قد غربت وإلى الأبد ، يداه انعقدتا على صدره دون أن يحركهما أحد وكأنه فى صلاة .

أخذنا نبكى لدقائق بكاء مرا .. وجاء الطبيب فأخذنى وإسماعيل وعبد الشكور إلى القبطان الذى طلب منا أن نتم المراسم طبقا لمذهبنا وديننا ، وأن نخبره إذا ما أعددنا الميت حتى يوقف الباخرة قبل أن نسلم الجثة للبحر !

وضعنا الميت فى الجزء الخارجى من المستشفى حيث انتهينا من الغسل والتطيب ، ثم قمنا بتكفينه بملابس الإحرام ، وأخذناه إلى الطابق العلوى ، وفى الجزء الأخير من السفينة اشترك الجميع فى صلاة الجنازة ، وقمنا بإعداد وسيلة إلقاء الجثة فى البحر ، بعد أن ثبتنا فيها قطعة ثقيلة من الحديد .

اشترك مئات المسافرين فى صلاة الجنازة ، وقام إسماعيل بإمامتهم ، وظل يدعو للميت وهو يبكى ، بعد الصلاة أنزلنا الميت إلى قعر البحر ، ووقف جميع الركاب يشاهدون هذا المشهد ، وهكذا غاب عنا هذا الجسد الطاهر ولفته أمواج البحر الأحمر ، كانت السنة الهجرية قد انتهت ، وبدأ يوم سنة جديدة ، وكان اليوم يوم الجمعة ، وحدثت الوفاة فى الساعة الحادية عشرة ، وتم إسقاط الجثة فى وقت صلاة الجمعة .

كان مع القاضى سليمان سبعة عشر رجلاً قام إسماعيل بتقديم طعام العشاء لهم ، وأرسل برقية لاسلكية إلى نجله يخبره فيها بوفاة والده ..

ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام .

انقلاب فى ٢٣ يوليو ١٩٣٠م

المؤلف فى سطور

غلام رسول مهر

ولد سنة ١٨٩٥ م وتوفى ١٩٧١ م وهو من أدباء شبه القارة الهندية الباكستانية وعلمائها الكبار .

عمل فى الصحافة وأصدر العدد الأول من جريدته انقلاب سنة ١٩٢٧ م . كما كان ينشر فى معظم الصحف الهندية ، وقد صدر آخر عدد من انقلاب فى أبريل ١٩٤٩ م ، فاتجه إلى البحث والتأليف . وله مؤلفات فريدة وبحوث عديدة فى الأدب والتاريخ .

المترجم فى سطور

سمير عبد الحميد إبراهيم

تخرج فى كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٦٧ م وعمل بها حتى ١٩٨٢ م ، ثم انتقل بعد ذلك للعمل بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود فى طوكيو باليابان حتى عام ١٩٨٦ م ، ثم انتقل للعمل بكلية العلوم الاجتماعية بالرياض حتى عام ٢٠٠٣ م ، وعمل بعد ذلك فى جامعة دوشيشة اليابانية فى كيوتو من عام ٢٠٠٤ / ٢٠٠٥ م .

شارك فى العديد من المؤتمرات والندوات الدولية وله عدد كبير من المؤلفات والترجمات والبحوث نشرت فى باكستان ومصر واليابان والسعودية منها : يابانى فى مكة (ترجمة عن اليابانية بالاشتراك) ومعجم الألفاظ العربية فى الأردية ، واللغة العربية وقضية التنمية اللغوية فى باكستان ، والجزيرة العربية فى أدب الرحلة الأردى . فضلا عن الكتب المترجمة التى صدرت عن المجلس الأعلى للثقافة ضمن سلسلة المشروع القومى للترجمة .

المشروع القومى للترجمة

المشـروع القومـى للترجمـة مشـروع تنميـة ثقافيـة بالدرجـة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

-١	اللغة العليا	چون كوين	أحمد درويش
-٢	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
-٣	التراث المسروق	چورج چيمس	شوقى جلال
-٤	كيف تتم كتابة السيناريو	إنجا كاريتنيكوفا	أحمد الحضرى
-٥	ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
-٦	اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
-٧	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكى
-٨	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
-٩	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	محمود محمد عاشور
-١٠	خطاب الحكاية	چيرار چينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
-١١	مختارات شعرية	فيسوافا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
-١٢	طريق الحرير	ديڤيد براونيستون وأيرين فرانك	أحمد محمود
-١٣	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
-١٤	التحليل النفسى للأدب	چان بيلمان نويل	حسن المودن
-١٥	الحركات الفنية منذ ١٩٤٥	إدوارد لوسى سميث	أشرف رفيق عفيفى
-١٦	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف أحمد عتمان
-١٧	مختارات شعرية	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوى
-١٨	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
-١٩	الأعمال الشعرية الكاملة	چورج سفيريس	نعيم عطية
-٢٠	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
-٢١	خوخة وألف خوخة وقصص أخرى	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
-٢٢	مذكرات رحالة عن المصريين	چون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
-٢٣	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
-٢٤	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
-٢٥	مثنوى (٦ أجزاء)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
-٢٦	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
-٢٧	التنوع البشرى الخلاق	مجموعة من المؤلفين	بإشراف: جابر عصفور
-٢٨	رسالة فى التسامح	چون لوك	منى أبو سنة
-٢٩	الموت والوجود	چيمس ب. كارس	بدر الديب
-٣٠	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
-٣١	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	چان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
-٣٢	الانقراض	ديڤيد روب	مصطفى إبراهيم فهمى
-٣٣	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بلبع
-٣٤	الرواية العربية	روچر آلن	حصة إبراهيم المنيف
-٣٥	الأسطورة والحداثة	پول ب . ديكسون	خليل كلفت
-٣٦	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد

٣٧-	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم
٣٨-	نقد الحداثة	الن تورين	أنور مغيث
٣٩-	الحسد والإغريق	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠-	قصائد حب	أن سكستون	محمد عيد إبراهيم
٤١-	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحى ومحمود ماجد
٤٢-	عالم ماك	بنچامين باربر	أحمد محمود
٤٣-	اللهب المزدوج	أوكتافيو پاث	المهدى أخريف
٤٤-	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلى	مارلين تادرس
٤٥-	التراث المغدور	روبرت دينا وچون فاين	أحمد محمود
٤٦-	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد على
٤٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨-	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتى
٤٩-	الإسلام فى البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
٥٠-	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثمانى الميلود ويوسف الأنطكى
٥١-	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانوبيا وخ. م. بينياليستى	محمد أبو العطا
٥٢-	العلاج النفسى التدعيمى	ب. نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣-	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسى سعد الدين
٥٤-	المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحى
٥٥-	ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	على يوسف على
٥٦-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود على مكى
٥٧-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨-	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩-	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
٦٠-	التصميم والشكل	چوهانز إيتين	صبرى محمد عبد الغنى
٦١-	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	بإشراف : محمد الجوهرى
٦٢-	لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعى
٦٣-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤-	برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	رمسيس عوض
٦٥-	فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض
٦٦-	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧-	مختارات شعرية	فرناندو بيسوا	المهدى أخريف
٦٨-	نتاشا العجوز وقصص أخرى	ڤالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩-	العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠-	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١-	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	حسين محمود
٧٢-	السياسى العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلى
٧٣-	نقد استجابة القارئ	چين ب . تومبكنز	حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمماليك فى مصر	ل . أ . سيمينوفا	حسن بيومى

٧٥-	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش
٧٦-	جاك لاكان وإغواء التحليل النفسي	مجموعة من المؤلفين	عبد المقصود عبد الكريم
٧٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨-	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩-	شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكي	سعيد الغانمي وناصر حلاوي
٨٠-	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم الغمري
٨١-	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوي
٨٢-	مسرح ميجيل	ميجيل دي أونامونو	محمود السيد علي
٨٣-	مختارات شعرية	غوتفريد بن	خالد المعالي
٨٤-	موسوعة الأدب والنقد (جـ١)	مجموعة من المؤلفين	عبد الحميد شيحة
٨٥-	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكي أقطاي	عبد الرازق بركات
٨٦-	طول الليل (رواية)	جمال مير صادقي	أحمد فتحي يوسف شتا
٨٧-	نون والقلم (رواية)	جلال آل أحمد	ماجدة العناني
٨٨-	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقي شتا
٨٩-	الطريق الثالث	أنتوني جيدنز	أحمد زايد ومحمد محيي الدين
٩٠-	وسم السيف وقصص أخرى	بورخيس وآخرون	محمد إبراهيم مبروك
٩١-	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربرا لاسوتسكا - بشونباك	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢-	أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكي المعاصر	كارلوس ميجيل	نادية جمال الدين
٩٣-	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤-	مسرحيتا الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوي
٩٥-	مختارات من المسرح الإسباني	أنطونيو بويرو باييخو	سري محمد عبد اللطيف
٩٦-	ثلاث زنبقات ووردة وقصص أخرى	نخبة	إدوار الخراط
٩٧-	هوية فرنسا (مج١)	فرنان بروديل	بشير السباعي
٩٨-	الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٩٩-	تاريخ السينما العالمية (١٨٩٥-١٩٨٠)	ديفيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠-	مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحي
١٠١-	النص الروائي: تقنيات ومناهج	بيرنار فاليط	رشيد بنحدو
١٠٢-	السياسة والتسامح	عبد الكبير الخطيبي	عز الدين الكتاني الإدريسي
١٠٣-	قبر ابن عربي يليه آياء (شعر)	عبد الوهاب المؤدب	محمد بنيس
١٠٤-	أوبرا ماهوجني (مسرحية)	برتولت بريشت	عبد الغفار مكاوي
١٠٥-	مدخل إلى النص الجامع	جيرار جينيت	عبد العزيز شبيل
١٠٦-	الأدب الأندلسي	ماريا خيسوس روبييرا متي	أشرف علي دعدور
١٠٧-	صورة الفدائي في الشعر الأمريكي اللاتيني المعاصر	نخبة من الشعراء	محمد عبد الله الجعيدي
١٠٨-	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسي	مجموعة من المؤلفين	محمود علي مكي
١٠٩-	حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠-	النساء في العالم النامي	حسنة بيجوم	منى قطان
١١١-	المرأة والجريمة	فرانسس هيدسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢-	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوي ماكليود	إكرام يوسف

العنوان	المؤلف	المترجم
١١٣- راية التمرد	سادى پلانت	أحمد حسان
١١٤- مسرحيتا حصاد كونجي وسكان المستنقع	وول شوينكا	نسيم مجلي
١١٥- غرفة تخص المرء وحده	فرچينيا وولف	سمية رمضان
١١٦- امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	نهاد أحمد سالم
١١٧- المرأة والجنوسة في الإسلام	ليلى أحمد	منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨- النهضة النسائية في مصر	بث بارون	لميس النقاش
١١٩- النساء والأسرة وقوانين الطلاق في التاريخ الإسلامي	أميرة الأزهري سنبل	بإشراف: رءوف عباس
١٢٠- الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	مجموعة من المترجمين
١٢١- الدليل الصغير في كتابة المرأة العربية	فاطمة موسى	محمد الجندي وإيزابيل كمال
١٢٢- نظام العبودية القديم والنموذج المثالي للإنسان	چوزيف فوجت	منيرة كروان
١٢٣- الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	أنيثل ألكسندرو فنادولينا	أنور محمد إبراهيم
١٢٤- الفجر الكاذب: أوهام الرأسمالية العالمية	چون جراي	أحمد فؤاد بلبع
١٢٥- التحليل الموسيقي	سيدرك ثورپ ديڤي	سمحة الخولي
١٢٦- فعل القراءة	ڤولڤانج إيسر	عبد الوهاب علوب
١٢٧- إرهاب (مسرحية)	صفاء فتحي	بشير السباعي
١٢٨- الأدب المقارن	سوزان باسنيت	أميرة حسن نويرة
١٢٩- الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠- الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	شوقي جلال
١٣١- مصر القديمة: التاريخ الاجتماعي	مجموعة من المؤلفين	لويس بقطر
١٣٢- ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	عبد الوهاب علوب
١٣٣- الخوف من المرايا (رواية)	طارق علي	طلعت الشايب
١٣٤- تشريح حضارة	باري ج. كيمب	أحمد محمود
١٣٥- المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ماهر شفيق فريد
١٣٦- فلاحو الباشا	كينيث كونو	سحر توفيق
١٣٧- مذكرات ضابط في الحملة الفرنسية على مصر	چوزيف ماري مواريه	كاميليا صبحي
١٣٨- عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	أندريه جلوكسمان	وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩- پارسيڤال (مسرحية)	ريتشارد ڤاچنر	مصطفى ماهر
١٤٠- حيث تلتقي الأنهار	هربرت ميسن	أمل الجبوري
١٤١- اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	نعيم عطية
١٤٢- الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	حسن بيومي
١٤٣- قضايا التنظير في البحث الاجتماعي	ديرك لايدر	عدلي السمري
١٤٤- صاحبة اللوكاندة (مسرحية)	كارلو جولدوني	سلامة محمد سليمان
١٤٥- موت أرتيميو كروث (رواية)	كارلوس فوينتس	أحمد حسان
١٤٦- الورقة الحمراء (رواية)	ميجيل دي ليبس	علي عبدالرءوف البمبي
١٤٧- مسرحيتان	تانكريد دورست	عبدالغفار مكاوي
١٤٨- القصة القصيرة: النظرية والتقنية	إنريكي أندرسون إمبرت	علي إبراهيم منوفي
١٤٩- النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	أسامة إسبر
١٥٠- التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	منيرة كروان

١٥١-	هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٢-	عدالة الهنود وقصص أخرى	مجموعة من المؤلفين	محمد محمد الخطابى
١٥٣-	غرام الفراعنة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤-	مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت
١٥٥-	الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦-	المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال وآلان وأوديت فيرمو	مى التلمسانى
١٥٧-	خسرو وشيرين	النظامى الكنجوى	عبدالعزيز بقوش
١٥٨-	هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان بروديل	بشير السباعى
١٥٩-	الأيديولوچية	ديڤيد هوكس	إبراهيم فتحى
١٦٠-	آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومى
١٦١-	مسرحيتان من المسرح الإسبانى	أليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢-	تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوى	صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣-	موسوعة علم الاجتماع (جـ ١)	جوردون مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤-	شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	نبيل سعد
١٦٥-	حكايات الثعلب (قصص أطفال)	أ. ن. أفاناسيفا	سهير المصادفة
١٦٦-	العلاقات بين المتدينين والعلمانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	محمد محمود أبوغدير
١٦٧-	فى عالم طاغور	رابندرنات طاغور	شكرى محمد عياد
١٦٨-	دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٦٩-	إبداعات أدبية	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٧٠-	الطريق (رواية)	ميجيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١-	وضع حد (رواية)	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢-	حجر الشمس (شعر)	نخبة	محمد محمد الخطابى
١٧٣-	معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤-	صناعة الثقافة السوداء	إيليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥-	التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦-	نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧-	أنطون تشيخوف	هنرى ترويا	حصة إبراهيم المنيف
١٧٨-	مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدى إبراهيم
١٧٩-	حكايات أيسوب (قصص أطفال)	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠-	قصة جاويد (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١-	النقد الأدبى الأمريكى من الثلاثينيات إلى الثمانينيات	فنسنت ب. ليتش	محمد يحيى
١٨٢-	العنف والنبوءة (شعر)	و.ب. ييتس	ياسين طه حافظ
١٨٣-	چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه جيلسون	فتحى العشرى
١٨٤-	القاهرة: حالمة لا تنام	هانز إبندورفر	دسوقى سعيد
١٨٥-	أسفار العهد القديم فى التاريخ	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦-	معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧-	الأرضة (رواية)	بُزرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨-	موت الأدب	ألفين كرنان	بدر الديب

١٨٩-	العمى والبصيرة: مقالات في بلاغة النقد المعاصر	پول دى مان	سعيد الغانمي
١٩٠-	محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجانى
١٩١-	الكلام رأسمال وقصص أخرى	الحاج أبو بكر إمام وآخرون	مصطفى حجازى السيد
١٩٢-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغي	محمود علاوى
١٩٣-	عامل المنجم (رواية)	بيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد
١٩٤-	مختارات من النقد الأنجلو-أمريكى الحديث	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
١٩٥-	شتاء ٨٤ (رواية)	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
١٩٦-	المهلة الأخيرة (رواية)	ڤالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
١٩٧-	سيرة الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	جلال السعيد الحفناوى
١٩٨-	الاتصال الجماهيرى	إدوين إمرى وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩-	تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية	يعقوب لانداو	جمال أحمد الرفاعي وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠-	ضحايا التنمية: المقاومة والبدائل	چيرمى سيبروك	فخرى لبيب
٢٠١-	الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٠٢-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣-	الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالى	جلال السعيد الحفناوى
٢٠٤-	تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد هويدى
٢٠٥-	الجينات والشعوب واللغات	لويجى لوقا كافاللى- سفورزا	أحمد مستجير
٢٠٦-	الهيولية تصنع علمًا جديدًا	چيمس جلايك	على يوسف على
٢٠٧-	ليل أفريقى (رواية)	رامون خوتاسندير	محمد أبو العطا
٢٠٨-	شخصية العربى في المسرح الإسرائيلى	دان أوريان	محمد أحمد صالح
٢٠٩-	السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٠-	مثنويات حكيم سنائى (شعر)	سنائى الغزنوى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١-	فرديناند دوسوسير	جوناثان كلر	محمود حمدى عبد الغنى
٢١٢-	قصص الأمير مرزبان على لسان الحيوان	مرزبان بن رستم بن شروين	يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣-	مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	سيد أحمد على الناصرى
٢١٤-	قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع	أنتونى جيدنز	محمد محيى الدين
٢١٥-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغي	محمود علاوى
٢١٦-	جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٧-	مسرحيتان طليعيتان	صمويل بيكيت وهارولد بينتر	نادية البنهاوى
٢١٨-	لعبة الحجلة (رواية)	خوليو كورتاثار	على إبراهيم منوفى
٢١٩-	بقايا اليوم (رواية)	كازو إيشجورو	طلعت الشايب
٢٢٠-	الهيولية في الكون	بارى پاركر	على يوسف على
٢٢١-	شعرية كفافى	جريجورى جوزدانيس	رفعت سلام
٢٢٢-	فرانز كافكا	رونالد جراى	نسيم مجلى
٢٢٣-	العلم في مجتمع حر	باول فيرابند	السيد محمد نفادى
٢٢٤-	دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥-	حكاية غريق (رواية)	جابرييل جارثيا ماركيث	السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦-	أرض المساء وقصائد أخرى	ديڤيد هربت لورانس	طاهر محمد على البربرى

٢٢٧- المسرح الإسبانى فى القرن السابع عشر | خوسيه ماريا ديث بوركى | السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨- علم الجمالية وعلم اجتماع الفن | جانيت وولف | مارى تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩- مأزق البطل الوحيد | نورمان كيجان | أمير إبراهيم العمرى
٢٣٠- عن الذباب والفئران والبشر | فرانسواز جاكوب | مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣١- الدرافيل أو الجيل الجديد (مسرحية) | خايمى سالوم بيدال | جمال عبدالرحمن
٢٣٢- ما بعد المعلومات | توم ستونير | مصطفى إبراهيم فهمى
٢٣٣- فكرة الاضمحلال فى التاريخ الغربى | أرثر هيرمان | طلعت الشايب
٢٣٤- الإسلام فى السودان | ج. سبنسر تريمنجهام | فؤاد محمد عكود
٢٣٥- ديوان شمس تبريزى (جـ١) | مولانا جلال الدين الرومى | إبراهيم الدسوقى شتا
٢٣٦- الولاية | ميشيل شودكيفيتش | أحمد الطيب
٢٣٧- مصر أرض الوادى | روبين فيدين | عنايات حسين طلعت
٢٣٨- العولمة والتحرير | تقرير لمنظمة الأنكتاد | ياسر محمد جادالله وعربى مدبولى أحمد
٢٣٩- العربى فى الأدب الإسرائيلى | جيلا رامراز - رايوخ | نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠- الإسلام والغرب وإمكانية الحوار | كاى حافظ | صلاح محجوب إدريس
٢٤١- فى انتظار البرابرة (رواية) | ج . م. كوتزى | ابتسام عبدالله
٢٤٢- سبعة أنماط من الغموض | وليام إمبسون | صبرى محمد حسن
٢٤٣- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١) | ليفى بروفنسال | بإشراف: صلاح فضل
٢٤٤- الغليان (رواية) | لاورا إسكيبيل | نادية جمال الدين محمد
٢٤٥- نساء مقاتلات | إليزابيتا أديس وآخرون | توفيق على منصور
٢٤٦- مختارات قصصية | جابرييل جارثيا ماركيث | على إبراهيم منوفى
٢٤٧- الثقافة الجماهيرية والحداثة فى مصر | والتر أرمبرست | محمد طارق الشرقاوى
٢٤٨- حقول عدن الخضراء (مسرحية) | أنطونيو جالا | عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩- لغة التمزق (شعر) | دراجو شتامبوك | رفعت سلام
٢٥٠- علم اجتماع العلوم | دومنيك فينك | ماجدة محسن أباظة
٢٥١- موسوعة علم الاجتماع (جـ٢) | جوردون مارشال | بإشراف: محمد الجوهرى
٢٥٢- رائدات الحركة النسوية المصرية | مارجو بدران | على بدران
٢٥٣- تاريخ مصر الفاطمية | ل. أ. سيمينوفا | حسن بيومى
٢٥٤- أقدم لك: الفلسفة | ديف روبنسون وجودى جروفز | إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥- أقدم لك: أفلاطون | ديف روبنسون وجودى جروفز | إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦- أقدم لك: ديكارت | ديف روبنسون وكريس جارات | إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧- تاريخ الفلسفة الحديثة | وليم كلى رايت | محمود سيد أحمد
٢٥٨- الغجر | سير أنجوس فريزر | عُبادة كُحيلة
٢٥٩- مختارات من الشعر الأرمنى عبر العصور | نخبة | فاروجان كازانجيان
٢٦٠- موسوعة علم الاجتماع (جـ٣) | جوردون مارشال | بإشراف: محمد الجوهرى
٢٦١- رحلة فى فكر زكى نجيب محمود | زكى نجيب محمود | إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢- مدينة المعجزات (رواية) | إدواردو مندوثا | محمد أبو العطا
٢٦٣- الكشف عن حافة الزمن | جون جريبين | على يوسف على
٢٦٤- إبداعات شعرية مترجمة | هوراس وشلى | لويس عوض

٢٦٥-	روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض
٢٦٦-	مدير المدرسة (رواية)	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم على
٢٦٧-	فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عرودكى
٢٦٨-	ديوان شمس تبريزى (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦٩-	وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم جيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧٠-	وسط الجزير العربية وشرقها (جـ٢)	وليم جيفور بالجريف	صبرى محمد حسن
٢٧١-	الحضارة الغربية: الفكرة والتاريخ	توماس سى. باترسون	شوقى جلال
٢٧٢-	الأديرة الأثرية فى مصر	سى. سى. والترز	إبراهيم سلامة إبراهيم
٢٧٣-	الأصول الاجتماعية والثقافية لحركة عرابى فى مصر	جوان كول	عنان الشهاوى
٢٧٤-	السيدة باربارا (رواية)	رومولو جاييجوس	محمود على مكى
٢٧٥-	ت. س. إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
٢٧٦-	فنون السينما	مجموعة من المؤلفين	عبدالقادر التلمسانى
٢٧٧-	الجينات والصراع من أجل الحياة	براين فورد	أحمد فوزى
٢٧٨-	البدايات	إسحاق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩-	الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠-	الأم والنصيب وقصص أخرى	بريم شند وآخرون	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٨١-	الفردوس الأعلى (رواية)	عبد الحليم شرر	جلال الحفناوى
٢٨٢-	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبرت	سمير حنا صادق
٢٨٣-	السهل يحترق وقصص أخرى	خوان رولفو	على عبد الروف البمبى
٢٨٤-	هرقل مجنوناً (مسرحية)	يوريبيديس	أحمد عتمان
٢٨٥-	رحلة خواجة حسن نظامى الدهلوى	حسن نظامى الدهلوى	سمير عبد الحميد إبراهيم
٢٨٦-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٣)	زين العابدين المراغى	محمود علاوى
٢٨٧-	الثقافة والعولمة والنظام العالمى	أنتونى كنج	محمد يحيى وآخرون
٢٨٨-	الفن الروائى	ديفيد لودج	ماهر البطوطى
٢٨٩-	ديوان منوچهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠-	علم اللغة والترجمة	چورج مونان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢-	تاريخ المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣-	مقدمة للأدب العربى	روجر آلن	مجدى توفيق وآخرون
٢٩٤-	فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت
٢٩٥-	سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل وبيل مورين	بدر الديب
٢٩٦-	مكبث (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٢٩٧-	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوازى	ماجدة محمد أنور
٢٩٨-	مأساة العبيد وقصص أخرى	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٢٩٩-	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	چين ماركس	هاشم أحمد محمد
٣٠٠-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج١)	لويس عوض	جمال الجزيرى وبهاء چاهين وإيزابيل كمال
٣٠١-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج٢)	لويس عوض	جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢-	أقدم لك: فتجنشتين	چون هيتون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام

٣٠٣- أقدم لك: بوذا	جين هوب وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤- أقدم لك: ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥- الجلد (رواية)	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٣٠٦- الحماسة: النقد الكانطي للتاريخ	جان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٣٠٧- أقدم لك: الشعور	ديفيد بابينو وهوارد سلينا	محمود مكي
٣٠٨- أقدم لك: علم الوراثة	ستيف جونز وبورين فان لو	ممدوح عبد المنعم
٣٠٩- أقدم لك: الذهن والمخ	أنجوس جيلاتي وأوسكار زاريت	جمال الجزيري
٣١٠- أقدم لك: يونج	ماجي هايد ومايكل ماكجنس	محيي الدين مزيد
٣١١- مقال في المنهج الفلسفي	ر.ج كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٣١٢- روح الشعب الأسود	وليم ديبويس	أسعد حليم
٣١٣- أمثال فلسطينية (شعر)	خايير بيان	محمد عبدالله الجعيدي
٣١٤- مارسيل دوشامب: الفن كعدم	جانيس مينيك	هويدا السباعي
٣١٥- جرامشي في العالم العربي	ميشيل بروندينو والطاهر لبيب	كاميليا صبحي
٣١٦- محاكمة سقراط	أي. ف. ستون	نسيم مجلي
٣١٧- بلا غد	س. شير لايموفا- س. زنيكين	أشرف الصباغ
٣١٨- الأدب الروسي في السنوات العشر الأخيرة	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٣١٩- صور دريدا	جايتري سبيفاك وكرستوفر نوريس	حسام نايل
٣٢٠- لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٣٢١- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليفي برو فنسال	بإشراف: صلاح فضل
٣٢٢- وجهات نظر حديثة في تاريخ الفن الغربي	دبليو يوجين كليبنباور	خالد مفلح حمزة
٣٢٣- فن الساتورا	تراث يوناني قديم	هانم محمد فوزي
٣٢٤- اللعب بالنار (رواية)	أشرف أسدي	محمود علاوي
٣٢٥- عالم الآثار (رواية)	فيليب بوسان	كرستين يوسف
٣٢٦- المعرفة والمصلحة	يورجين هابرماس	حسن صقر
٣٢٧- مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	توفيق علي منصور
٣٢٨- يوسف وزليخا (شعر)	نور الدين عبد الرحمن الجامي	عبد العزيز بقوش
٣٢٩- رسائل عيد الميلاد (شعر)	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٣٣٠- كل شيء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	سامي صلاح
٣٣١- عندما جاء السردين وقصص أخرى	ستيفن جراي	سامية دياب
٣٣٢- شهر العسل وقصص أخرى	نخبة	علي إبراهيم منوفي
٣٣٣- الإسلام في بريطانيا من ١٥٥٨-١٦٨٥	نبيل مطر	بكر عباس
٣٣٤- لقطات من المستقبل	آرثر كلارك	مصطفى إبراهيم فهمي
٣٣٥- عصر الشك: دراسات عن الرواية	ناتالي ساروت	فتحي العشري
٣٣٦- متون الأهرام	نصوص مصرية قديمة	حسن صابر
٣٣٧- فلسفة الولاء	جوزايا رويس	أحمد الأنصاري
٣٣٨- نظرات حائرة وقصص أخرى	نخبة	جلال الحفناوي
٣٣٩- تاريخ الأدب في إيران (جـ٣)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٣٤٠- اضطراب في الشرق الأوسط	بيرش بيربروجلو	فخري لبيب

٢٤١-	قصائد من رلكه (شعر)	راينر ماريا ريلكه	حسن حلمى
٢٤٢-	سلامان وأبسال (شعر)	نور الدين عبدالرحمن الجامى	عبد العزيز بقوش
٢٤٣-	العالم البرجوازى الزائل (رواية)	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٢٤٤-	الموت فى الشمس (رواية)	بيتر بالانجيو	سمير عبد ربه
٢٤٥-	الركض خلف الزمان (شعر)	يونه نداتى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢٤٦-	سحر مصر	رشاد رشدى	جمال الجزيرى
٢٤٧-	الصبية الطائشون (رواية)	جان كوكتو	بكر الحلو
٢٤٨-	المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٤٩-	دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدهورن وآخرون	أحمد عمر شاهين
٢٥٠-	بانوراما الحياة السياحية	مجموعة من المؤلفين	عطية شحاتة
٢٥١-	مبادئ المنطق	جوزايا رويس	أحمد الانصارى
٢٥٢-	قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٢٥٣-	الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة الهندسية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٢٥٤-	الفن الإسلامى فى الأندلس: الزخرفة النباتية	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٢٥٥-	التيارات السياسية فى إيران المعاصرة	حجت مرتجى	محمود علاوى
٢٥٦-	الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعى
٢٥٧-	متون هرمس	تيموثى فريك وبيتر غاندى	عمر الفاروق عمر
٢٥٨-	أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٢٥٩-	محاورة بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشارونى
٢٦٠-	أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربينى
٢٦١-	التصحر: التهديد والمجابهة	الان جرينجر	عاطف معتمد وأمال شاور
٢٦٢-	تلميذ بابنبرج (رواية)	هاينرش شبورل	سيد أحمد فتح الله
٢٦٣-	حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	صبرى محمد حسن
٢٦٤-	حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٢٦٥-	سأم باريس (شعر)	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٢٦٦-	نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٢٦٧-	القلم الجرىء	مجموعة من المؤلفين	البرّاق عبدالهادى رضا
٢٦٨-	المصطلح السردى: معجم مصطلحات	جيرالد برنس	عابد خزندار
٢٦٩-	المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	فوزية العشماوى
٢٧٠-	الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٢٧١-	المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٧٢-	عاش الشباب (رواية)	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٢٧٣-	كيف تعد رسالة دكتوراه	أومبرتو إيكو	على إبراهيم منوفى
٢٧٤-	اليوم السادس (رواية)	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٢٧٥-	الخلود (رواية)	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٢٧٦-	الغضب وأحلام السنين (مسرحيات)	جان أنوى وآخرون	إدوار الخراط
٢٧٧-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤)	إدوارد براون	محمد علاء الدين منصور
٢٧٨-	المسافر (شعر)	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج

٣٧٩- ملك فى الحديقة (رواية)	سنيل باث	جمال عبدالرحمن
٣٨٠- حديث عن الخسارة	جونتر جراس	شيرين عبدالسلام
٣٨١- أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢- تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد اسفنديار	أحمد محمد نادى
٣٨٣- هدية الحجاز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٨٤- القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	إيزابيل كمال
٣٨٥- مشترى العشق (رواية)	محمد على بهزادراد	يوسف عبدالفتاح فرج
٣٨٦- دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧- أغنيات وسونانات (شعر)	جون دن	بهاء جاهين
٣٨٨- مواعظ سعدى الشيرازى (شعر)	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور
٣٨٩- تفاهم وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٩٠- الأرشيفات والمدن الكبرى	إم. فى. روبرتس	عثمان مصطفى عثمان
٣٩١- الحافلة الليلكية (رواية)	مايف بينشى	منى الدروبى
٣٩٢- مقامات ورسائل أندلسية	فرناندو دى لاجرانجا	عبداللطيف عبدالحليم
٣٩٣- فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	زينب محمود الخضيرى
٣٩٤- القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	هاشم أحمد محمد
٣٩٥- آلام سياوش (رواية)	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
٣٩٦- السافاك	تقى نجارى راد	محمود علاوى
٣٩٧- أقدم لك: نيتشه	لورانس جين وكيتى شين	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٨- أقدم لك: سارتر	فيليب تودى وهوارد ريد	إمام عبدالفتاح إمام
٣٩٩- أقدم لك: كامى	ديفيد ميروفتش وآلن كوركس	إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠- مومو (رواية)	ميشائيل إنده	باهر الجوهرى
٤٠١- أقدم لك: علم الرياضيات	زياودن ساردر وآخرون	ممدوح عبد المنعم
٤٠٢- أقدم لك: ستيفن هوكنج	ج. ب. ماك إيفوى وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣- ربة المطر والملابس تصنع الناس (روايتان)	توبور شتورم وجوتفرد كولر	عماد حسن بكر
٤٠٤- تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ظبية خميس
٤٠٥- إيزابيل (رواية)	أندريه جيد	حمادة إبراهيم
٤٠٦- المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	جمال عبد الرحمن
٤٠٧- الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	مجموعة من المؤلفين	طلعت شاهين
٤٠٨- معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	عنان الشهاوى
٤٠٩- انتصار السعادة	برتراند راسل	إلهامى عمارة
٤١٠- خلاصة القرن	كارل بوبر	الزواوى بغورة
٤١١- همس من الماضى	جينيفر أكرمان	أحمد مستجير
٤١٢- تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليفى بروفنسال	بإشراف: صلاح فضل
٤١٣- أغنيات المنفى (شعر)	ناظم حكمت	محمد البخارى
٤١٤- الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	أمل الصبان
٤١٥- صورة كوكب (مسرحية)	فريدريش دورينمات	أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦- مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	أ. أ. رتشاردز	محمد مصطفى بدوى

٤١٧- تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٥) — رينيه ويليك — مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨- سياسات الزمر الحاكمة في مصر العثمانية — جين هاثواي — عبد الرحمن الشيخ
٤١٩- العصر الذهبي للإسكندرية — جون مارلو — نسيم مجلي
٤٢٠- مكرو ميجاس (قصة فلسفية) — فولتير — الطيب بن رجب
٤٢١- الولاء والقيادة في المجتمع الإسلامي الأول — روى متحدة — أشرف كيلاني
٤٢٢- رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١) — ثلاثة من الرحالة — عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣- إسراءات الرجل الطيف — نخبة — وحيد النقاش
٤٢٤- لوائح الحق ولوامع العشق (شعر) — نور الدين عبدالرحمن الجامي — محمد علاء الدين منصور
٤٢٥- من طاووس إلى فرح — محمود طلوعي — محمود علاوي
٤٢٦- الخفافيش وقصص أخرى — نخبة — محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧- بانديراس الطاغية (رواية) — باى إنكلان — ثريا شلبي
٤٢٨- الخزانة الخفية — محمد هوتك بن داود خان — محمد أمان صافي
٤٢٩- أقدم لك: هيجل — ليود سبنسر وأندزجي كروز — إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠- أقدم لك: كانط — كرستوفر وانت وأندزجي كليموفسكي — إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١- أقدم لك: فوكو — كريس هوروكس وزوران جفتيك — إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢- أقدم لك: ماكيافللي — باتريك كيري وأوسكار زاريت — إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣- أقدم لك: جويس — ديفيد نوريس وكارل فلنت — حمدي الجابري
٤٣٤- أقدم لك: الرومانسية — دونكان هيث وجودي بورهام — عصام حجازي
٤٣٥- توجهات ما بعد الحداثة — نيكولاس زربرج — ناجي رشوان
٤٣٦- تاريخ الفلسفة (مج١) — فردريك كوبلستون — إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧- رحالة هندي في بلاد الشرق العربي — شبلي النعماني — جلال الحفناوي
٤٣٨- بطلات وضحايا — إيمان ضياء الدين بيبرس — عايدة سيف الدولة
٤٣٩- موت المرابي (رواية) — صدر الدين عيني — محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠- قواعد اللهجات العربية الحديثة — كرستن بروستاد — محمد طارق الشرقاوي
٤٤١- رب الأشياء الصغيرة (رواية) — أرونداتي روى — فخري لبيب
٤٤٢- حتشبسوت: المرأة الفرعونية — فوزية أسعد — ماهر جويجاتي
٤٤٣- اللغة العربية: تاريخها ومستوياتها وتأثيرها — كيس فرستيغ — محمد طارق الشرقاوي
٤٤٤- أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة — لاوريت سيجورنه — صالح علماني
٤٤٥- حول وزن الشعر — پرويز ناتل خانلري — محمد محمد يونس
٤٤٦- التحالف الأسود — ألكسندر كوكبرن وجيفري سانت كلير — أحمد محمود
٤٤٧- ملحمة السيد — تراث شعبي إسباني — الطاهر أحمد مكي
٤٤٨- الفلاحون (ميراث الترجمة) — الأب عيروط — محي الدين اللبان ووليم داوود مرقس
٤٤٩- أقدم لك: الحركة النسوية — نخبة — جمال الجزيري
٤٥٠- أقدم لك: ما بعد الحركة النسوية — صوفيا فوكا وريبيكا رايت — جمال الجزيري
٤٥١- أقدم لك: الفلسفة الشرقية — ريتشارد أوزبورن وبورن فان لون — إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢- أقدم لك: لينين والثورة الروسية — ريتشارد إبجينانزي وأوسكار زاريت — محيي الدين مزيد
٤٥٣- القاهرة: إقامة مدينة حديثة — جان لوك أرنو — حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤- خمسون عاماً من السينما الفرنسية — رينيه بريدال — سوزان خليل

الرقم	العنوان	المؤلف	المترجم
٤٥٥-	تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦-	لا تنسنى (رواية)	مريم جعفرى	هويدا عزت محمد
٤٥٧-	النساء فى الفكر السياسى الغربى	سوزان موللر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨-	الموريسكيون الأندلسيون	مرثيديس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩-	نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠-	أقدم لك: الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١-	أقدم لك: لكان	داريان ليدر وجودى جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢-	طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودى	عبدالرشيد الصادق محمودى
٤٦٣-	الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤-	ديمقراطية للقلة	مايكل بارنتى	حصة إبراهيم المنيف
٤٦٥-	قصص اليهود	لويس جنزبيرج	جمال الرفاعى
٤٦٦-	حكايات حب وبطولات فرعونية	ڤيولين ڤانويك	فاطمة عبد الله
٤٦٧-	التفكير السياسى والنظرة السياسية	ستيفين ديلو	ربيع وهبة
٤٦٨-	روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩-	جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠-	الأراضى والجودة البيئية	جارى م. بيرزنسكى وآخرون	محمد السيد النثة
٤٧١-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	ثلاثة من الرحالة	عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢-	دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٣-	دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٤-	الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥-	صوت مصر: أم كلثوم	ڤرجينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦-	أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧-	تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨-	الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	عبد العزيز حمدى
٤٧٩-	المقهـــى (مسرحية)	لاو شه	عبد العزيز حمدى
٤٨٠-	تساى ون جى (مسرحية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
٤٨١-	بردة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢-	موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	فاطمة عبد الله
٤٨٣-	النسوية وما بعد النسوية	سارة جامبل	أحمد الشامى
٤٨٤-	جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	رشيد بنحدو
٤٨٥-	التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦-	الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧-	الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد آبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨-	الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩-	هُسِّرل: الفلسفة علمًا دقيقًا	إدموند هُسِّرل	محمود رجب
٤٩٠-	أسمار الببغاء	محمد قادرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١-	نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢-	محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى ڤارجيت	محمد رفعت عواد

٤٩٣- خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	محمد صالح الضالع
٤٩٤- كتاب الموتى: الخروج فى النهار	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفى
٤٩٥- اللوبى	إدوارد تيفان	حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦- الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ١)	إكوادو بانولى	مجموعة من المترجمين
٤٩٧- العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلى	مصطفى رياض
٤٩٨- النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريويذر	أحمد على بدوى
٤٩٩- تقاطعات: الأمة والمجتمع والنوع	مجموعة من المؤلفين	فيصل بن خضراء
٥٠٠- فى طفولتى: دراسة فى السيرة الذاتية العربية	تيتز رووكى	طلعت الشايب
٥٠١- تاريخ النساء فى الغرب (جـ١)	أرثر جولد هامر	سحر فراج
٥٠٢- أصوات بديلة	مجموعة من المؤلفين	هالة كمال
٥٠٣- مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة من الشعراء	محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤- كتابات أساسية (جـ١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٥- كتابات أساسية (جـ٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٦- ربما كان قديساً (رواية)	أن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥٠٧- سيدة الماضى الجميل (مسرحية)	بيتر شيفر	شوقى فهيم
٥٠٨- المولوية بعد جلال الدين الرومى	عبدالباقى جلبنارلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩- الفقر والإحسان فى عصر سلاطين المماليك	أدم صبرة	قاسم عبده قاسم
٥١٠- الأرملة الماكرة (مسرحية)	كارلو جولدونى	عبدالرازق عيد
٥١١- كوكب مرقَّع (رواية)	أن تيلر	عبدالحميد فهمى الجمال
٥١٢- كتابة النقد السينمائى	تيموثى كوريجان	جمال عبد الناصر
٥١٣- العلم الجسور	تيد أنتون	مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤- مدخل إلى النظرية الأدبية	جونثان كولر	مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥- من التقليد إلى ما بعد الحداثة	فدوى مالطى دوجلاس	فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦- إرادة الإنسان فى علاج الإدمان	أرنولد واشنطون ودونا باوندى	صبرى محمد حسن
٥١٧- نقش على الماء وقصص أخرى	نخبة	سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨- استكشاف الأرض والكون	إسحق عظيموف	هاشم أحمد محمد
٥١٩- محاضرات فى المثالية الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٥٢٠- الولع الفرنسى بمصر من الحلم إلى المشروع	أحمد يوسف	أمل الصبان
٥٢١- قاموس تراجم مصر الحديثة	أرثر جولد سميث	عبدالوهاب بكر
٥٢٢- إسبانيا فى تاريخها	أميركو كاسترو	على إبراهيم منوفى
٥٢٣- الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن	باسيليو بابون مالدونادو	على إبراهيم منوفى
٥٢٤- الملك لير (مسرحية)	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٥٢٥- موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى	دنيس جونسون	نادية رفعت
٥٢٦- أقدم لك: السياسة البيئية	ستيفن كرول ووليم رانكين	محيى الدين مزيد
٥٢٧- أقدم لك: كافكا	ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب	جمال الجزيرى
٥٢٨- أقدم لك: تروتسكى والماركسية	طارق على وفِلْ إيفانز	جمال الجزيرى
٥٢٩- بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى	محمد إقبال	حازم محفوظ
٥٣٠- مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية	رينيه جينو	عمر الفاروق عمر

٥٣١-	ما الذي حَدَثَ في «حَدَث» ١١ سبتمبر؟	جاك دريدا	صفاء فتحي
٥٣٢-	المغامرُ والمستشرق	هنري لورنس	بشير السباعي
٥٣٣-	تعلُّم اللغة الثانية	سوزان جاس	محمد طارق الشرقاوي
٥٣٤-	الإسلاميون الجزائريون	سيڤرين لابا	حمادة إبراهيم
٥٣٥-	مخزن الأسرار (شعر)	نظامي الكنجوي	عبدالعزيز بقوش
٥٣٦-	الثقافات وقيم التقدم	صمويل هنتنجتون ولورانس هاريزون	شوقي جلال
٥٣٧-	للحب والحرية (شعر)	نخبة	عبدالغفار مكاوي
٥٣٨-	النفس والآخر في قصص يوسف الشاروني	كيت دانيلر	محمد الحديدي
٥٣٩-	خمس مسرحيات قصيرة	كاريل تشرشل	محسن مصيلحي
٥٤٠-	توجهات بريطانية - شرقية	السير رونالد ستورس	رءوف عباس
٥٤١-	هي تتخيل وهلاوس أخرى	خوان خوسيه مياس	مروة رزق
٥٤٢-	قصص مختارة من الأدب اليوناني الحديث	نخبة	نعيم عطية
٥٤٣-	أقدم لك: السياسة الأمريكية	باتريك بروجان وكريس جرات	وفاء عبدالقادر
٥٤٤-	أقدم لك: ميلاني كلاين	روبرت هنشل وآخرون	حمدي الجابري
٥٤٥-	يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦-	ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق علي منصور
٥٤٧-	أقدم لك: بارت	فيليب تودي وآن كورس	جمال الجزيري
٥٤٨-	أقدم لك: علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	حمدي الجابري
٥٤٩-	أقدم لك: علم العلامات	بول كوبلي وليتاجانز	جمال الجزيري
٥٥٠-	أقدم لك: شكسبير	نيك جروم وبيرو	حمدي الجابري
٥٥١-	الموسيقى والعولمة	سايمون ماندي	سمحة الخولي
٥٥٢-	قصص مثالية	ميجيل دي ثربانتس	على عبد الرءوف البمبي
٥٥٣-	مدخل للشعر الفرنسي الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤-	مصر في عهد محمد علي	عفاف لطفي السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥-	الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادي والعشرين	أناتولي أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالي
٥٥٦-	أقدم لك: جان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدي الجابري
٥٥٧-	أقدم لك: الماركيز دي ساد	ستوارت هود وجراهام كرولي	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨-	أقدم لك: الدراسات الثقافية	زيودين ساردار وبورين فان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩-	الماس الزائف (رواية)	تشا تشاجي	عبدالحي أحمد سالم
٥٦٠-	صلصلة الجرس (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوي
٥٦١-	جناح جبريل (شعر)	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوي
٥٦٢-	بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣-	ورود الخريف (مسرحية)	خاثينتو بينابينتي	صبري محمدي التهامي
٥٦٤-	عُش الغريب (مسرحية)	خاثينتو بينابينتي	صبري محمدي التهامي
٥٦٥-	الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦-	تاريخ أوروبا في العصور الوسطى	موريس بيشوب	على السيد علي
٥٦٧-	الوطن المغتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨-	الأصولي في الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر

٥٦٩-	موقع الثقافة	هومى بابا	ثائر ديب
٥٧٠-	دول الخليج الفارسى	سير رويرت هاى	يوسف الشارونى
٥٧١-	تاريخ النقد الإسبانى المعاصر	إيميليا دى ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢-	الطب فى زمن الفراعنة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣-	أقدم لك: فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتى	جمال الجزيرى
٥٧٤-	مصر القديمة فى عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين السباعى
٥٧٥-	الاقتصاد السياسى للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦-	فكر ثربانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشرى محمد
٥٧٧-	مغامرات بينوكيو	كارلو كولودى	محمد قدرى عمارة
٥٧٨-	الجماليات عند كيتس وهنت	أيومى ميزوكوشى	محمد إبراهيم وعصام عبد الروف
٥٧٩-	أقدم لك: تشومسكى	جون ماهر وجودى جرونز	محيى الدين مزيد
٥٨٠-	دائرة المعارف الدولية (مج١)	جون فيزر وبول سيترجز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٥٨١-	الحمقى يموتون (رواية)	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢-	مرايا على الذات (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣-	الجيران (رواية)	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٤-	سفر (رواية)	محمود دولت أبادى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥-	الأمير احتجاب (رواية)	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦-	السينما العربية والأفريقية	ليزبيث مالكموس وروى أرمز	سهام عبد السلام
٥٨٧-	تاريخ تطور الفكر الصينى	مجموعة من المؤلفين	عبدالعزيز حمدى
٥٨٨-	أمنحوتب الثالث	أنييس كابرول	ماهر جويجاتى
٥٨٩-	تمبكت العجيبة	فيلكس ديبوا	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠-	أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدى عبدالله
٥٩١-	الشاعر والمفكر	هورانيوس	على عبدالتواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢-	الثورة المصرية (جـ١)	محمد صبرى السوربونى	مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣-	قصائد ساحرة	بول ڤاليرى	بكر الحلو
٥٩٤-	القلب السمين (قصة أطفال)	سوزانا تامارو	أمانى فوزى
٥٩٥-	الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ٢)	إكوادو بانولى	مجموعة من المترجمين
٥٩٦-	الصحة العقلية فى العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧-	مسلمو غرناطة	خوليو كاروباروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨-	مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومى على قنديل
٥٩٩-	فلسفة الشرق	هرداد مهرين	محمود علاوى
٦٠٠-	الإسلام فى التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١-	النسوية والمواطنة	ريان ڤوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلى
٦٠٢-	ليوتار: نحو فلسفة ما بعد حداثية	چيمس وليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣-	النقد الثقافى	آرثر أيزابرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى
٦٠٤-	الكوارث الطبيعية (مج١)	باتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٦٠٥-	مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكى (الصغير)	مصطفى إبراهيم فهمى
٦٠٦-	قصة البردى اليونانى فى مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدنى

٦٠٧-	قلب الجزيرة العربية (جـ١)	هاري سينت فيلبي	صبرى محمد حسن
٦٠٨-	قلب الجزيرة العربية (جـ٢)	هاري سينت فيلبي	صبرى محمد حسن
٦٠٩-	الانتخاب الثقافى	أجنر فوج	شوقى جلال
٦١٠-	العمارة المدجنة	رفائيل لوبث جوثمان	على إبراهيم منوفى
٦١١-	النقد والأيديولوجية	تيرى إيجلتون	فخرى صالح
٦١٢-	رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسينى	محمد محمد يونس
٦١٣-	السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	محمد فريد حجاب
٦١٤-	بيت الأقصر الكبير(رواية)	فوزية أسعد	منى قطان
٦١٥-	عرض الأحداث التى رصدها فى بغداد من ١٩٩٧ إلى ١٩٩٩	أليس بسيرينى	محمد رفعت عواد
٦١٦-	أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
٦١٧-	الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
٦١٨-	نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيلبس	جلال البنا
٦١٩-	مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانبولى	عايدة الباجورى
٦٢٠-	السلام الصليبى	توماش ماستناك	بشير السباعى
٦٢١-	رباعيات الخيام (ميراث الترجمة)	عمر الخيام	محمد السباعى
٦٢٢-	أشعار من عالم اسمه الصين	أى تشينغ	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى
٦٢٣-	نوادر جحا الإيرانى	سعيد قانعى	يوسف عبدالفتاح
٦٢٤-	شعر المرأة الأفريقية	نخبة	غادة الحلوانى
٦٢٥-	الجرح السرى	جان جينيه	محمد برادة
٦٢٦-	مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	نخبة	توفيق على منصور
٦٢٧-	حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
٦٢٨-	أصل الأنواع	تشارلس داروين	مجدى محمود المليجى
٦٢٩-	قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولاس جويات	عزة الخميسى
٦٣٠-	سيرتى الذاتية	أحمد بللو	صبرى محمد حسن
٦٣١-	مختارات من الشعر الأفريقى المعاصر	نخبة	بإشراف: حسن طلب
٦٣٢-	المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	دولورس برامون	رانيا محمد
٦٣٣-	الحب وفنونه (شعر)	نخبة	حمادة إبراهيم
٦٣٤-	مكتبة الإسكندرية	روى ماكلويد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنساوى
٦٣٥-	التثبيت والتكيف فى مصر	جودة عبد الخالق	سمير كريم
٦٣٦-	حج يولندة	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
٦٣٧-	مصر الخديوية	ف. روبرت هنتر	بدر الرفاعى
٦٣٨-	الديمقراطية والشعر	روبرت بن وارين	فؤاد عبد المطلب
٦٣٩-	فندق الأرق (شعر)	تشارلز سيميك	أحمد شافعى
٦٤٠-	ألكسياد	الأميرة أناكومنينا	حسن حبشى
٦٤١-	برتراند رسل (مختارات)	برتراند رسل	محمد قدرى عمارة
٦٤٢-	أقدم لك: داروين والتطور	جوناثان ميلر وبورين فان لون	ممدوح عبد المنعم
٦٤٣-	سفرنامه حجاز (شعر)	عبد الماجد الدريابادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤-	العلوم عند المسلمين	هوارد د.تيرنر	فتح الله الشيخ

٦٤٥- السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	تشارلز كجلي ويوجين ويتكوف	عبد الوهاب علوب
٦٤٦- قصة الثورة الإيرانية	سبهر ذبيح	عبد الوهاب علوب
٦٤٧- رسائل من مصر	جون نينيه	فتحي العشري
٦٤٨- بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت
٦٤٩- الخوف وقصص خرافية أخرى	جي دي موباسان	سحر يوسف
٦٥٠- الدولة والسلطة والسياسة في الشرق الأوسط	روجر أوين	عبد الوهاب علوب
٦٥١- ديليسبس الذي لا نعرفه	وثائق قديمة	أمل الصبان
٦٥٢- آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	حسن نصر الدين
٦٥٣- مدرسة الطغاة (مسرحية)	إيريش كستنر	سمير جريس
٦٥٤- أساطير شعبية من أوزبكستان (جـ١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسي
٦٥٥- أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦- خبز الشعب والأرض الحمراء (مسرحيتان)	ألفونسو ساستري	ممدوح البستاوي
٦٥٧- محاكم التفتيش والموريسكيون	مرثيديس غارثيا أرينال	خالد عباس
٦٥٨- حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبري التهامي
٦٥٩- قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٦٦٠- نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايفيلد	هاشم أحمد محمد
٦٦١- روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبري التهامي
٦٦٢- رحلة إلى الجذور	داسو سالديبار	صبري التهامي
٦٦٣- امرأة عادية	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعي
٦٦٤- الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان وإنا راى هارك	عصام زكريا
٦٦٥- عوالم أخرى	بول دافيز	هاشم أحمد محمد
٦٦٦- تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	وولفجانج اتش كليمن	جمال عبد الناصر ومدحت الجيار وجمال جاد الرب
٦٦٧- الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربي	ألفن جولدنر	علي ليلة
٦٦٨- ثقافات العولمة	فريدريك جيمسون وماساو ميوشي	ليلى الجبالي
٦٦٩- ثلاث مسرحيات	وول شوينكا	نسيم مجلي
٦٧٠- أشعار جوستاف أدولفو	جوستاف أدولفو بكر	ماهر البطوطي
٦٧١- قل لي كم مضى على رحيل القطار؟	جيمس بولدوين	علي عبدالأمير صالح
٦٧٢- مختارات من الشعر الفرنسي للأطفال	نخبة	إبتهال سالم
٦٧٣- ضرب الكليم (شعر)	محمد إقبال	جلال الحفناوي
٦٧٤- ديوان الإمام الخميني	آية الله العظمى الخميني	محمد علاء الدين منصور
٦٧٥- أثينا السوداء (جـ٢، مج١)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدني
٦٧٦- أثينا السوداء (جـ٢، مج٢)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدني
٦٧٧- تاريخ الأدب في إيران (جـ١ ، مج١)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمي
٦٧٨- تاريخ الأدب في إيران (جـ١ ، مج٢)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمي
٦٧٩- مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	وليام شكسبير	توفيق علي منصور
٦٨٠- المدينة الفاضلة (ميراث الترجمة)	كارل ل. بيكر	محمد شفيق غربال
٦٨١- هل يوجد نص في هذا الفصل؟	ستانلي فش	أحمد الشيمي
٦٨٢- نجوم حظر التجوال الجديد (رواية)	بن أوكري	صبري محمد حسن

٦٨٣-	سكين واحد لكل رجل (رواية)	تي. م. ألوكو	صبري محمد حسن
٦٨٤-	الأعمال القصصية الكاملة (أنا كندا) (جـ١)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسي
٦٨٥-	الأعمال القصصية الكاملة (الصحراء) (جـ٢)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسي
٦٨٦-	امرأة محاربة (رواية)	ماكسين هونج كنجستون	سحر توفيق
٦٨٧-	محبوبة (رواية)	فتانة حاج سيد جوادي	ماجدة العناني
٦٨٨-	الانفجارات الثلاثة العظمى	فيليب م. دوبر وريتشارد أ. موار	فتح الله الشيخ وأحمد السماحي
٦٨٩-	الملف (مسرحية)	تادوش روجيفيتش	هناء عبد الفتاح
٦٩٠-	محاكم التفتيش في فرنسا	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩١-	ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	(مختارات)	رمسيس عوض
٦٩٢-	أقدم لك: الوجودية	ريتشارد أبيجانسي وأوسكار زاريت	حمدي الجابري
٦٩٣-	أقدم لك: القتل الجماعي (المحرقة)	حاثيم برشيت وآخرون	جمال الجزيري
٦٩٤-	أقدم لك: دريدا	جيف كولينز وبيل مايبلين	حمدي الجابري
٦٩٥-	أقدم لك: رسل	ديف روبنسون وجودي جروف	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٦-	أقدم لك: روسو	ديف روبنسون وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٧-	أقدم لك: أرسطو	روبرت ودفين وجودي جروفس	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٨-	أقدم لك: عصر التنوير	ليود سبنسر وأندرزيجي كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٩-	أقدم لك: التحليل النفسي	إيفان وارد وأوسكار زارايت	جمال الجزيري
٧٠٠-	الكاتب وواقعه	ماريو بارجاس يوسا	بسمة عبدالرحمن
٧٠١-	الذاكرة والحداثة	وليم رود فيفيان	مني البرنس
٧٠٢-	مدونة جوستنيان في الفقه الروماني (ميراث الترجمة)	جوستينيان	عبد العزيز فهمي
٧٠٣-	تاريخ الأدب في إيران (جـ٢)	إدوارد جرانفيل براون	أمين الشواربي
٧٠٤-	فيه ما فيه	مولانا جلال الدين الرومي	محمد علاء الدين منصور وآخرون
٧٠٥-	فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام	الإمام الغزالي	عبدالحميد مدكور
٧٠٦-	الشفرة الوراثية وكتاب التحولات	جونسون ف. يان	عزت عامر
٧٠٧-	أقدم لك: فالتر بنيامين	هوارد كاليجل وآخرون	وفاء عبدالقادر
٧٠٨-	فراعنة من؟	دونالد مالكولم ريد	رءوف عباس
٧٠٩-	معنى الحياة	ألفريد آدلر	عادل نجيب بشرى
٧١٠-	الأطفال والتكنولوجيا والثقافة	إيان هاتشباي وجوموران - إليس	دعاء محمد الخطيب
٧١١-	درة التاج	ميرزا محمد هادي رسوا	هناء عبد الفتاح
٧١٢-	الإلياذة (جـ١) (ميراث الترجمة)	هوميروس	سليمان البستاني
٧١٣-	الإلياذة (جـ٢) (ميراث الترجمة)	هوميروس	سليمان البستاني
٧١٤-	حديث القلوب (ميراث الترجمة)	لامنيه	حنا صاوه
٧١٥-	سر تقدم الإنكليز السكسونيين (ميراث الترجمة)	إدمون ديمولان	أحمد فتحي زغلول
٧١٦-	جامعة كل المعارف (جـ٢)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٧-	جامعة كل المعارف (جـ٣)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٨-	جامعة كل المعارف (جـ٥)	مجموعة من المؤلفين	نخبة من المترجمين
٧١٩-	مسرح الأطفال: فلسفة وطريقة	م. جولدبرج	جميلة كامل
٧٢٠-	مداخل إلى البحث في تعلم اللغة الثانية	دونام جونسون	علي شعبان وأحمد الخطيب

٧٢١-	فلسفة المتكلمين في الإسلام (مج١)	هـ. أ. ولفسون	مصطفى لبيب عبد الغنى
٧٢٢-	الصفيحة وقصص أخرى	يشار كمال	الصفصافى أحمد القطورى
٧٢٣-	تحديات ما بعد الصهيونية	إفرايم نيمنى	أحمد ثابت
٧٢٤-	اليسار الفرويدى	پول روبنسون	عبده الريس
٧٢٥-	الاضطراب النفسى	چون فيتكس	مى مقلد
٧٢٦-	الموريسكيون فى المغرب	غييرمو غوثاليبس بوستو	مروة محمد إبراهيم
٧٢٧-	حلم البحر (رواية)	باچين	وحيد السعيد
٧٢٨-	العولمة: تدمير العمالة والنمو	موريس آليه	أميرة جمعة
٧٢٩-	الثورة الإسلامية فى إيران	صادق زيباكلام	هويدا عزت
٧٣٠-	حكايات من السهول الأفريقية	ان جاتى	عزت عامر
٧٣١-	النوع: الذكر والأنثى بين التميز والاختلاف	مجموعة من المؤلفين	محمد قدرى عمارة
٧٣٢-	قصص بسيطة (رواية)	إنجو شولتسه	سمير جريس
٧٣٣-	مأساة عطيل (مسرحية)	وليم شيكسبير	محمد مصطفى بدوى
٧٣٤-	بونابرت فى الشرق الإسلامى	أحمد يوسف	أمل الصبان
٧٣٥-	فن السيرة فى العربية	مايكل كوبرسون	محمود محمد مكى
٧٣٦-	التاريخ الشعبى للولايات المتحدة (جـ١)	هوارد زن	شعبان مكاوى
٧٣٧-	الكوارث الطبيعية (مج٢)	پاتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٧٣٨-	دمشق من عصر ما قبل التاريخ إلى الدولة المملوكية	چيرار دى چورچ	محمد عواد
٧٣٩-	دمشق من الإمبراطورية العثمانية حتى الوقت الحاضر	چيرار دى چورچ	محمد عواد
٧٤٠-	خطابات السلطة	بارى هندس	مرفت ياقوت
٧٤١-	الإسلام وأزمة العصر	برنارد لويس	أحمد هيكل
٧٤٢-	أرض حارة	خوسيه لاكوادرا	رزق بهنسى
٧٤٣-	الثقافة: منظور داروينى	روبرت أونجر	شوقى جلال
٧٤٤-	ديوان الأسرار والرموز (شعر)	محمد إقبال	سمير عبد الحميد
٧٤٥-	المآثر السلطانية	بيك الدنبلى	محمد أبو زيد
٧٤٦-	تاريخ التحليل الاقتصادى (مج١)	چوزيف أ. شومبيتر	حسن النعيمى
٧٤٧-	الاستعارة فى لغة السينما	تريڤور وايتوك	إيمان عبد العزيز
٧٤٨-	تدمير النظام العالمى	فرانسيس بويل	سمير كريم
٧٤٩-	إيكولوجيا لغات العالم	ل.ج. كالڤيه	باتسى جمال الدين
٧٥٠-	الإلياذة	هوميروس	بإشراف: أحمد عتمان
٧٥١-	الإسراء والمعراج فى تراث الشعر الفارسى	نخبة	علاء السباعى
٧٥٢-	ألمانيا بين عقدة الذنب والخوف	جمال قارصلى	نمر عاروري
٧٥٣-	التنمية والقيم	إسماعيل سراج الدين وآخرون	محسن يوسف
٧٥٤-	الشرق والغرب	أنّا مارى شيمل	عبدالسلام حيدر
٧٥٥-	تاريخ الشعر الإسبانى خلال القرن العشرين	أندرو ب. دبيكى	على إبراهيم منوفى
٧٥٦-	ذات العيون الساحرة	إنريكى خارديل بونثيلا	خالد محمد عباس
٧٥٧-	تجارة مكة	پاتريشيا كرون	آمال الروبى
٧٥٨-	الإحساس بالعولمة	بروس روبنز	عاطف عبدالحميد

٧٥٩-	النثر الأردى	مولوى سيد محمد	جلال الحفناوى
٧٦٠-	الدين والتصور الشعبى للكون	السيد الأسود	السيد الأسود
٧٦١-	جيوب مثقلة بالحجارة (رواية)	فيرچينيا وولف	فاطمة ناعوت
٧٦٢-	المسلم عدوًا و صديقًا	ماريا سوليداد	عبدالعال صالح
٧٦٣-	الحياة فى مصر	أنريكو بيا	نجوى عمر
٧٦٤-	ديوان غالب الدهلوى (شعر غزل)	غالب الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٥-	ديوان خواجه الدهلوى (شعر تصوف)	خواجه مير درد الدهلوى	حازم محفوظ
٧٦٦-	الشرق المتخيل	تيرى هنتش	غازى برو وخليل أحمد خليل
٧٦٧-	الغرب المتخيل	نسيب سمير الحسينى	غازى برو
٧٦٨-	حوار الثقافات	محمود فهمى حجازى	محمود فهمى حجازى
٧٦٩-	أبناء أحياء	فريدريك هتمان	رندا النشار وضياء زاهر
٧٧٠-	السيدة بيرفيكتا	بينيتو بيريث جالدوس	صبرى التهامى
٧٧١-	السيد سيجوندو سومبرا	ريكاردو جويرالديس	صبرى التهامى
٧٧٢-	بريخت ما بعد الحداثة	إليزابيث رايت	محسن مصيلحى
٧٧٣-	دائرة المعارف الدولية (جـ٢)	چون فيزر وبول ستيرجز	بإشراف: محمد فتحى عبدالهادى
٧٧٤-	الديمقراطية الأمريكية: التاريخ والمرتكزات	مجموعة من المؤلفين	حسن عبد ربه المصرى
٧٧٥-	مرآة العروس	نذير أحمد الدهلوى	جلال الحفناوى
٧٧٦-	منظومة مصيبت نامه (مج١)	فريد الدين العطار	محمد محمد يونس
٧٧٧-	الانفجار الأعظم	چيمس إ. ليدسى	عزت عامر
٧٧٨-	صفوة المديح	مولانا محمد أحمد ورضا القادرى	حازم محفوظ
٧٧٩-	خيوط العنكبوت وقصص أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم وسارة تاكاهاشى
٧٨٠-	من أدب الرسائل الهندية حجاز ١٩٣٠	غلام رسول مهر	سمير عبد الحميد إبراهيم

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ١٩٣٤٢ / ٢٠٠٥